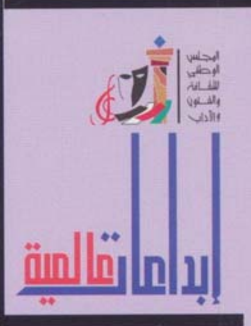


ديسمبر 2014

404



الرِّقَّة

رواية

تأليف: دافيد فونكينوس
ترجمة: كامل عويد العامري
مراجعة: د. ليلى عثمان فضلد







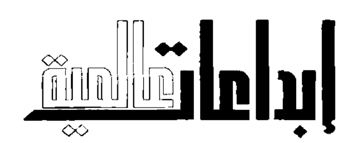
(رواية)

تـــألـــيـــف: دافيد فونكينوس

تــــرجـــــمــــة: كامل عويد العامري

مـــراجـــعـــة: د.ليلى عثمان فضل


الرُقّة



تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

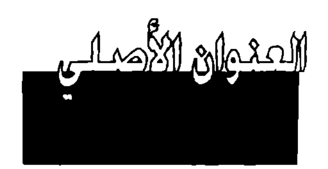
التنضيد والإخراج والتنفيذ: وحدة الإنتاج
في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
التدقيق اللغوي: وائل أحمد حمزة

www.nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@yahoo.com

رقم الإيداع: 2014/796
ردمك: 2-438-0-99906-978

• الرِّقَّة

رواية



La délicatesse

David Foenkinos

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2014م

إبداعات عالمية - العدد 404

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)

مقدمة

هذه الرواية تتحدث عن حياة امرأة تدعى ناتالي، ترسم الفصول الأولى منها صورة لامرأة شابة ترتمي في الحياة وتعيش مع زوجها فرانسوا الذي ستفقده بعد سبع سنوات، وانطلاقا من هذه اللحظة التي يتوفى فيها زوجها فجأة في حادث دهس سيارة، تأخذ القصة مسارا بطيئا، وتكشف لنا عن مسيرة الحزن البطيء الذي يجب أن تنغمس فيه، وعليها أيضا أن تخفي نقاط ضعفها وشكوكها، وما تعانيه من كآبة، ولكنها ما إن تعُد مرة أخرى إلى عالم العمل بنشاط واندفاع حتى تحاول نسيان فرانسوا.. فينشغل بها مارك، رئيسها، منذ أن قابلها للتوظيف في الشركة، ويحاول التقرب منها، ولكنه يصاب بخيبة أمل، إذ إن ناتالي سترفض دعوته للعشاء التي دعاها إليها، ويلاحظ كل الموظفين في المكتب أنها تعمل بطريقة وكأنها تريد أن تنتحر بالعمل، فترتبط بعلاقة مع ماركوس، وهو رجل خجول، مرتبك.

لقد استطاع الكاتب فونكينوس أن يجعل من قصة بسيطة، تكاد تكون مألوفة، ذات امتداد إنساني في معالجة الأحداث، من خلال تقنيات السرد العجائبية، وتقنيات السينماغرافيا، في طريقة متابعة الشخصيات، وكأن القارئ يحمل كاميرا في متابعته لتحركات وانتقالات الشخصيات الروائية، لنجد بين الفصول واللحمة السردية أحاديث بوح ذاتية تضيف لمسة من الخيال لا يمكن تجاهلها.

إن موضوعـات مـن مثـل السـعادة الزوجيـة والحـزن وتوقـد المشاعر والإحساسات، واكتشاف الآخر، وقضايا النفس والشغف، كلهـا موضوعات جاءت علـى امتداد 117 فصـلا، بعضها قصير جـدا، وبعضها اسـتغرق عدة صفحات، ولكن مـا تميزت بها هذه الفصول هو ما احتوته من ثيمات حكائية، أو ملاحظات لثيمات حكائية (سـردية)، بلـغ عددها 56 ثيمـة أو ملاحظة، لها علاقة مباشـرة بالسـرد القصصـي، وهـذا أسـلوب سـردي جديد يمنح الحكـي نكهـة، بما فيه مـن غنائية ودعابة وتأمـل تقود إلى خلق الدهشـة الروائيـة بمـا تتضمنـه مـن تفاصيـل كتلـك المتعلقـة بالحساسـية من الأسماك، أو طريقة ارتداء الملابس، أو استئجار سـاقين لا وجود لهما.. وقد كان لي، بوصفي مترجما للرواية، أن تبادلت الرسـائل مع المؤلف حول بعض الموضوعات التي احتجت توضيحا لها.. وكان الرجل مستجيباً في الرد على كل سؤال.

فقد ورد في الصفحة 101، طبعة الجيب، النص الآتي:

Il voulait se mettre sur son 31.
ce nombre meme etait trop petit pour elle.
Il aurait voulu se mettre au moins sur son 47،
ou sur son 112، ou alors son 387.

وقـد أجـاب الكاتـب بأن هـذا النص يعنـي كلمة واحـدة هي: «يتأنـق»، وبالإمـكان حـذف التفاصيل الأخرى، وأضـاف أن هذه العبارة تختص بفرنسـا، ولا تختص ببلدان وشعوب أخرى (...)، ولكننـي نتيجـة البحث وجدت أن أحد مصادر هـذه العبارة يعود إلـى أن إحـدى الفرضيات تقول إن هذا التعبيـر يعود إلى القرن

الخامس عشر، ويعني نسيجا من الدرجة الأولى، ولكن هناك فرضية أخرى تعود إلى القرن التاسع عشر وإلى بروسيا، ويعني يوم 31 من الشهر، وبما أنه لدينا سبعة اشهر تنتهي بـ 31، فيعد هذا التاريخ هو الذي يزور فيه الضباط معسكرات الجند، وهؤلاء يظهرون بكامل زيهم الأنيق، غير أن كتّابا كثيرين يرون أن هذا التعبير ما زال غامضا.

وهناك إحالات كثيرة إلى كتّاب معاصرين، من مثل مارغريت دوراس وألبير كوهين ودان فرانك وتوماس هاردي وميشيل بوتور وألبير كامو وسارتر وسترنبرغ وموباسان.. إلخ، وهي إحالات تستدعي من القارئ أن يكون على دراية بأعمال أولئك الكتّاب.

لقد تميزت هذه الرواية بنبرتها الغنائية، وأجوائها الرومانسية، مما استدعى الكاتب إلى تحويلها لفيلم لاقى نجاحاً متميزاً، فضلاً عن الجوائز العشر التي حصدتها قبل أن تتحول إلى فيلم سينمائي.

شخصيات الرواية

- ناتالي: هي الشخصية الرئيسة، وهي امرأة شابة تعمل في شركة سويدية، إنها جميلة، ذكية وعنيدة.

- فرانسوا: هو زوج ناتالي، توفي في بداية الرواية، صدمته سيارة أثناء قيامه بتمارين الركض، كان يعمل في مجال التمويل وكان هاويا للعب الألغاز. التقيا عندما كان عمرها عشرين سنة وعاشا معا لمدة سبع سنوات هو عمر الحياة الزوجية، عيشة

سعيدة خالية من المتاعب.

- تشارلز ديلامان: مدير الشركة السويدية التي تعمل فيها ناتالي، وهو متزوج، ولكنه يقع في حب ناتالي.

- شارلوت بارون: المرأة التي دهست فرانسوا، بائعة أزهار، كان عليها أن تقدم في ذلك اليوم باقة من الأزهار لمناسبة الذكرى السنوية للقاء، ولأن هذا الحادث كان يلاحقها، فإنه كان من الصعب عليها العودة إلى العمل، إنها ستترك في نهاية المطاف باقة من الورود على درجات السلم.

- كلوئه: وتعمل تحت إمرة ناتالي، وهي آخر من وصل والأصغر سنا، تحاول أن تصبح مقربة منها وصديقة لها.

- ماركوس: جزء من فريق ناتالي أيضا، هو في الأصل من أوبسالا في السويد، نمطي بما فيه الكفاية، يتمتع ببنية جسدية قاسية، يساري الميول والاتجاه، دقيق في مواعيده إلى أقصى الحدود، لقد أربكه سلوك ناتالي التي عانقته بحركة لا مبرر لها.

- مادلين: جدة ناتالي، تستقبل كلا من ماركوس وناتالي في منزلها بحرارة وببساطة من دون استعداد وبشكل غير متوقع. هذا النمط من الجدات يفضن عذوبة ولطفا، وتعد الواحدة منهن خزانة أطعمة عندما يمر الأطفال بهن.

المترجم

ليس بوسعي أن أتصالح مع الأشياء

ففي كل لحظة علي أن أبتعد عن الزمن

لكي أتصالح مع نفسي

سيوران

1

كان حريًّـا بناتالـي أن تكون حصيفة (طـراز من الأنوثة السويسرية)، فقد اجتازت سن المراهقة من دون تصادم، وهي تمتثل لسـلوك طرق المشـاة، وعندما بلغت من العمر عشرين عامـا، كانت تنظـر إلى المسـتقبل بوصفه مبشـرا بالخير. تحب أن تمـرح، وتحب القراءة، وهما اهتمامان من النادر أن يتوافقـا، إذ إنهـا تفضل القصص الحزينـة، ولمّا كان التوجه الأدبي غيرَ ملموس بمـا يكفي ليدل على ميولها، فقد قررت مواصلة دراساتها في حقل الاقتصاد، لتترك قليلا من المكانة له تقريبا.

إنها تبقى سـاعات تترصد الخطوط البيانية لتطوّر الناتج المحلي الإجمالي PIB في أسـتونيا، وابتسـامة غريبة على وجهها. وفي الوقت الـذي بدأت حياتها بالنضج، كان يحدث لهـا أن تفكر ثانيـة بطفولتها أحيانا. لحظات من السـعادة الملتقطـة من بضعة أحـداث، دائما هي نفسـها؛ تتردد على الشاطئ، وتستقل طائرة، وتنام بين ذراعَي أبيها، غير أنها لم تشـعر بأي حنين قط، فالحنين نادر بالنسـبة لناتالي (هناك اتجاه واضح من الحنين لدى عائلة ناتالي).

2

معظم الأزواج مولعون برواية القصص، ويفكرون بأن لقاءهم يتخذ سـمة اسـتثنائية، وبأن تلك الائتلافات التي لا حصر لها، والتي تتشكل في الابتذال الأكثر عمومية، تعتني بتفاصيل تنطوي مع ذلك على نشـوة روحيـة صغيرة، وأخيرا فالمـرء يبحث عن التفسير في كل الأمور.

لقد تقابل كل من ناتالي وفرانسوا في الشارع، وإنه لمن اللطف أن يدنو رجل من امرأة، فتتساءل حتما:

- ألا يُمضي وقته في القيام بذلك؟

وغالبا ما يقول الرجال بأنها المرة الأولى، وعند الإصغاء إليهم تعتقد أن الطبيعة حبتهم فجأة نعمة فريدة سمحت لهم بالتصدي للخجل الأبدي. وترد النساء بطريقة آلية بأن لا وقت لديهن.

لم تخرق ناتالي هذه القاعدة، وكانت تلك حماقة، إذ ليس لديها من شيء كبير تقوم به.. وكانت تحب فكرةَ أن تكون متحرَشا بها. لكن لم يجرؤ أحد قط، لتطرح على نفسها السؤال مرات عديدة:

- هل يدل مظهري على أنني امرأة عابسة أو كسولة؟

وقد قالت لها إحدى صديقاتها:

- لـن يوقفك أحد قط، لأن لك هيئة امـرأة يلاحقها الزمن الذي يجري.

عندمـا يلتقي رجل بامرأة مجهولة، فذلك ليقول لها أشـياء جميلة، فهل يوجد هذا الانتحاري الذكوري الذي سـيوقف امرأة ليسألها:

- كيف تلبسين هذه الأحذية؟ وكأن أصابع قدميك في آلة تعذيب، إنها لفضيحة، فأنت دكتاتورة قدميك!

من يجرؤ على قول ذلك؟ بالتأكيد ليس فرانسوا، الذي يجيد أداء التحية. حاول أن يحدد الأمر بأدنى ما يمكن تحديده: القلق. لماذا أوقفها هي؟ لقد كان المقصود مشيتها على وجه الخصوص، كان يشعر بشيء جديد، بشيء صبياني تقريبا، كموسيقى المفاصل الكروية، كان يصدر عنها ما يشبه عفوية مؤثرة، وأناقة في الحركة، فظن: «أنها بالضبط طراز المرأة التي أود أن أقضي معها عطلة نهاية الأسبوع في جنيف»، وعند ذاك استجمع شجاعته، وبذل قصارى جهده في هذه اللحظة، وكانت حقا تلك هي المرة الأولى، ولا سيما بالنسبة له. هنا الآن، على هذا الرصيف سيلتقيان، إنه مدخل كلاسيكي من دون شك، وهو ما يحدد بداية هذه الأمور غالبا، والتي ستكون في حدها الأدنى، فيما بعد.

لقد تلجلج بالكلمات الأُولى، ولكنه فجأة انطلق دفعة واحدة، بطريقة رائقة. كانت كلماته تندفع إلى الأمام بهذه الطاقة المثيرة للعواطف، ولكنها مثيرة للشفقة أيضا، ومعبّرة عن يأس، إنها بالفعل لغرابة تتعلق بتناقضاتنا، إذ كان الموقف غير مريح بالمرة، لذلك كان يريد أن يجد له مخرجا بلباقة، وفي بحر ثلاثين ثانية حملها على أن تبتسم، كانت تلك ثغرة في الخفاء، لقد قبلت تناول القهوة، وأدركت أنها ليست على عجلة من أمرها، ووجد هو هذا الأمر في غاية الروعة، ذلك أن يتمكن من أن يقضي وقتا مع امرأة دخلت بالكاد للتو في مجال جاذبيته، وكان يحب دائما النظر إلى النساء في الشارع، بل ويتذكر بأن لديه نوعا

من المراهقة الرومانسـية القادرة على ملاحقة الفتيات الشابات مـن ذوات العوائل المحمودة حتى أبـواب بيوتهن، ويحدث له أن يغيّر العربة في المترو ليكون قرب راكبة عاينها من بعيد، ولمّا كان خاضعا إلى دكتاتورية اللذة الجسـدية، فقـد لا يبقى منه أدنى رجل رومانسـي، وهو يظن أن عالم النساء يمكن أن يقتصر على امرأة واحدة.

سـألها عمّا تريد أن تشـربه، سـيكون اختيارهما حاسـما، وتخيّـلَ أن تطلب قهوة مـن دون كافيين؛ «أنهضُ وأمضي»، ليس مـن حق أحد أن يشـرب القهـوة من دون كافيـين في مثل هذا النوع من المواعيد، إنه الشراب الأقلّ ودّية مما يكون، أما الشاي فمـن النادر أن يكون هو الأفضل. لقـد التقيا بالكاد، ومنذ الآن يقيم في نوع من الشـرنقة الهشـة إلى حد ما. يشعر المرء بأنه سـيقضي أيام الآحاد بعد الظهيرة في مشاهدة التلفزيون، وفي أسـوأ الأحوال في بيت والدَي الزوجة. نعم، إن الشـاي هو من يضفي على جو العائلة نوعا من المرح من دون منازع، إذن بماذا؟ بالكحول؟ كلا ليس ملائما في مثل هذه الساعة. يمكن للمرء أن يخشـى من امرأة تتناول الشراب جرعة واحدة، بل إن كأسا من نبيذ أحمر لا يفرغ. كان فرانسوا يواصل انتظاره لها فيما تختار لتشـربه، وهكذا كان يتابع تحليله المشروب لأول انطباع نسائي، ما الـذي بقي الآن؟ الكـوكا كولا، أو كل أنـواع الصودا ... كلا، ليـس ممكنا، فهذا لا يثير اهتمـام أي امرأة إطلاقا، الأحرى أن يطلب شـيئا زهيدا، ما دامت هي هنا، وأخيرا حدّث نفسـه عن عصير، فهذا سيكون مناسبا، أجل عصير، إنه ممتع، إنه مناسب، وليس عدوانيا كثيرا؛ يُشعِر المرءَ بالفتاة رقيقة ومتزنة، ولكن أي

عصير؟ من الأفضل تجنّب الكلاسيكيات الكبيرة، نتجنب التفاح والبرتقـــال، الأكثر اعتبارا، ينبغي أن يكون ذا شـــأن أقل أصالة، ومع ذلك ألا تشـــوبه شائبة، فعصيـر ثمرة البابايا أو الجوافة يثير الخـــوف، كلا، الأفضل هو الاختيار بين الاثنين، كالبرقوق، وهذا ممتاز، فـــإذا ما اختارتـــه أتزوّجها. هكذا كان يفكر فرانســـوا، وفـــي هذه اللحظة تحديدا رفعت ناتالي مقدمة البطاقة، وكأنها اســـتيقظت من تأمل طويل، وهو التأمل ذاته الذي قاد الشخص المجهول ليكون أمامها.

- أريد أن تناول عصيرا..

- ....؟

- عصير البرقوق، على ما أظن.

حدَّق فيها وكأنها كانت طريقة لتهشيم الواقع.

إذا مـــا وافقت على الجلوس مع هـــذا الغريب فهذا يعني أنها وقعت تحت تأثير الجاذبية، لقد أحبّت بشكل مباشر هذا المزيج بين الرعونة والوضوح، الموقف المفقود بين بيير ريشـــار ومارلـــون براندو. ومن الناحية الجســـدية فإنه يمتلك شـــيئا مما تســـتلطفه عند الرجال: الخـــزرة الرقيقة، الرقيـقة جدا والمنظـــورة مع ذلك. أجل، كان من المدهش أن تجد ثانية هذه التفاصيل لديه، وفوق كل ذلك إنه يُدعى فرانسوا، وهـي التي تحب هذا الاسم دائما، لقد كان رشيقا وهادئا تماما، وهذا ما يتطابق مع ما كوّنته من فكرة عن أنه في الخمسين من العمر. كان يتحدث في هذه اللحـــظة بسلاســـة أكثر فأكثر، لا توجد بينهما أية شـــكليات أو انزعاج أو توتر، وخـــلال عشر دقـائق، كان مشـــهد التصادم الأساسي في الشارع قـد تـم نسيانه.

لقد حصل لديهما انطباع يفيد بأنه سبق لهما أن التقيا، وتقابلا لأنهما ضربا موعدا، لقد كان هذا نابعا عن تلك البساطة المحرجة، البساطة التي تريك كل المواعيد الأخرى السابقة، عندما كان عليه أن يتكلم، ويحاول أن يكون مضحكا، بذل جهودا كثيرة من أجل أن يبدو شخصا ظريفا، صار وضوحه مبعثا للضحك، أما ناتالي فقد كانت تحدق بهذا الصبي الذي لم يعد شخصا مجهولا، حيث إن الأحرف الأولى التي يتستر الاسم تحتها تتمحي بشكل تدريجي تحت عينيها، وهي تحاول أن تتذكر إلى أين ذهب في الوقت الذي التقت به. كان ذلك غير واضح، فهي ليست من النوع الذي يتنزه من دون هدف، لا تريد أن تسير مقتفية آثار رواية كورتازار التي فرغت من قراءتها للتو؟ كان الأدب حاضرا بينهما حينذاك، أجل وهو كذلك، فقد قرأت «الحجلة»، وأحبت تلك المشاهد التي يحاول فيها الأبطال اللقاء في الشارع على وجه الخصوص، بينما هم يجوبون بخطى واسعة «المسارات التي ولدت من جملة أطلقها شحاذ»، وفي المساء يباشرون جولاتهم اعتمادا على الخارطة، ليروا في أي وقت كان يجب عليهم أن يحققوا اللقاء، وفي أي وقت عليهم أن يقتربوا من بعضهم بشكل مؤكد، وهكذا كانت غارقة في أجواء الرواية.

3

الكتب الثلاثة المفضلة عند ناتالي هي:

- حسناء اللورد - لألبير كوهين.

- العاشق - لمارغريت دوراس.
- الانفصال - لدان فرانك.

4

كان فرانسوا يعمل في عالم المال، ويكفيه أن يمضي خمس دقائق في شركته ليجد ذلك أيضا بأنه في غير محله، مثله مثل ميل ناتالي التجاري، ربما هناك سلطة مطلقة ملموسة تقف في الضد من الكفاءات على الدوام، هذا ما كان يقال. من الصعوبة بمكان التخيل أن يكون بوسعه فعل شيء آخر، وعلى الرغم من أننا رأيناه خجولا في لحظة لقائه بناتالي، لكنه كان رجلا مملوءا بالحيوية، زاخرا بالأفكار والطاقة، ولأنه يتّقد عاطفة فإنه يمكن أن ينهض بأعباء أية مهنة، حتى لو القيام بمهنة ممثل للعلاقات. لقد كان رجلا يمكن أن نتصوره وهو يحمل حقيبة، ويصافح الأيدي عساه يشد على الأعناق، وكان يمتلك جاذبية توتر أولئك الناس الذين يمكنهم أن يبيعوك أي شيء. كان يمكن الذهاب معه لممارسة التزلج في الصيف، والسباحة في بحيرات آيسلندا، إنه من صنف الرجال الذين يتحرشون لمرة واحدة بامرأة في الشارع، ويعثر على المرأة المناسبة. لقد بدا النجاح يبتسم له، بما في ذلك عالم المال، ولم لا؟ لقد صار جزءا من هؤلاء التجار حديثي العهد الذين يلعبون بالملايين مع الذكرى الأخيرة لأسهمهم في البنك الاحتكاري، ولكنه ما إن كان يغادر مصرفه، حتى يصير رجلا آخر. لقد بقيت البورصة منعقدة بدورتها، ولم تمنعه مهنته من مواصلة حياته متنعما بأهوائه. إنه يحب ممارسة لعبة التسلية

التـــي تتكون من قطع عديدة، قد يبـــدو ذلك غريبا، ولكن ما من شـــيء يقنن من غلوائه ســـوى أن يقضي معظم أيام السبت وهو يجمـــع الآلاف من القطع. أما ناتالي فكانت تراقب خطيبها وهو مقرفص في الصالة؛ مشهد صامت، وعلى حين غرّة كان ينهض ويأخذ بالصراخ:

- هيا، تعالي لنخرج!

كان ذلـــك آخر شـــيء ينبغـــي أن يحدده، فهو لـــم يكن هاويا للانتقال من حال إلى حال، كان يحب الانقطاعات، والتحول من الصمت إلى الهيجان.

كان الزمن، مع فرانســـوا، يســـير بســـرعة جنونيـــة، ويمكن الاعتقاد بأنه كان يمتلك مقدرة القفز على الأيام، وابتكار أسابيع غريبة مـــن دون يوم خميس، فما كادا أن يلتقيا حتى احتفلا بما مضى لهما من سنتين.

مرّت ســـنتان من دون أن يكدر صفوهما شيء، أو تريكهما أية حماقة. نحدّق فيهما كما لو أننا ننظر إلى بطل بإعجاب، كانـــا يرتديان المايوه الأصفر الذي يرمـــز للحب. ناتالي تتابع دراستها بنجاح باهر، وهي تحاول جاهدة التخفيف من رتابة فرانســـوا اليومية، والواقع أن اختيار رجـــل أكبر منها بقليل، ويمتلك مكانـــة مهنية، أتاح لها مغادرة منـــزل العائلة، ولأنها لا ترغب في العيش عالـــة عليه، قررت أن تعمل خلال بعض الأماســـي في الأسبوع كعاملة في مســـرح، كانت سعيدة بهذا العمل الذي عوّض لها عن الوسط الجامعي الصارم. وذات مرة كان المشاهدون يجلسون في أماكنهم، أما هي فقد اتخذت لها مكانا في نهاية الصالة، وبعد أن جلســـت أخذت تتابع مشهدا

كانت تحفظه عن ظهر قلب، وقد حيّت الجمهور، وهي تحرك شـفتيها بالإيقاع ذاته الذي تحرّك به الممثلات شفاههن، في الوقت الذي انطلق فيه التصفيق، قبل الترويج للمنهاج.

ولأنها تعرف المسـرحيات، كانت تتسـلى بتحشـية يومها بالحـوارات، والتجـوال في الصالـة وهي تموء بـأن القط الصغيـر كان يحتضر، وكان الأمر يتعلق في تلك الأمسـيات الأخيرة بمسـرحية لورانزاسيو لموسيه التي مثلتها وهي تلقي إجابات من هنا وهناك في الفوضى، وفي حالة من التشـوش التـام: «تعال من هنا، الهنغاري على حق»، أو مرة أخرى: «من هناك في الوحل؟ من الذي يزحف على أسـوار قصري بهذا الصراخ المرعب؟».

هذا ما سـمعه فرانسـوا في ذلـك اليـوم، حينما حاول استجماع أفكاره، وتساءل:

- هل تستطيعين إثارة قليل من الضوضاء؟

- نعم.

- إنني بصدد أن ألعب لعبة مسلية مهمة جدا.

عندئذ أخذت ناتالي حذرها، مراعية وضع خطيبها، فقد بدت هذه اللعبة المسـلية مختلفة عـن الأخريات، لم ير أحد فيها دوافع، أو قصورا، أو شـخصيات، لقد كانت تعني قاعا أبيضَ تنفصل عنه حلقات حمراء؛ حلقات تتكشـف عن كونها حروفا، لقد كانت رسالة على شكل تلك اللعبة المسلية. تركت ناتالـي الكتاب الذي فتحته منذ قليـل، لتراقب تقدم اللعبة، وكان فرانسوا يلتفت بين الفينة والأخرى نحوها، وكان مشهد الكشف يتقدم نحو خاتمته، ولم يبق سوى بضع قطع، وناتالي

تكهنت فيما سبق برسالتها، الرسالة المبنية بدقة، بمساعدة مئات من القطع، أجل بوسعها القراءة الآن ما يكتبه:

- هل تريدين أن تصبحي زوجتي؟

5

منصة بطولة العالم للعبة التسلية
التي تجري في مانسك
من 27 أكتوبر إلى الأول من نوفمبر
1 - أولريش فواغت- ألمانيا: 1464 نقطة
2 - محمد مراد سفيم - تركيا: 1266 نقطة
3 - روجر باركان - الولايات المتحدة: 1241 نقطة

6

لكي لا يكون هناك ما ينتقص من هذه الآلية الجميلة، كان الاحتفال قد نجح نجاحا باهرا، وهو احتفال بسيط وطريف، ليس فيه مغالاة، كما ليس فيه شيء من التحفظ، فهناك قنينة شمبانيا واحدة للمدعو، كان ذلك تقليدا، والبهجة واقعية. لقد وجب أن يكون احتفالا مخصصا لزواج، ولأنه أكثر من كونه عيد ميلاد فقد كان هناك نظام تسلسلي من الالتزام بالفرح، والزواج في قمة هذا الهرم. ينبغي توزيع الابتسامات، وينبغي الرقص، وينبغي فيما بعد حث الكبار من أجل الذهاب إلى النوم، ولا ننسَ أن نوضح جمال ناتالي الذي نشّط من ظهورها،

في حركة تصاعدية، وهي تعد منذ أسـابيع شـأنها ومظهرها، اسـتعداد مسـيطَر عليه تماما؛ لقد كانت في أوج جمالها، وكان ينبغي تجميد هذه اللحظة الفريدة، مثل آرمسـترونغ الذي غرز العلم الأمريكي على سطح القمر. كان فرانسوا يراقبها بانفعال، وهو الذي سمّر في ذاكرته هذه اللحظة أكثر من الجميع. ها هي زوجته أمامه، وكان يعرف أن تلك الصورة هي التي سـتمر أمام عينيه في لحظة احتضاره، وهكذا كان في قمة السعادة. عندئذ نهضت وتسلمت المايكروفون، وغنت لحنا من ألحان أغاني البيتلز (Here، There and Every where 1966). كان فرانسوا مجنونا بجون لينون، فقد كان يرتدي الملابس البيضاء تكريما له، وهكذا عندما رقص الزوجان امتزج بياض هذا في بياض ذاك.

ولسوء الحظ، أخذت السماء تمطر، وقد منع هذا المدعوّين من الاسـتراحة تحت السماء، وتأمل النجوم بالإيجار، وفي الحالات هـذه، كان الناس مولعـين بذكر أقوال مأثـورة مضحكة، وفيما يخص الحالة الراهنة: «زواج مطري، زواج سـعيد». لماذا نخضع وعلـى الدوام إلى مثل هـذا النوع من العبـارات غير المنطقية؟ بالتأكيد لا يشـكل ذلك خطورة، فالسـماء كانـت تمطر، وهذا ما كان يشـي بشـيء من الحزن بالضبط، هذا كل ما في الأمر، لم تعد الأمسـية بتلـك الضخامة بعد أن اقتطعـت من أزمنتها شـم الهواء في الخـارج، لقد ضاقوا ذرعا وهـم يرقبون هطول المطر بازدياد كبير، سـيذهب البعض بشكل أكثر من المتوقع، أما البعض الآخر فسيستمر في الرقص بالطريقة نفسها التي كانت تتسـاقط ثلجا، بينما كان هناك آخـرون يترددون. هل كان ذلك له من الأهمية بالنسـبة للزوجين؟ تأتي ساعة من السعادة فيها

يكون المرء وحيدا بين الحشـــد، أجل، لقد كانا وحيدين في دوامة من الأنغام وموسيقى الفالس، ينبغي الدوران أطول وقت ممكن، كما يقال، الدوران إلى الحد الذي لم يعد يعرف فيه المرء إلى أين يمضي. لم تعد تفكر بشيء، فقد كانت الحياة ولأول مرة معيشة في كثافتها الفريدة والشاملة، إنها الحياة الحاضرة.

أمســـك فرانســـوا ناتالي من خصرها ليجرها نحو الخارج، اجتازا الحديقة، وهما يركضـــان، قالت له: «أنت مجنون»، لكنه كان الجنون الذي جعلها تطير من الفرح، وهما مبتّلان يســـتتران الآن بالأشـــجار. في الليل، تحت المطـــر، ينبطحان على الأرض مباشرة، الأرض التي صارت موحلة، لم يعد بياض ملابسها سوى ذكرى، رفع فرانسوا ثوب زوجته، وهو يعترف بأن هذا هو ما كان يريد أن يقوم به منذ بداية الأمســـية، كان يود أن يقوم بذلك في الكنيسة نفسها، «نعم» تلك كانت طريقة مباشرة لتمجيد الاثنين، لقد كان ممسكا بزمام رغبته، حتى هذه اللحظة، أما ناتالي فقد كانت مندهشـــة من قوته، ولم تعد تفكر منذ تلك اللحظة، لحقت بزوجها، وهي تحاول اســـتعادة أنفاسها بطريقة سليمة، وتحاول عدم الاستســـلام إلى مثل هذا الهـــوى، لقد كانت رغبتها تلاحق رغبة فرانســـوا، كانت بها رغبة شديدة بأن يضمها الآن في أول ليلـــة لهما كزوج وزوجة، كانت تنتظر، وتنتظر، غير أن فرانســـوا حرف الســـفينة باتجاه آخر، كان فرانســـوا يتمتـــع بطاقة هائلة وبشهية لا حدود لها من المتعة، ولكنه شعر في لحظة ما بأنه كان مشـــلولا وحســـب، ربما كان الجزء الذي يمت بصلة إلى الخوف من السعادة الحية بإفراط، ولكن كلّا، كان هناك شيء آخر، شيء آخر أعاقه في هذه اللحظة، منعه من المواصلة، فسألته:

- ما الذي حدث؟

فأجاب:

- لا شيء.. لا شيء.. إنها فقط المرة الأولى التي أمارس فيها الحب مع امرأة متزوجة.

7

أمثلة من أقوال مأثورة مضحكة يعجب الناس تداولها:

تفقد واحدة، تجد عشرة

* * *

من أجل أن نعيش سعداء، علينا أن نعيش في الخفاء

* * *

المرأة الضاحكة في السرير إلى النصف

8

لقد سافرا في رحلة العرس، والتقطا صورا عديدة، ثم عادا. عليهما الآن أن يفتتحا الجزء الحقيقي من حياتهما، كانت ناتالي قد أنهت دراساتها منذ أكثر من عشرة أشهر، وهي حتى الآن، كانت تستخدم العذر في التحضير للزواج بغية عدم البحث عن عمل، إن التدبير للزواج يعني ذلك وكأنه تشكيل حكومة بعد حرب. إذن ماذا يفعل المتعاونون؟ هنالك قدر من التعقيد الذي يبرر هذا الزمن المستغل الذي لا يقوم إلا بذلك. وأخيرا لم تكن الحقيقة تماما، فقد كانت تريد أن تمضي بعض الوقت من أجل

نفسها بالخصوص، بعض الوقت للقراءة، والتجوال، كما لو كانت تعرف أن الوقت هذا، لم تعد تستطيع امتلاكه بالتالي، ذلك أن الحياة المهنية قد اختطفتها، وحياتها الزوجية بلا ريب.

لقد حان الوقت لتجاوز الأحاديث، فبعد عدة محاولات، أدركت أن الأمر ليس بالبساطة، الحياة الاعتيادية هل كانت هكذا؟ ومع ذلك فكّرت بالحصول على دبلوم معترَف به، وأن تجربة بعض الدورات المهمة لم تكن كافية للخدمة في المقاهي بين نسختين مصورتين اثنتين، لقد حصلت على موعد من أجل عمل في شركة سويدية، وكانت مندهشة للغاية إثر الاستقبال المباشر من قبل رئيس الشركة، وليس من قبل مدير الموارد البشرية، ففيما يخص التعيين، كان يريد أن يدقق تدقيقا تاما، تلك هي إدارته الرسمية، لقد كانت الحقيقة براغماتية إلى أبعد الحدود؛ دخل إلى مكتب إدارة الموارد البشرية، وشاهد صورة عن ملف سيرة حياة ناتالي، لقد كانت صورة غريبة إلى حد كبير؛ ليس بالإمكان حقا إعطاء تقويم حول جسدها، بالتأكيد نحن نشك بأنها لم تكن خالية من الجمال، ولكن ليس هذا هو ما لفت انتباه رئيس الشركة، وإنما شيء آخر، شيء لم يتوصل إلى تحديده حقا، شيء كان يشبه إحساسا متزايدا بالوداعة، أجل، ذلك ما شعر به، كان يرى أن هذه المرأة تبدو حصيفة.

لم يكن شارل ديلامان سويديا، ولكن يكفي الدخول إلى مكتبه لتتساءل فيما لو لم يكن له من الطموح ليحققه، بالتأكيد من أجل أن يرضي مساهميه، على طاولة من الدرجة الأولى، كان يمكن أن نرى صحنا فيه قطعا صغيرة من الخبز التي تشكل فتاتا كثيرا.

- لقد كشفت عن مسيرتك بكثير من الاهتمام.. و..
- نعم؟
- تحملين خاتم زواج، هل أنت متزوجة؟
- آه.. نعم.

كان هنالك بياض، تأمل شارل في سيرة حياة هذه المرأة الشابة مرات عديدة، ولم يجد سوى أنها امرأة متزوجة، في اللحظة التي قالت فيها «نعم»، ألقى نظرة سريعة على سيرة حياتها، إنها متزوجة فعلا، كان ذلك وكأن الصورة قد خلطت في ذهنه موقف المرأة الشخصي، وبعد كل ذلك، أكان ذلك مهما حقا؟ ينبغي الاستمرار بالمقابلة لكي لا يترك لأدنى مضايقة يمكن أن تتسع.

استأنف:

- وكم لديك من الأطفال؟

أجابت ناتالي من دون أدنى تردد:

- ليس لدي في الوقت الراهن.

كان يمكن أن يبدو هذا السؤال طبيعيا بالمطلق في أثناء مقابلة التشغيل مع امرأة شابة متزوجة للتو، لكنها شعرت بشيء مختلف، من دون أن تكون قادرة على تحديده. توقف شارل عن الكلام، وأخذ يتفحصها، وأخيرا، نهض وتناول قطعة بسكويت.

- هل تريدين الخبز السويدي المحمص؟
- لا شكرا.
- لا بد لك.
- هذا لطف، لكنني لست جائعة.
- كان عليك أن تجربي، نحن لا نأكل سواه هنا.

- تريد أن تقول: إن...؟
- أجل.

9

كان لدى ناتالي انطباع بأن الناس يحسدونها على سعادتها، وهو انطباع مشتت، إذ لا شيء ملموس حقا، إنه شعور عابر تماما، لكنها تشعر به ثانية عبر عديد التفاصيل والابتسامات التي ترتسم بالكاد، وتتطق بالكثير، وعبر طرائق النظر. ما من أحد يستطيع أن يتخيل أنها كانت تخشى السعادة هذه، الخشية التي يمكن أن تتضمن التهديد بالتعاسة، لقد حدث لها أن استدركت عندما قالت: «أنا سعيدة»، بنوع من التطيّر، ونوع من الذكرى التي تنتمي لكل هذه اللحظات التي كانت الحياة فيها في نهاية المطاف تتبنى الجانب السيئ.

كانت العائلة والأصدقاء الذين حضروا الزواج يشكلون ما يمكن أن نطلق عليه «حلقة الضغط الاجتماعي الأولى»، الضغط الذي كان يطالب بولادة طفل، أكان يقتضي أن يضجرا عند هذه النقطة من حياتهما من أجل الاهتمام بحياة الآخرين اهتماما كبيرا؟ دائما كان الأمر على هذه الشاكلة. لقد كان العيش تحت شرط رغبات الآخرين، ما كان كل من ناتالي وفرانسوا يريدان أن يصبحا مسلسلا لمحيطهما. في الوقت الحاضر هما يحبان فكرة أن يكونا ثنائيين، وحدهما في العالم، في صورة اعتيادية من الرخاء العاطفي. لقد عاشا مذ التقيا، في فورة من الحرية المطلقة. مولعان بالسفر، ويغتنمان أدنى عطلة مشمسة في نهاية

الأسبوع، لقد جابا أوروبا ببراءة رومانسية، وربما كان عدد من شهود حبهما قد استطاعوا رؤيتهما في روما، في لشبونة، أو في برلين. كانا لديهما شعور بأنها يتوحدان مع بعضهما أكثر مما كانا وهما مشتتان. لقد كانت هذه الرحلات تترجم عندهما أيضا معنى حقيقيا للرومانسية، كانا شغوفين بالأماسي التي فيها يرويان لقاءهما من جديد، فيتذكران التفاصيل بانشراح، ويفتخران بالدقة الموضوعية. لقد كانا، فيما يختص بأسطورة حبهما كالأطفال الذين يحكى لهم الحكاية ذاتها من دون كلل.

عندئذ نعم، كان يمكن لهذه السعادة أن تثير الخوف.

لم تخدشهما الحياة اليومية، وكانا وهما يعملان معا أكثر فأكثر، يحاولان بشكل ما أن يلتقيا، أن يتناولا فطورهما معا بسرعة، أن يتناولا فطورهما «على عجل» كما يقول فرانسوا، أما ناتالي فقد أحبت هذا التعبير، كانت تتصور لوحة حديثة، تمثل زوجين وهما يتناولان فطورهما على عجل، كما لو أنهما يتناولان الفطور فوق العشب، تلك هي اللوحة التي رسمها دالي، كما تقول، وهناك أيضا عدة عبارات أحيانا مثيرة للإعجاب وسامية، بينما من قالها لم يحقق منها أي شيء. كان فرانسوا يحب قدرة لوحة دالي هذه، يحب أن تتمكن زوجته من أن تبتكر، وحتى تغير، قصة الرسم. كان ذلك شكلا من أشكال البساطة المتوجهة إلى أقصى حد. همس بأنه كانت لديه رغبة بها الآن، رغبة أن يأخذها إلى مكان ما، أي مكان، ولكن كان ذلك مستحيلا، إذ عليها أن ترحل، وعندئذ سينتظر حتى المساء، وسيرتمي عليها برغبة متراكمة منذ ساعات مضت في حالة من الحرمان، فحياته الجنسية، مع مرور الزمن، لا يبدو أنها

أصبحت تافهة. شيء ما نادر: ما تزال هناك بينهما آثار من يومهما الأول في كل يوم.

كانا يحاولان الاحتفاظ بحياة اجتماعية، والاستمرار باللقاء مع الأصدقاء، والذهاب إلى المسرح، والقيام بزيارات مفاجئة لأجدادهما، كانا يحاولان عدم السماح لنفسيهما بأن تسجنا، واللعب بفخ التعب. لقد مضت السنوات هكذا، وكل شيء كان يبدو بسيطا جدا، في حين كان الآخرون يبذلون الجهود. لم تفهم ناتالي هذا التعبير: «زوجان، يعني أنهما يعملان»، كانت الأمور بسيطة أو أنها لم تكن، بحسب وصفها، إنه لمن السهولة بمكان التفكير بذلك عندما يكون كل شيء صريحا، عندما لا يوجد هناك غموض، وأخيرا بلى، أحيانا. ولكن كان قد وجب التساؤل فيما لو أنهما لم يتشاجرا من أجل متعة التصالح بكل بساطة، حينئذ ماذا؟ لقد صار ذلك مقلقا إلى حد ما بهذا القدر من النجاح، كان الوقت يمر على هذه الحياة المطمئنة، وعلى مهارة الأحياء النادرة.

10

ناتالي وفرانسوا
يتأملان وجهات مستقبلية
برشلونة

* * *

ميامي

* * *

لابول

11

يكفي أنــك تتنفس من أجل أن يمر الوقــت، وهذا ما يجعل من ناتالي، قبل خمس سنوات من العمل في مؤسستها السويدية، خمس ســنوات من العمل بكل أنواعه، تروح وتغدو في الممرات والمصاعد، بمســافة قد تعادل ما بين باريس وموســكو، خمس ســنوات وألف ومئتان واثنتا عشــرة حافلة مقهى سيّارة، حيث إن ثلاثمئة وثمانين موعدا من أصل أربعمئة وعشرين موعدا انتظمت فيها مع الزبائن. كان شارل في غاية الفرح وهو يعدها بين المساهمين المقربين، فليس عجيبا أن يدعوها إلى مكتبــة، بالضبط ليقدم لها التهاني، بالطبع كان يتصرف هكذا، مفضلا المســاء، عندمــا يكون الناس قد رحلوا جميعــا، ولكن لم يكن ذلك بالتصرف غير المهذب، كان يجرّب كثيرا مــن التودد إليها، وكان يســتلطف هذه اللحظــات التي كانا يجدان نفسيهما فيها وحدهما. بالتأكيد، كان يحاول أن يخلق أرضية مواتية للبــس، فما مــن امرأة يمكن أن تكــون مغررا بها بمثــل كذا حيلة، غيــر أن ناتالي كانت تعيش في ضبابية غريبــة فيما يخص الزواج الأحادي، عن حب. عفوا عن هذا الحب الذي يلغي الرجال الآخرين، ولكن بكل رؤية موضوعية من محاولات الإغواء. كان شــارل يتسلى بذلك، ويفكر بفرانســوا، بوصفه أسطورة، ربما هذه الطريقة التي شــعرت بها لكونها لم تكن من الإغواء بشــيء قد بدت له بوصفها نوعا من التحدي. قد يتوصل إلى أن يبتكر بين ليلة وضحاها أرضية مضطربة صغيرة بينهما. أحيانا، كان يغير من الموقف جذريا، ويندم على استخدامها، كان ينهكه التأمل اليومي بهذه الأنوثة المنيعة.

إن علاقــة ناتالي مــع رب العمل، والتي يراهــا البعض أنها علاقة مميزة، كانت قد خلقــت أزمات عديدة، وقد حاولت هي التخفيف منها، من خلال عدم الخوض في صغائر الأمور بالحياة المكتبية، وإذا ما كانت قد احتفظت بمســافات مع شــارل، فكان ذلك أيضا من أجل هذا الســبب، من أجل ألا تخسر نفسها في دور المحظية القديم. لقد فرضت عليها أناقتها وهالتها في نظر رب العمل أن تكون أكثر صرامة، هذا ما كانت تشعر به، من دون أن تعــرف فيما لــو كان ذلك مبررا، كان الجميع يُجمع بحســب توقعاتهم لهذا المرأة المتألقة، الحيوية، الشــغولة، بأنها ستحصل على مستقبل باهر في المجتمع. لقد علم المساهمون السويديون، مرارا وتكــرارا، بمبادراتها الممتازة، كانــت الغيرة التي تظهرها تتجســد من خلال أعمال ماكرة، كانت هنــاك عدة محــاولات لزعــزعــتها، ولكنهــا لم تكن تتبرم، ولم تك قط من النوع الذي يتشكى في المساء، عندما تلتقي بفرانسوا، وكانت تلك أيضا هي طريقة في التعبير عن أن مشهدا قصيرا من فوضى الطموحات ليــس له مــن الأهمية أكثر مــن ذلك. هذه المقــدرة على تمرير المشــكلات كانت تعرف بالقوة، ربما كان ذلــك ينم عن مقدرتها القوية، المقدرة التي لا تسمح لضعفها بالظهور.

12

المسافة بين باريس وموسكو
2478 كيلومتر

13

كانت ناتالي منهكة في عطلة نهاية الأسبوع، ففي يوم الأحد، كانت تحب القراءة، وهي ممددة على الأريكة، وهي تحاول تناوب الصفحات والأحلام عندما يحملها الاسترخاء فوق الخيال، كانت تضع غطاء على ساقيها، ماذا أقول غير ذلك: آه، نعم، كانت تحب إحضار إبريق الشاي الذي تشرب منه عدة أكواب، برشفات صغيرة وكأن الشاي كان ينبوعا لا ينضب. في يوم الأحد ذاك، الذي حدث فيه كل شيء، كانت تقرأ قصة روسية طويلة، لكاتب أقل شهرة من تولستوي ودوستويفسكي، وهو الذي استطاع إثارة التأمل بعدم عدالة الأجيال القادمة. لقد كانت تحب ضعف شخصية البطل، وعجزه عن التصرف، وعن التعبير عن طاقته اليومية. لقد كان هنالك قدر من الحزن في هذا الضعف.. مع الشاي تحب الروايات الطويلة.

مرّ فرانسوا قريبا منها: «ماذا تقرئين؟»، قالت إن هذا كاتبا روسيا، ولكنها لم تحدد، إذ بدا لها أنه لم يطرح السؤال إلا بطريقة مهذبة، وبطريقة آلية. في يوم الأحد ذاك كانت تحب القراءة، وتحب الجري، كانت ترتدي الشورت الذي وجدته مثيرا للسخرية، لم تكن تستطيع أن تعرف أنها تراه للمرة الأخيرة، إنه «ينطنط» في كل مكان، وهذه الطريقة هي التي يسخن نفسه بها في صالته، ويستعيد أنفاسه بقوة قبل أن ينطلق، وكأنه يريد أن يترك فراغا كبيرا بعده. قد ينجح، وهذا مؤكد، فقبل أن يرحل انحنى على زوجته، وأخبرها ببعض الأمور، ومن الغريب

أنها لم تتذكر هــذه الكلمات، وقد يتبخر لقاؤهما الأخير، ومن ثم خلدت للنوم.

عندما اســتيقظت بدا لها مــن الصعوبة بمكان معرفة كم من الوقت كانت قد غفت. عشــر دقائق أم ســاعة؟ تناولت قليلا من الشــاي، كان ما يزال ساخنا، وتلك كانت علامة، إذ يبدو أن شيئا لم يتغيــر، وكان ذلك تماما هو الموقف نفســه قبل أن يحل وقت نومها. أجــل، كان ذلك هو هو. رن الهاتف خلال هذه العودة إلى الذات، امتزجت ضجة رنينه ببخار الشــاي، في توافق غريب من الأحاسـيس، تراجعــت ناتالي، وبعد دقيقة، لــم تعد حياتها هي ذاتها، وبشكل عفوي وضعت شارة الصفحة في كتابها، وأسرعت إلى الخارج.

14

بعد أن وصلت إلى صالة المستشفى، كانت لا تعي ما تقول وما تفعل، لقد بقيت من دون حركة مدة طويلة، في صالة الاستقبال، أشــاروا عليها أين تجد زوجها، ثم وجدته ممددا، جامدا، ظننت ربما كان نائما، لم يحرك ســاكنا قط فــي الليل، وهنا، في هذه اللحظة، كانت ليلة ككل الليالي تماما.

سألت ناتالي الطبيب:

- كم هي فرصه المؤاتية؟
- ضئيلة.
- ماذا تعني ضئيلة؟ هل معنى ضئيلة أنها معدومة؟ وفي هذه الحالة، قل لي إنها معدومة.

- ليس بوســـعي أن أقول لك ذلك، سيدتي.. الفرصة ضئيلة، لا نعرف قط.

- ولكــن إلى هذا الحــد، عليك أن تعرف! إنهــا مهنتك في المعرفة!

لقــد أخذت تصــرخ بهذه العبارة بكل قواها لمــرات عديدة، ثم توقفــت. وعند ذاك أخذت تحدق بالطبيــب، الذي كان هو الآخر جامدا، متشــنجا. لقد شاهد مشاهد ومواقف حزينة عديدة، لكن هنا، من دون أن يكون لديه القوة على أن يوضح السبب، كان يشعر وكأن درجــة فائقة من التسلســل الدرامــي، كان يتأمل وجه هذه المــرأة، وهي تتلوى من الألم، وهي غيــر قادرة على البكاء إلى حدّ أن الألم كان يجففه. تقدمت نحوه، ضائعة، غائبة، قبل أن تنهار.

عندما عادت إلى رشدها، رأت أبويها وكذلك أبوَي فرانسوا، وكانت قبــل ذلك، منهمكة في القراءة، وهكذا لم تعد في بيتها. إن الحقيقة كانت قد تشــكلت ثانية، أرادت أن تتقهقر في النوم، تتقهقــر في يوم الأحد، ليس ذلك ممكنــا، لم يكن ذلك ممكنا، ذلك هو الذي لم يكف عــن التكرار في لائحة طويلة ومملة من الهذيان، لقد أوضحوا أنه في غيبوبة، وعلى الرغم من أن شيئا لم يضع، ولكنها كانت تشعر بأن كل شيء قد انتهى، كانت تعرف ذلك، ولم تكن تمتلك الشــجاعة لتقاتل، ماذا تفعل؟ أتحتفظ به حيا لمدة أسبوع؟ وماذا بعد؟ لقد رأته، لقد رأت جموده، لم يصح أحد من مثل هذا الجمود، ولم يبق هكذا إلى ما لا نهاية.

أعطيتْ له بعض المسكنات، كان جميع الناس حولها في حالة انهيار، وكان عليه أن يتكلم، وأن يشــد من عزمه، ولكن لا طاقة له بذلك.

- سأبقى بجانبه لأهتمّ به.

قالت لها أمها:

- كلا، هــذا لا يجدي نفعــا، من الأفضل أن تعودي إلى بيتك وتأخذي قسطا من الراحة.

- لا أريــد أن آخذ قســطا من الراحة، قــررت أن أبقى هنا، قررت أن أبقى هنا.

كانــت وهي تقول ذلك، على وشــك أن يغمــى عليها. حاول الطبيب إقناعها بأن ترافق أبويها.

تساءلت:

- ولكن ماذا إذا استيقظ وأنا لست إلى جانبه؟

حينذاك ســاد صمت مطبق، لم يكن أحد بوســعه أن يصدق بيقظته. حاول البعض، واهما، أن يهدّئ من روعها:

- ســنخبرك فــي الحال، ولكن هنا، من المستحســن حقا أن تأخذي قسطا من الراحة.

لــم ترد ناتالي، وألــحّ عليها الجميع بأن تســتلقي، وأن تتابع الحركة الأفقية، وعندئذ ذهبت مع أبويها. أعدت لها أمها حساء لم تســتطع ابتلاعه، تناولت ثانية قرصين من الدواء، ثم انهارت على فراشــها في غرفتها، وهي غرفــة طفولتها، كانت في ذلك الصباح ماتزال امرأة، وتنام الآن مثل طفلة صغيرة.

15

حدود العبارات التي تلفظ بها فرانسوا

قبل أن يذهب للجري.

أحبك.

* * *

أهيم بك.

* * *

بعد الرياضة، التشجيع.

* * *

ما الذي نأكله هذا المساء؟

* * *

قراءة ممتعة يا حبيبتي.

* * *

إنني على عجل لألتقي بك ثانية.

* * *

ليس في نيتي أن أحطم نفسي.

* * *

ينبغي حقا أن نتناول العشاء مع برنار ونيكول.

* * *

ينبغي مع ذلك أن أقرأ كتابا أنا أيضا.

* * *

سأمضي للاعتناء بربلة ساقي على وجه الخصوص.

* * *

في هذا المساء، نكوّن طفلا.

16

بعـــد بضعة أيام توفي، وكانت ناتالي فـــي حالة غير طبيعية، مرهقة بســـبب المســـكّنات، ولم تتوقف عـــن التفكير مرة أخرى باللحظة الأخيرة التي كانت بينهما، لقد كانت لحظة لا معنى لها، كيف أن قدرا من السعادة كان يمكن أن يتحطم هكذا؟ لقد انتهت على رؤية مثيرة للســـخرية لرجل كان يتقافز في الصالة، ومن ثم تلـــك الكلمات الأخيـــرة التـــي همسها لها فـــي أذنها، لم تتذكر منها شـــيئا قط، ربما همس لها في العنق بكل بساطة، في وقت رحيله، كان بالتأكيد شبحا، بشكل إنسان بالتأكيد، ولكنه لا ينتج سوى الصمت، لأن الموت كان قد حّل.

فـــي يوم الدفن، لـــم يتغيب أحد، كل النـــاس كانوا موجودين في منطقـــة طفولة فرانســـوا، كان يمكن أن يكون ســـعيدا بهذا الجمع، هكـــذا فكرتْ، ومـــع ذلك لا، كان من العبث التفكيـــر بهذا النوع من الأمور، كيف أن ميتا يمكن أن يكون سعيدا، مهما يكن من أمر فلقد كان يأخذ بالتحلل بين أربعة ألواح من الخشب، كيف بوسعه أن يكون ســـعيدا. كانت ناتالي، وهي تسير خلف النعش المحاط بأقاربه، قد خطرت ببالها فكرة أخرى؛ إنهم المدعوون أنفســـهم الذين دُعوا إلى زواجنـــا، أجل إنهم جميعا هنا، تماما يشـــبه ذلك اليوم، وبعد مضي عدة ســـنوات يجد المرء نفســـه، والبعض منهم وهو يرتدي ملابسه بالطريقة ذاتها، قد أخرجوا بدلاتهم الوحيدة الداكنة، الملائمة أيضا للفرح والأســـى في آن معا، الاختلاف الوحيد هو الطقس، فقد كان الوقت مشمسا هذا اليوم، وكان يمكن للمرء أن يشعر بالدفء.

والأمر برمته في شهر فبراير، نعم، إن الشمس فيه غير ساطعة، وكانت ناتالي وهي تحدق فيها، وقد احترقت عيناها إلى حدٍّ ما في النظر هكذا، قد تشوشت رؤيتها في هالة من الضوء البارد.

لقد دفنوه في الأرض، وانتهى كل شيء.

بعد مراسم المأتم، كانت تستبد بناتالي رغبة عارمة وهي أن تظل وحدها، لم تكن ترغب بالعودة إلى بيت والديها، ولم تعد تريد أن تشعر بنظرة الحنو هذه في أن تشفق عليها، كانت تريد أن تنزوي، وتحبس نفسها، وتعيش في مقبرة. رافقها عدد من الأصدقاء، وطوال المسافة في السيارة، لم يعرف أحد ما يقوله، اقترح السائق قليلا من الموسيقى، ولكن ناتالي طلبت منه أن يطفئ بسرعة، كانت الحالة لا تطاق، كل لحن يذكرها بفرانسوا، وكل نغمة كانت صدى لذكرى، ولحكاية، ولضحكة، ولقد أدركت أن ذلك سيكون مرعبا، لقد كان لديها، في خلال سبعة أعوام من الحياة المشتركة متسع من الوقت لأن تتشتت في كل مكان، وأن تترك أثرا على كل الأنفاس، وهي تدرك أنها قد لا تطيق الحياة التي يمكن أن تجعلها تنسى موته.

لقد أعانها أصدقاؤها على تدبر شؤونها، ولكنها رفضت أن يتدخلوا.

- أقترح عليكم عدم البقاء، إنني متعبة.
- هل تعديننا بأن تستدعينا إن كنتِ بحاجة لأي شيء كان؟
- نعم.
- هذا وعد؟
- نعم، هذا وعد.

عانقتهم، وشكرتهم. كانت تشعر بارتياح لأنها بقيت وحدها، بينما هناك آخرون ليس بوسعهم أن يتحملوا العزلة في هذه اللحظة. فكرت ناتالي بذلك، ومع ذلك كان الموقف يزيد من الطين بلة. تتخطى في صالتها، وكل شيء كان هناك، لم يتغير، لم يتحرك أي شيء من مكانه؛ الغطاء دائما على الأريكة، وإبريق الشاي على الطاولة المنخفضة، مع الكتاب الذي كانت تقرؤه، وكان محجوزا بعلامة مؤشر الصفحة على وجه الخصوص، كان الكتاب قد قطع إلى نصفين، الجزء الأول منه قد قُرئ في عهد حياة فرانسوا، وتوفي عند الصفحة 321، ما العمل؟ هل بالإمكان متابعة قراءة الكتاب التي قطعتها وفاة زوجها؟

17

لم يسمع أحد أولئك الذين يقولون بأنهم يريدون أن يكونوا وحدهم. الرغبة بالعزلة هي نزوة مرضية حتما، ومع أن ناتالي كانت تحاول طمأنة كل الناس، فقد كانوا يذهبون لرؤيتها، وأصرّوا على أن تتكلم، ولكنها لا تعرف ما تقول، لقد كان لديها انطباع بأن عليها أن تبدأ من الصفر بما في ذلك التدريب على اللغة. ربما هم، في الواقع، على صواب في أن يرغموها على أن تكون اجتماعية إلى حدّ ما، وأن يرغموها على الاغتسال، وعلى ارتداء ملابسها، واستقبال الناس. لقد كان معارفها يتناوبون عليها، وكان ذلك واضحا وضوحا تاما. كانت تتصور ما يشبه خلية الأزمة التي تدير الدراما بمساعدة سكرتيرة، وهي أمها بالتأكيد، وهي تلاحظ كل شيء على وفق خطة هائلة، كي تنوع

-بمهـــارة- الزوار الذين ينتمون إلى الأســـرة والزوار الأصدقاء. كانـــت تصغي إلى أعضاء هـــذه العصبة من المســـاعدين الذين يتكلمون فيما بينهم، ويعلقون على أدنى مآثرها.

- والحالة هذه كيف يكون حالها؟ وماذا تفعل؟ وماذا تأكل؟

لقـــد كان لديها انطباع بأن تكون على حين غرة مركزا للعالم، عندما لم يعد لعالمها وجود.

كان من بين الزوار شارل، وهو الأكثر حضورا، حيث أمضى مدة اليومين أو الثلاثة، وكانت تلك أيضا طريقة، بحسب قوله، للبقاء على تواصل مع الوســـط المهني. حدثها عـــن تطور الملفات التي يجري العمـــل فيها، وكانت هي تحدق فيه وكأنه معتوه. ما الذي يمكن أن يصنعه له ذلك والتجارة الصينية الخارجية تعيش أزمة في هذا الوقت؟ هل ســـيعيد لها الصينيون زوجها؟ كلا. حسنا، وعندئذ، لا يفيد هذا بشـــيء. شعر شـــارل بأنها لم تكن مصغية إليه، ولكنه كان يعلم بأن ذلك ســـيكون له تأثير شيئا فشيئا، وأنه يقطر مثل حقنة قطرة إثر قطرة، وأن الصين والســـويد بالذات قد يعيدان أفق ناتالي. كان شارل جلس إلى مقربة منها تماما:

- بوســـعك أن تســـتأنفي، إن أردت ذلك. ينبغي أن تعلمي أن الشركة كلها من ورائك.

- شكرا، هذا لطف منك.

- وأنت تعلمين أنه يمكن أن تعتمدي عليّ.

- شكرا.

- حقا تعتمدين عليّ.

لـــم تكن تفهم لِمَ يخاطبها منذ وفاة زوجهـــا بصيغة الـ أنتِ! ما الذي كان يمكن أن يعنيه هذا؟ ولكن لمَ تبحث عن معنى لهذا

التبـــدل المفاجئ؟ ليس لها طاقة بذلك. ربما أحسّ بمســـؤولية، مســـؤولية أن كل جانب من حياتها لـــم يكن يهتز، ولكن مع ذلك، كانـــت المخاطبـــة بـ «أنـــتِ» غريبـــة، ومن ثم لا، هنـــاك عبارات للمواساة. ينبغي إزالة المسافة لكي يتمكن من التلفظ بها، ينبغي أن تكـــون بصيغـــة حميمية. لقد وجدت أنه قـــد تقدم قليلا في الغالـــب، وقد حاولـــت أن تجعله يفهم، ولكن لـــم يصغ أحدٌ إلى أولئك الذين يبكون.

صـــار أكثر إلحاحـــا، وذات مســـاء، وبينما هـــو يتحدث لها، وضع يده على ركبتها، لم تقل شـــيئا، ولكنهـــا وجدت أنه يفتقد اللياقة بشكل مخيف. هل كان يريد أن يستغل حزنها ليحل محل فرانســـوا؟ إنه من طراز الرحالة. ربما كان يريد أن يجعلها تفهم بكل بساطة أنه هنا إذا ما كانت بحاجة إلى الحنان، إذا ما كانت بحاجـــة للحب، فمـــن النادر أن تدفعك مقاربـــة الموت من نطاق الجنـــس، ولكن هنا حقا لا، من المســـتحيل أن تفكر برجل آخر. وعند ذاك، أبعدت يد شـــارل، حيث شـــعرت بأنه كان قد مضى بعيدا جدا من دون شك.

قالت:

- قد أستأنف العمل عما قريب.

من دون أن تعرف ماذا كان يعني.

18

لماذا اقتبس رومان بولانسكي رواية تيس دور بيرفيل لتوماس هاردي؟

(هذه الرواية ترجمها إلى العربية فخري أبو السعود - المترجم).

ليس تماما بوصفها قراءة قطعها الموت، ولكن شارون تات، زوجة رومان بولانسكي، وقبل أن تموت ميتة وحشية على يد شارل مانسون، كانت قد أشارت لزوجها بهذا الكتاب، قائلة له بأنه سيكون مثاليا إذا ما اقتبسه للسينما. هذا الفيلم أُخرج للسينما بعد اثنتي عشرة سنة، مع ناستاسيا كينسكي بدور رئيس، وقد أهدي إليها.

19

لم يرغب كل من ناتالي وفرانسوا بأن ينجبا طفلا في الحال، كان هذا المشروع متروكا للمستقبل، هذا المستقبل الذي لم يعد له وجود منذ الآن، سيبقى طفلهما افتراضيا، يمكن أن نتصور كل هؤلاء الفنانين الذين توفوا، ونتساءل عن أية أعمال هي أعمالهم إذا ما عاشوا؟ وما الذي يمكن أن يؤلفه جون لينون في عام 1992 لو لم يمت في عام 1980؟ وما حياة هذا الطفل الذي لم يولد قط؟ ينبغي أن نفكر بكل هذه المصائر التي أخفقت على ضفاف إمكانياتهم.

كان يبدو على مظهرها بأنها مجنونة إلى حد ما، خلال أسابيع عديدة، جاحدة بالموت، وهي مستمرة في تخيل كل يوم،

وكأن زوجهـا كان هنـا، كانت قادرة علـى أن تترك بضع كلمات تسـترعي انتباهه علـى الطاولة في الصالة، فـي الصباح قبل الانطلاق للتنزه، لقد مشـت ساعات، تحدوها رغبة وحيدة وهي أن تختفي في الزحام. لقد حدث لها أيضا أن دخلت في كنائس عديـدة، وهي لم تكـن متدينة، ولم تؤمن قـط. لقد كانت تجد صعوبة فـي فهم هؤلاء الذيـن يحتمون بالدين ويتسـترون به، وصعوبة في أن تفهم أن أحدا يستطيع أن يدخل قلبه الإيمان بعد أن يكون قد عاش مأسـاة. ومع ذلك، كان المكان يشد من عزمها وهي تجلس بين الكراسي الفارغة، في عز الظهيرة، كان تسكينا طفيفا، ولكن في ومضة خاطفة، نعم، شـعرت بحرارة المسـيح، فركعت، كانت مثل قديسة يرتع الشيطان في قلبها.

كانـت تذهب إلى المـكان الذي التقيا فيـه أحيانا، على هذا الرصيف الذي مشت عليه، مجهول الاسم بالنسبة لها، قبل سبع سنوات، وتسـألت: «وإذا ما كان هناك شخص آخر يقترب مني الآن، فكيـف سـيكون رد فعلي؟»، ولكن ما مـن أحد جاء وقطع خلوتها.

كانـت تذهب أيضا إلى المكان الذي انصرع فيه زوجها، حيث كان وهو يعدو بالشـورت والموسيقى في أذنيه، لقد عبر من دون أن ينتبـه، فكانت حماقته في نهاية المطـاف. كانت تجلس على قارعة الطريق، وتأخذ بمراقبة مرور السـيارات، لماذا لم تنتحر في المكان نفسـه؟ ولماذا لم تمتزج آثـار دمائهما في آخر اتحاد معتل؟ لقد بقيت مدة طويلة من دون أن تدرك ماذا تفعل، والدموع تنهمـر على وجهها، كان ذلك في الأيام الأولى، بعد الدفن، حيث كانـت تأتي إلى هذا المكان، وهـي لا تعرف لماذا هي بحاجة إلى

إيلام نفسها كثيرا. كان من العبث أن تكون هنا، من العبث أن تتخيل قساوة الصدمة، من العبث أن تجعل من وفاة زوجها شيئا ملموسا. هل كان يعني ذلك الحل الوحيد في حقيقة الأمر؟ لا توجد أية وسيلة، كل واحد يقرأ ما يكتبه جسده. وكانت ناتالي ترضى بهذا الدافع بأن تكون هنا، لتبكي على قارعة الطريق، لتهلك نفسها وهي تذرف الدمع.

20

مجموع أسطوانات جون ليون

لو لم يمت في عام 1980

* * *

لا يزال يوكو (1982)

* * *

أمس وغدا (1987)

* * *

برلين (1990)

* * *

الموسيقى التصويرية لتيتانيك (1994)

* * *

أحياء - البيتلز (1999)

21

حياة شارلوت بارون منذ اليوم
الذي دهست فيه فرانسوا

لولا هجمات 11 سبتمبر 2001 لما أصبحت شارلوت بائعة زهور على الإطلاق، لقد كان الحادي عشر من سبتمبر هو يوم عيد ميلادها، وكان أبوهــا في رحلة إلى الصين، قدم لهـا باقة من الأزهار، صعد جان ميشيل درجات السلّم من دون أن يعلم أن الزمن على الرغم من أنه فقد توازنه لكنه قرع الجرس، فرأى وجه شــارلوت الشاحب، لم تستطع أن تتلفظ بأية كلمة، وهي تتناول الأزهار، وسألت:

- هل أنت على علم؟
- بماذا؟
- تعال...

أمضى جان ميشيل وشــارلوت ذلك النهار معا، كانت تجلس على الأريكــة محدقة بتحليــق صور الطائــرات وهي تصطدم بالأبراج، عاش الاثنان تلك اللحظة سوية، لقد صارا لا يفترقان، بل حدثت لهما القصة منذ عدة شــهور قبل أن يســتنتجا بأنهما أصدقاء أكثر من كونهما عاشقين.

وبعد مدة وجيزة أنشأ جان ميشيل شركته الخاصة به لتوزيع الأزهار، فاقترح على شــارلوت العمل معــه. ومنذ ذلك الوقت، ارتكــزت حياته على إعداد باقات الــورد. وفي يوم الأحد الذي حدث فيه الحادث، كان جان ميشــيل على أتم الاســتعداد، فقد كان الزبون يريد أن يطلب من خطيبته الزواج، وبعد أن تســلمت

الأزهار وفهمت الرسالة وهي نوع من الإشارة الملغزة بينهما، كان يقتضي أن تكون الأزهار قد سلّمت في يوم الأحد، إنه عيد ميلاد لقائهما، وقبل أن يخرج جان ميشيل، تسلم نداء من أمه: «لقد أدخل جدك إلى المستشفى للتو». قالت شارلوت إنها ستهتم به. كانت تحب قيادة الشاحنة الصغيرة، وعلى وجه الخصوص إذا لم تكن سوى تسليمة واحدة، حيث عليها ألا تكون على عجلة من أمرها. كانت تفكر بهذين الزوجين، بالدور الذي تلعبه في قصتهما: قدر مجهول. كانت تفكر بكل ذلك، وبأشياء أخرى أيضا، ومن ثم عبر رجل كيفما اتفق، فأوقفت عربتها، ولكن بشكل متأخر.

لقد دمّر الحادث شارلوت، حاول الطبيب النفساني أن يجعلها تتكلم، أن يقوم بشيء يجعلها تفرغ التصادم بسرعة جدا، وأن الصدمة لم تتلف اللاشعور، فتساءلت بسرعة: أكان عليّ أن أكون على اتصال مع الأرملة؟ ولكنها في نهاية المطاف اعتبرت ذلك عديم الفائدة. من جهة أخرى، ماذا يكون بوسعها أن تقول؟ «إنني أعتذر»؟ هل يعتذر المرء في هذه الحالات؟ ربما كان بوسعها أن تضيف: «لقد كان زوجك أحمق وهو يجري كيفما اتفق، لقد أفسد حياتي أيضا. هل تدركين ذلك؟ هل تعتقدين من السهولة بمكان أن يستمر الإنسان في عيشة وقد قتل شخصا ما؟»، كانت تشعر في بعض الأحيان بنوبات حقيقية من الحقد على هذا الرجل، وعلى تناقضها، ولكنها كانت تصمت معظم الوقت، تبقى جالسة في صمت، صمت هذه الساعات يوحدها مع ناتالي، فالاثنتان كانتا تبحران في تخدير من الإرادة الأدنى، وخلال أسابيع التماثل للشفاء، ومن دون أن تعرف السبب، لم تتوقف

عن التفكير بالأزهار التي كان يجب أن تسلمها في يوم الحادث، كانت هـــذه الباقة المهملة صورة للزمن الخائب. إن اســـتعراض الحدث كان يمر أمام عينيها بطريقة متواصلة، صوت الاصطدام مـــرة أخرى ثم مرة أخرى، والأزهار هنـــاك دائما، في الصدارة، تشوش لها بصرها. لقد كانت تلك الأزهار هي الوشاح الذي كفن نهارها وهاجسها على شكل بتلات زهور.

كان جان ميشـــيل أشـــد قلقا على حالتها، وقد نفد صبره وهـــو يدعوها إلى اســـتئناف العمل.. كانـــت محاولة مثل كل المحـــاولات الأخرى لإيقاظها، محاولة ظافرة، ذلك أنها رفعت رأســـها، وأشـــارت بنعم مثلما تفعل ذلك الفتيات الصغيرات اللواتـــي يوعدن بـــأن يكونّ عاقلات بعـــد أن يرتكبن حماقة. كانـــت تعلم جيدا، في الواقع، أنها لا تمتلك خيارا، وأن عليها أن تستمر. بالتأكيد لم يكن تحريضا مفاجئا من زميلها الذي كان يحرضها. كل شيء تمت استعادته، كالسابق، هكذا فكرت شـــارلوت، وعلينـــا أن نطمئـــن. ولكن لا، ما من شـــيء يمكن اســـتعادته كالســـابق، بعض الأمور كانت قد تحطمت بقسوة خلال ســـير الأيام. كان يوم الأحـــد ذاك حاضرا دائما، تجده فـــي يوم الإثنـــين ويوم الخميس، ويســـتمر فـــي المقاومة يوم الجمعة أو يوم الثلاثاء. يوم الأحد ذاك لم ينته، كان يســـتمد السلوكيات من قذارة الأمر، وهو يرش نفسه في كل مكان على المســـتقبل. كانت شارلوت تبتسم، وكانت شارلوت تأكل، ولكن القلق يرتســـم على وجه شارلوت، حرف أو حرفان من اسمها اختفيا في الغبش، لقد بدت الفكرة تستحوذ عليها، فتساءلت على حين غرة:

- الأزهــار التــي كان علي أن أســلمها في ذلــك اليوم.. هل سلمتها أخيرا؟

- لدي شيء آخر في رأسي، سألتحق بك في الحال.

- ولكن ألم تطلب الرجل؟

- بلى، بكل تأكيد، هاتفته في اليوم التالي، لم يكن راضيا عن أي شيء. لم تتسلم خطيبته أي شيء.

- وماذا بعد ذلك؟

- وماذا بعد.. أوضحت له.. أخبرته بأن حادثا قد حدث لك.. وأن رجلا كان في غيبوبة..

- لم أعــد أعرف أكثر من ذلك.. لقد اعتذر.. ومن ثم غمغم بكلمــات.. أظن أنه فهم أنه رأى في ذلك ما يشــبه علامة، رأى شيئا سلبيا تماما.

- تريد أن تقول.. تعتقد أنه لم يطلب الفتاة للزواج؟

- لا أعلم.

هــذه الحكايــة عكرت صفو شــارلوت، وأذنت لنفســها بأن تطلب الرجــل موضوع الحديث. لقد أكد أنــه قرر تأجيل طلبه للــزواج، هذا الخبر ترك فيها أثرا عميقا، لم يمر هذا بســلام، فكــرت بربط المواقف، الزواج وقد تم تأجيله، وربما أن كثيرا من الأحداث ستكون متغيرة للتو؟ هذا ما كان يزعجها في القول بأن كل الحيوات ســتكون متباينة. وفكرت: إذا مــا أصلحتُها، وكأن شيئا لم يكن، إذا ما أصلحتها، قد أستأنف حياة اعتيادية.

مضت إلى خلفية الدكان لتعدّ باقة الورد نفســها، ثم استقلت سيارة تاكسي. سألها السائق:

- هل هذه لعقد قران؟

- كلا.
- لعيد ميلاد؟
- كلا.
- لـ.. مناسبة تخرج؟
- كلا.. إنهــا من أجل ما كان يجــب أن أفعله تماما في ذلك اليوم الذي دهست فيه شخصا.

استمر الســائق في طريقة صامتا. نزلت شارلوت، ووضعت الورد على دواســة عتبة باب المرأة، ظلــت برهة من الوقت أمام هــذه الصورة، ثم قررت أن تنتــزع بعض الورد من الباقة. رحلت واستقلت سيارة تاكســي أخرى، لقد كانت منذ ذلك اليوم الذي وقع فيــه الحادث، تحتفظ بعنوان فرانســوا معها. كانت تفضل عدم اللقــاء بناتالي، وبالتأكيد إنها اتخذت قــرارا حكيما، لقد كان مــن الصعب جدا أن تعيد البناء ثانية داســة أنفها في حياة مخرّبة. ولكن هناك حافز يدفعها، لا تريد أن تتأمل، كانت سيارة التاكســي تســير، وها هي تتوقف. لقد وجدت شارلوت نفسها، وللمــرة الثانية وفي بضع ثوانٍ علــى صحن درج امرأة، فوضعت بعض الورد الأبيض أمام باب ناتالي.

22

فتحت ناتالي الباب، وتســاءلت: أكانت لحظــة مواتية؟ لقد توفي فرانسوا منذ ثلاثة أشــهر، وثلاثة أشهر كانت قليلة جدا. لم تشــعر بأدنى تحســن، لقــد كان حراس الموت يمشــون على جســدها بطريقة لا تكل. نصحها أصدقاؤها بأن تشرع بالعمل،

وألا تستسلم، وأن تشغل وقتها، بحيث لا يكون وقتا لا يطاق. وهي تعرف جيدا أن ذلك لا يغير من الأمر شيئا، وربما سيكون الأسوأ، وبخاصة عند المساء، عندما تعود من العمل، ولا تجده هنا، بل ولن يعود هنا أبدا. ألا تستسلم، يا له من تعبير غريب! تستسلم على أية حال. الحياة ترتكز على الاستسلام، وهي، وكل ما كانت تريده الاستسلام، لم تعد تشعر بثقل كل ثانية، كانت تريد أن تكتشف البساطة، وكانت لا تطاق.

لم تكن ترغب بإجراء اتصال هاتفي قبل ذلك، كانت تريد الوصول هكذا. فجأة، من أجل جعل الحدث أكثر بساطة، في الصالة، وفي السلّم، وفي الممرات، كان عدد من زملائها يلاقونها، والجميع، عند هذا الدرب، كانوا يحاولون وكأن لديهم القدرة على أن يعربوا لها بقليل من الدفء، بكلمة، أو بإشارة، أو بابتسامة، أو بالصمت أحيانا، وهناك العديد من مواقف الأشخاص، ولكن هذه الطريقة المجمع عليها والرصينة في إسنادها تؤثر فيها بشكل عميق. وعلى نحو متناقض كانت أيضا هنالك كل هذه المظاهر التي جعلت منها مترددة الآن. فهل هي راغبة بذلك؟ وهل تريد أن تعيش في بيئة فيها كل شيء لم يكن سوى شفقة وضجر؟ وإذا ما كانت تعود ثانية، فعليها أن تمثل مهزلة الحياة، بحيث إنها تمثل بأن كل شيء يسير على ما يرام، وهي قد لا تتحمل أن ترى في نظرات الآخرين المودة التي كانت تعد في نهاية المطاف مدخلا للشفقة.

ترددت وهي واقفة متسمرة أمام باب مكتب مديرها. كانت تشعر فيما لو دخلت، فإن ذلك من أجل العودة في الحقيقة. وأخيرا قررت ودخلت من دون أن تطرق الباب. كان شارل

مســتغرقا في قراءة معجم لاروس، تلك كانــت نزوته؛ كان يقرأ تعريفا كل صباح.

سألت ناتالي:

- هل أنت بخير؟ لا أريد أن أزعجك؟

رفع رأســـه، وقد أدهشته رؤيته لها، كانت مثل شبح، انعقدت حنجرته، وخشي من عدم قدرته على الحركة، وقد شلّه الانفعال. اقتربت منه:

- هل أنت منهمك بقراءة تعريفك؟

- نعم.

- ما هو هذا اليوم؟

- كلمة «عذوبة»، وهذا لا يدهشـــني إن كنت تظهرين في هذه اللحظة.

- إنها كلمة جميلة.

- إنني سعيد بلقائك، هنا، وأخيرا أتمنى عودتك.

ثم ســـاد صمت عندئذ، كان ذلك شــيئا غريبـــا، ولكن هناك دائمـــا لحظة لا يعرفان ما يقــولان فيها، وفي هذه الحالات كان شـــارل يقترح أن يقدم لها الشاي، وكان ذلك كالوقود لكلماته، ثم استأنف، وهو في قمة الإثارة:

- لدي عدد من المساهمين في السويد، في الواقع أنت تعرفين أنني أتكلم قليلا من اللغة السويدية الآن؟

- لا.

- أجل.. لقد طلبوا مني أن أتعلم اللغة الســـويدية.. إنه حظّي هذا، حقا إنها لغة سخيفة.

- ....

- ولكن حسنا، أنا مدين لهم بذلك، ومع ذلك كانوا دمثين بما يكفي.. وأخيرا .. أجل، أقول لك هذا .. لأنني حدثتهم عنك.. وكان الجميع متفقين على أن نسعى مثلما تتمنين ذلك، فإذا ما قررت العودة، فبوسعك أن تقومي بذلك على وفق إيقاعك، كما تريدين.

- هذا كرم.

- ليس كرما، نحن بحاجة إليك هنا، حقا.

- ....

- أنا بحاجة إليك.

لقد نطق هذه الجملة وهو يحدق فيها بجدّية. بهذا النمط من النظر الملحاح الذي يزعج يمكث الزمن في العين دهرا: ثانية. إنه خطاب، وفي الحقيقة لا يمكن أن ينكر شيئين: الأول هو أنها كانت تشغله دائما، والثاني هو أن جاذبيتها كانت قد ازدادت منذ وفاة زوجها، لقد كان من الصعب الاعتراف بهذا النوع من الميل. أكان ذلك توافقا غير طبيعي؟ كلا، ليس اضطرارا، كان وكأنه قد سما بمأساتها، وكان حزن ناتالي يفاقم من طاقتها الإيروتيكية بشكل كبير.

23

تعريف كلمة «رقة» في معجم لاروس

رقة: اسم مؤنث.

1 - رقيق، عذب.

2 - أدبيا: أن تكون رقيقا مع شخص ما في حالة برود، ذي علاقة سيئة مع شخص ما.

24

كانت ناتالي تجلس في مكتبها، منذ بداية صباح عودتها، لقد كانت قبالة شيء مرعب ألا وهو التقويم. واحتراما لها فإن احدا لا يتعرض لشؤونها، ولم يتصور أحد إلى أي حد سيكون هذا الأمر قاسـيا بالنسبة لها وهي تكتشف تاريخ يومها الأخير قبل المأساة مثبتا على مكتبها، التاريخ السابق بيومين من حادث زوجها، على هذه الصفحـة كان ما يزال حيا. تناولت الشـيء، وأخذت تقلب الصفحات، كانت الأيام تمـر تحت ناظريها، وكانت قد عدت كل يوم، منذ وفاة فرانسوا، وكأنه كان يحمل ثقلا هائلا، وعند ذاك، وفـي خلال بضع ثوانٍ، وهي تقلّب الأيام، اسـتطاعت أن تلاحظ الدرب الذي تم السـير فيه بشـكل حسـي، كل هذه الصفحات، وكانت ما تزال هناك. أما الآن فكان هذا اليوم.

ومن ثم حانت اللحظة التي فيها التقويم الجديد.

كانت ناتالي قد اسـتأنفت العمل منذ أشـهر عـدة، وكان أن اسـتثمرت ذلك بطريقة اعتبرها البعض مفرطة. يبدو أن الزمن يسـتعيد مجراه، كل شيء كان يبدأ من جديد: رتابة الاجتماعات، والمظهر العبثي للملفات التي رقّمتها كما لو أنها لم تكن سوى تركة مـن مواد لا أهمية لها، فضلا عن ذلك المرتبة العالية من العبثية، إذ ستخلدنا الملفات. أجل، ذلك ما حدّثت به نفسها وهي تؤرشف الوثائـق، بحيث إن كل هذه الأوراق التالفـة تتفوق علينا في كثير مـن النواحي، كما أنها لم تكن معرضة للمرض أو للشـيخوخة أو للحادث، أي ملف لم ينقلب قط وهو يعدو في يوم الأحد.

25

تعريف كلمة «رقــة» حســب معجم لاروس، لأن كلمة «رقــة» لا تكفي لكي تفهم الرقة.

Délicat (e):.صفة.. دقيق، رقة، رقيق، مرهف.

1 - ذو رقة عالية، لذيد، مرهف، وجه ذو ملامح دقيقة، عطر لطيف.

2 - من تبدو عليه الهشاشة، صحة واهنة.

3 - صعوبة الإدارة، خطر، حالة خطرة، عمل خطر.

4 - من يبدي شعورا عاليا، أو رقة. رجل رقيق، التفاتة حسنة. التحقيري: صعوبة الإرضاء، تكره.

26

كان شــارل منذ عــودة ناتالي، في مزاج رائــق، حتى إنه كان يستمتع بدروسه الســويدية، كان هناك شيء ما قد نسج بينهما علــى درجة من الثقــة والاحترام، ولقد وســعت ناتالي الفرصة لكونهــا كانــت تحت إمرة رجل متســامح معهــا، ولكنها لم تكن مغفلة، فلقد شــعرت جيدا بأنها كانت تنال إعجابه، فتركته يقوم بتلميحاتــه الرقيقة إلى حد ما. لم يذهب بعيدا أبدا، لأنها كانت قد أنشأت مسافة بدت له عقبة كأداء. لم تدخل في لعبته، لأنها وبكل بســاطة غير قادرة على اللعب، فقد كان ذلك فوق قواها. لقــد احتفظت بكل طاقتها من أجل عملها، وكان قد حاول مرات

عديدة دعوتها إلى تناول العشــاء، محاولات غير مثمرة يرفضها الصمت. أما هي فلم تســتطع الخروج بكل بســاطة مرة أخرى مع رجــل. لقد وجدت ذلك غير منطقي، فلــو أنها كانت تمتلك الشجاعة لاشتغلت طوال يومها، وهي تركز انتباهها على ملفات عديمة الأهمية، فلماذا لا تمنح نفسها وقتا من الراحة؟ لقد كان ذلــك مرتبطا بمفهوم المتعة، لم تكن تشــعر بأن من حقها القيام بأي شــيء مهما كان ســطحيا. كان الأمر هكـذا؛ لم تبـلغ ذلك، ولم تكن متأكدة قط من القوة التي تبلغها من جديد.

قد تكــون الأمور مختلفة هذا المســاء، لقد قبلــت في نهاية المطاف، وذهبا لتناول العشــاء سوية. استل شارل ذريعة لا يمكن تجنبها، كان له أن يحتفل بمناسبة ترقيتها لأنها أجل حصلت على ترفيع رفيع، وهي ستدير بدءا من الآن، مجموعة تتكون من ستة أشخاص، وإذا ما بررت كفاءاتها هذه بالتقدم المهني تماما، فإنها كانــت مع ذلك تتمنى: يا ليت أنها لم تحصل على ذلك إشــفاقا عليها. وللوهلة الأولــى أرادت أن ترفض، ولكن كان ذلك تعقيدا بعدم قبول الترقية، وبالتالي، وبعد أن اكتشفت اندفاع شارل من أجل إعداد هذه الســهرة، ظنت أنه لم يعجل في ترفيعها المهني وحسب بهدف تناول العشــاء. كل شيء كان ممكنا، لقد كان من غير المفيد محاولة فهم ذلك. كانت تقول في نفسها إنه كان على حــق تماما، وإن هذه فرصة مواتية لترغم نفســها على الخروج، لقد مضت لإعادة العلاقة ربما بنوع من اللامبالاة الليلية.

27

يعد هذا العشاء بالنسبة لشارل مغامرة كبيرة، وكان يعرف أن ذلك قد يكون حاسما. استعد بالتخوف نفسه الذي انتابه في أول موعد له أيام المراهقة، وفي النهاية لم يكن هناك إحساس شديد الغرابة، لقد كان وهو يفكر بناتالي يستطيع أن يتصور إلى حد ما أنها هذه هي المرة الأولى التي يذهب فيها لتناول العشاء مع امرأة، وكأنها كانت تمتلك القدرة العجيبة على تدمير كل ذكريات حياته الشهوانية.

أراد شارل أن يتجنب المطاعم ذات الشموع، بعدم مفاجئتها وبطريقة رومانسية، فقد تظن أنها في غير موضعها. كانت الدقائق الأولى على أحسن ما يرام؛ تناولا الشراب وهما يتبادلان الكلام بعبارات قصيرة، وكانت مدد الصمت القصير التي تحل أحيانا لا تثير أي انزعاج. لقد أحبت أن تكون هنا، لتتناول الشراب. عنّت لها فكرة أنها قد تخرج في وقت مبكر، وأن البهجة كانت تحصل من سير الأحداث، بل كانت تستبد بها رغبة الانتشاء. ومع ذلك، إن شيئا ما كان يربطها ثانية بالحياة الدنيا، ولم تستطع الهرب أبدا من شرطها. كانت تستطيع أن تشرب قدر ما تريد، ولكن لا يغير ذلك من الأمر شيئا، كانت هنا تماما، في غاية الصفاء، وهي ترى نفسها وكأنها ممثلة على خشبة المسرح. كانت ترقب، وهي مشطورة إلى نصفين، بعين مذهولة للمرأة التي لم تعد هي، المرأة التي استطاعت أن تعيش الحياة والإغواء. كانت هذه اللحظة تضع في الضوء الذي

ما يزال شـــديدا، كل تفاصيل عجزها في الوجود. غير أن شارل لم يكن يرى شــيئا بالمرة، مرتبكا في أول السلّم، يحاول أن يحثها على أن تشـــرب، لكي يقترب إلى قليل من الحياة معها، لقد كان مسحورا، كان يرى أنها روسية، ولم يكن يعرف حقا ما يعني ذلك، ولكنه كان هكذا، ففي قرارة نفســـه هي ذات قوة روســـية، وذات حزن روسي، ولقد سافرت أنوثتها من سويسرا إلى روسيا.

سألت:

- إذن.. لم هذه الترقية؟

- لأنـــك قمت بعمـــل رائع.. ووجدتكِ رائعـــة، هذا كل ما في الأمر.

- هذا كل ما في الأمر؟

- لماذا تسألينني ذلك؟ هل تشعرين أن هناك أمرا آخر؟

- أنا؟ لا أشعر أبدا.

- وإذا ما وضعت يدي هنا، ألا تشعرين بشيء؟

لا يعرف كيف تجرأ، فقال في نفسه إن كل شيء كان يمكن مواجهته هذا المســـاء، كيف باستطاعته أن يكون بعيدا جدا عن الحقيقة؟ كان وهو يضع يده على يدها، يتذكر في الحال اللحظة التي وضعها فيها علـــى ركبتها. حدقت فيه بالطريقة ذاتها، غير أنه لم يســـتطع إلا أن يتراجع، كان يكفي له أن يهاجم حائطا، وأن يعيش دوما في الأشـــياء التي لا يستطيع البوح بها، كان يريد أن يوضح الأمور.

- لم أكن لأعجبك، أليس كذلك؟

- ولكن.. لماذا تسألني هذا؟!

- وأنتِ لماذا تطرحين أسئلة عديدة؟ ولماذا لا تردين قط؟

- لأنني لا أعرف..

- ألا تعتقديـــن بأنه يجب أن تتقدمي، لم أطلب منك نســـيان فرانســـوا.. ولكن لا تذهبي فتسجني نفسك طوال حياتك.. أنت تعرفين إلى أي مدى يمكن أن أكون هنا من أجلك..

- ولكنك متزوج..

اندهش شـــارل وهي تتوه إلى زوجته، كان يمكن أن يبدو ذلك جنونا، ولكنه نســـيها، فالذي يتناول العشـــاء مـــع امـــرأة أخرى لـــم يكن رجلا متزوجا، إنه رجل يعيش فـــي لحظته الآنية. نعم، كان متزوجـــا، لقد كان غارقا فيما يطلـــق عليه «الحياة الزوجية الهادئـــة»، لم يقض وطرا مع زوجته، وعندئذ كان مندهشـــا لأنه كان صادقا في ميله حيال ناتالي.

- ولكن زوجتي، لماذا تكلمينني عنها؟ إنها ظل!

وكادا يتماسّان.

- لا يبدو هذا كذلك.

- لأنها راهنت على المظهر، عندما تأتي إلى المكتب، كان ذلك مـــن أجل التباهي فقـــط، ولكن لو كنت تعرفين كـــم كانت مثيرة للشفقة، لو كنت تعرفين..

- وعندئذ اتركها.

- من أجلك، أتركها على الفور.

- ليس من أجلي.. وإنما من أجلك أنت.

كان هناك بياض، زمن لاستعادة الأنفاس مرات عديدة، وتناول جرعات عديدة. كانت ناتالي مصدومة من تنويهه إلى فرانســـوا، ومن أنه يحاول تحريف السهرة، بسرعة جدا وبقليل من التباهي باتجـــاه ســـاذج، فانتهى بها المطـــاف معلنة رغبتهـــا بالعودة إلى منزلها. شـــعر شـــارل بأنه ذهب بعيدا جدا، وأنه أضاع السهرة

بتصريحاتــه. ماذا يفعل ليفهم بأنها ليســت اللحظة المناســبة؟ ولأنها لم تكن على أهبة الاســتعداد، ينبغي عليه أن يتقرب منها بلطف وبالتدريج، ثم يمضي إليها مثل مجنون بمنتهى الســرعة، محاولا الإمساك بسنوات الشــوق ثانية بدقيقتين. كل ذلك كان بســبب بداية الســهرة، وكانت مدخلا جيدا، يدعو إلى التفاؤل، وهو الذي دفعه إلى الثقة بالرجال المتعجلين.

ثم اســتدرك: بعد كل شــيء، كان من حقــه أن يبوح بما كان يعتمل في شــعوره، لم يكن ذلك جريمة سوى أنه يكشف عما في قلبه. عندئذ، أجل، كان كل شــيء ثقيلا معها، وهيئتها الجامدة كأرملة عقدت كثيرا من الأمور، ففكر بأنه كان بوسعه أن يستثمر كثيرا من الفرص المواتية لإغوائها ذات يوم لو لم يكن فرانســوا متوفيا. ولما كان قد قتل فقد جمد حبهما. لقد دفعهما في أبدية ثابتة. كيف يخطف أي شــيء كان عند امرأة في هذه الظروف؟ امرأة تعيش في عالم متوقف. حقا، كــان عليه أن يتســاءل لــو لم يكن قد اســتعجل بالانتحار، لكي يطيل من حبهما إلى الأبد. يفكر البعض بأن للوجد نهاية تراجيدية حتما.

28

خرجا من المطعم، وكان الشعور بالانزعاج يزداد قوة، لم يجد شارل الكلمة المناسبة والنكتة، أو حتى الدعابة، التي قد تتيح له أن يســتدرك ما فاته ولو كان قليــلا للتخفيف من التوتر. وعبثا كانا يحاولان، لكنهما كانا غارقين، لقد كان شارل منذ عدة أشهر رقيقا ومجاملا، وكان محترما ومخلصا، ولكن هاهي كل قواه من

أجل أن يكون رجلا طيبا قد تبددت لأنه لم يكن يعرف السيطرة على رغبته. كان جسـده مثل هذيان متقطع، فكل عضو منه كان يمتلـك قلبا مسـتقلا بذاته. حاول أن يقبّـل ناتالي على خدها، وكانت محاولة أرادها أن تكون وقحة وودية، غير أن رقبتها كانت عنيدة، لقد اسـتمر هـذا الوقت الخانق لبضـع لحظات أيضا، كتتابع بطيء للثواني المتكلفة.

وفجأة ابتسـمت له ناتالي ابتسـامة عريضة. كانت تريد منه أن يفهم أن كل ذلك لا يشـكل خطرا جسيما. كان يريد أن ينسى تلك السـهرة بالفعل، وهـذا كل ما في الأمر. قالـت إنها تريد أن تتمشـى قليلا، وتمضي على وفق هذه النغمة العذبة. استمر شارل يراقبها، متابعا إياها من ظهرها، لم يستطع الحراك، كان متسـمرا من جراء خيبته. كانت ناتالي تبتعد، وأصبحت صغيرة شـيئا فشـيئا في مركز مجال رؤيته، ولكنه كان هـو من ينهار، وهو الذي يتصاغر في الحال، وعندئذ توقفت ناتالي، واستدارت نصف دورة.

كانت تمشـي باتجاهه، هذه المرأة التـي كانت قبل لحظة قد تلاشـت من مجال رؤيته، وأخذت تكبر كلمـا اقتربت منه. ماذا تريد؟ كان ينبغي عليه ألّا يتسـرع، بالتأكيد نسيت مفاتيحها، أو وشـاحها، أو واحدا من الأشياء العديدة التي درجت النساء على نسـيانه، ولكن لا، ليس الأمر كذلك، ظهر ذلك من الطريقة التي تمشي بها، إذ يشعر المرء بأن الأمر ليس قضية مادية، إنها عادت إليه لتكلمه، لتخبره ببعض الأمور. كانت تمشـي بطريقة رشيقة، مثـل بطلة الفيلم الإيطالي عام 1967، وكان يريد أن يتقدم، هو أيضا، نحوها، وفي انسـياقه الرومانتيكي كان يفكر بأنه ينبغي

أن تمطر، وأن كل الصمت في نهاية وجبة الطعام لم يكن ســـوى ارتبـــاك. كانت تعود ليس من أجل أن تتكلـــم، وإنما من أجل أن تقبّلـــه، لقد كان ذلك مذهلا حقا؛ فـــي الوقت الذي فيه رحلت، كان لديه شـــعور مسبق بأن عليه ألا يتحرك، منذ أن عادت للتو، لأنه من الواضح أنها كانت هنالك بعض الأمور العفوية والبسيطة بينهما، أمور قوية وهشـــة، وهكذا كان منذ البداية. كان عليه أن يفهمها حتما، ليس بالأمر الهين بالنسبة لها أن تعترف بشعورها بـــأن زوجها قد توفي منذ عهد قريب، كان ذلك أمرا مريعا، ومع ذلـــك، كيـــف تقاوم؟ قصص الحـــــب كانـــت في الغـــالب قصصا لا أخلاقية.

كانت على مقربة منه الآن تماما، عصبية ورائعة، وهو تجسيد مثير للأنوثة التراجيدية، ها هي حبيبته ناتالي:

- اعذرني لم أستطع الرد في الحال.. إنني مضطربة.
- نعم أفهم ذلك.
- إنه من الصعوبة أن أنطق بكلمات عما أشعر به.
- أعرف ذلك يا ناتالي.
- لكنني أظن أنني أستطيع أن أرد عليك: أنت لم ترق لي، بل أظن أنني لم أكن مسرورة بطريقتك التي تحاول فيها إغرائي، إنني متأكدة من أنه لن يكون هناك أي شيء بيننا، ربما لأنني لم أكن قادرة على محبة أحد بكل بساطة، لم أكن أفكر بذلك يوما ما أبدا، وأعرف أنه قد لا تكون أنت.
- .....
- لم أكن أستطيع العودة ثانية هكذا، وأفضل أن يكون محددا.
- إنـــه محدد، لقد قلت ذلـــك، نعم إنه محدد، إذا ما كنت قد

سمعت ذلك، فذلك هو أنك قلته، لقد قلته، نعم.

راقبت ناتالي شارل الذي انتابته حالة الشهقة، كلمات معلقة، وقد التهمها الصمت بشـكل تدريجي، كلمـات كعينَي محتضر، رسـمت شـارة تودد، مربّتة بيدها على كتفه، ثم استدارت حيث أتـت، انطلق ثانية نحو ناتالي الصغيرة جدا، أراد شـارل البقاء واقفا، ولم يكن ذلك بالسـهل، لم يحتمل ذلك، ولا سـيما النبرة التي كانت تتكلم بها، كان عليه أن يعترف بواقع الحال ببسـاطة متناهية، ومن دون أدنى إساءة: لم يكن يروقها، ولن يروقها أبدا. لـم يُصب بأي غضب، كان ذلك مثل نهاية غير متوقعة لأمر كان يتوقـد فيه منذ سـنوات عديدة، نهاية احتمال، كانت الأمسـية تتخذ مسـار تيتانيك؛ في البـدء الاحتفال، ثم تموت غرقا. لقد كانـت للحقيقة مظهر جبل الجليد في الغالب، وكانت ناتالي في ميدان رؤيته دائما، ثم إنه كان يريد أن يراها وهي تنطلق بأقصى سـرعة ممكنة، حتى إن النقطة الصغيـرة التي كانت هي، كانت تبدو له لا تحتمل بشكل لا حدود له.

29

مشـى شارل قليلا، حتى موقف السيارات، وفي الحال، صار في سـيارته، دخن سيجارة، فما كان يشعر به كان متطابقا تماما مع أضـواء النيون ذات اللـون الأصفر العدوانـي. انطلق، فتح المذياع، كان المذيع يتكلم عن سلسلة غريبة من الألعاب الرياضية المتعادلـة في ذلك المسـاء، والتي كانت تخلق وضعـا راهنا في تصنيـف الدوري الأول. كل شـيء كان متماسـكا، لقد كان مثل

ناد خســـر البطولة بالنقاط، كان متزوجا، ولكنه كان يشعر بفراغ هائل.

وحـــده كان حلم ناتالـــي من يمتلك القدرة علـــى أن يبث فيه الحيـــاة، كل هذا كان قد انتهى، محطما، ومدمرا، مســـلوبا. كان بإمكانـــه تقييد المترادفات، غير أن هذا لـــم يعد يغير من الأمر شـــيئا، عندئذ أخذ يفكـــر بأن هناك بعض الأمور الســـيئة التي يمكـــن أن ترفضها امرأة يحبهـــا؛ كان عليه أن يلتقي بها كل يوم، ويجد نفســـه في كل لحظة إلى مقربة منها، في الرواق، لم يفكر بالرواق مصادفة، كانت جميلة في المكاتب، لكنه كان يفكر دائما بأن شبقه كان يتسع بقوة متزايدة في الأروقة، نعم، في ظنه، إنها كانت امرأة رواق، والآن، فقد أدرك أن عليه أن يعيدها أدراجها.

مقابـــل ذلك، من أجل أن يعود إلى بيته، عليه ألا يعود على أعقابه. كانت سيارة شـــارل تسير في طريقها المعتاد كل يوم، ربما يعتقد المرء أن المسافة بالمترو متطابقة. توقف في المرآب، ودخن ســـيجارة للمرة الثانية في موقف الســـيارة الذي يعود للعمـــارة التي يقطن فيها، وما إن فتح باب بيته، لاحظ زوجته، تجلـــس أمام التلفاز، ليس ســـوى لورنس التـــي كانت في ذات يوم قد توقدت بنوع من الجنون الجســـدي، كانت تتسل ببطء ولكن في أنموذج برجوازي مكتئب، وما يثير الغرابة، أن شارل لم تؤثر فيه هذه الصـــورة، فتقدم ببطء نحو التلفاز، وأطفأه. عبرت زوجتـــه عن احتجاجها، من دون قناعـــة كبيرة، اقترب منها، واحتضنها بقوة بين ذراعيه، أرادت أن تقاوم، ولكن لم يند من فمها أي صوت، والحقيقة كانت تحلم بهذه اللحظة، تحلم أن يلامســـها زوجها، وتحلم أن يتوقف عند مروره بقربها كما

لو أنها لم تعد موجودة. لقد كانت حياتهما ترويضا يوميا على الانزواء، ومن دون أن يتبـادلا أية كلمة، اتجها نحو غرفتهما، كان السرير معدا، وفجأة صار ممتعا، قلب شارل لورنس. لقد منحه رفض ناتالي الرغبة بممارسـة الحـب مع زوجته، وأن يحتضنها بعنف إلى حد ما.

30

نتائـج الدوري الأول في اليوم الذي فيه أدرك بأنه لن يعجب ناتالي أبدا:

أوكسير - مارسيليا: 2-2

* * *

لنس - ليل: 1-1

* * *

تولوز - سوشو: -1 0

* * *

باريس سان جرمان - نانت: 1-1

* * *

غرينوبل - لاهانس: 3-3

* * *

سانت إثيان - ليون: 0-0

* * *

موناكو - نيس: 0-0

* * *

رينس - بوردو: 0-1

* * *

نانسي - كاين: 1-1

* * *

لوريان - لوهافر: 2-2

31

بعد هذا العشاء، لم تكن العلاقات هي ذاتها، فقد بقي شارل بعيدا، وهذا ما أدركته ناتالي بالطبع، أصبح التعامل فيما بينهما، وهو نادرا ما يحدث، تعاملا مهنيا صرفا. وكانت تتطلب إدارة ملفاتهما الخاصة قليلا من التداخل. لقد صارت ناتالي، منذ ترقيتها، تدير مجموعة من ستة أشخاص، (وهي منذ أن تسلمت مهامها الجديدة، اشترت ثلاثة أزواج من الأحذية)، استبدلت مكتبها، وهذا ما جلب لها منفعة أكبر. كيف أنها لم تفكر بذلك في السابق؟ هل يكفي تغيير الديكور لتغيير الحالة الروحية؟ كان عليها، ربما أن تنوي تغيير المسكن، ولكن بالكاد كانت تستحضر هذه الإمكانية التي تنطوي على أنها قد لا تمتلك الشجاعة. في الحزن قوة متناقضة، قوة مطلقة تدفع بقدر ما نحو ضرورة التغيير بقدر ما هو نحو رغبة مرضية في الإخلاص للماضي. ولهذا، فإنها تركت لحياتها المهنية مهمة أن تتجه نحو المستقبل، يبدو مكتبها الجديد، في الطابق الأخير من البناية، وكأنه يلامس السماء، وهي كانت مغتبطة بعدم شعورها بالخوف من الفراغ. وها هو الفرح العام الذي كانت تحسبه بسيطا.

كانت الأشـــهر التالية ما تزال موسومة بشراهة الاندفاع إلى العمل، وكانت أيضا تتردد بأن تأخذ دروســـا في الســـويدية، في الحالة التي ستضطلع فيها بمهام جديدة. لم يكن بوسعنا إلا القول بأنها كانت طموحة. كانت تحاول أن تتناسى الملفات وحسب، كان محيطها مســـتمرا في قلقه، عادا طريقتهـــا المفرطة في العمل تشـــبه صيغة الانهيار، وهذه النظرية تزعجهم إلى أبعد حد، أما بالنســـبة لها، فإن الأمور كانت بسيطة، فقد كانت تريد أن تعمل كثيرا وحسب من أجل ألا يراودها التفكير بأنها تعيش في وسط الفراغ. هناك من يكافح من يســـتطيع، أما هي فكانت تتمنى من مقربيها، بدلا من إعداد النظريات المشـــهورة، العمل على دعمها فـــي معركتها. لقد كانت فخورة بما وصلـــت إلى تحقيقه. كانت تمضـــي وقتها في المكتب حتى في عطلة نهاية الأســـبوع، وتأخذ العمل إلى بيتها، كانت تنسى ساعات الدوام، وربما هناك لحظة ستنهار فيها من الإعياء حتما، ولكن في هذا الوقت فإنها لم تكن تتقدم إلّا بفضل هذا الأدرينالين السويدي.

لقد كانـــت طاقتها تؤثر في كل الناس، ولأنها لم تعد تبدي أي نقطـــة ضعف، فـــإن زملاءها أخذوا ينســـون ما كانت قد عاشته، وأصبح فرانســـوا مثل ذكرى بالنسبة للآخرين، وربما أصبح أيضا الشـــيء نفســـه بالنســـبة لها. لقـــد جعلت منها ســـاعات حضورها الطويل غير مشـــغولة، ولا سيما بالنسبة لأعضاء مجموعتها. كانت كلوئه (Chloé) وهي الأخيرة التي وصلت تتمتع بالشـــباب أيضا، كانت تحب أن تكشف عن قلبها لناتالي على وجه الخصـــوص، وبخاصة همومها مع خطيبها، وقلقها المســـتمر، لقد كانت غيورة بشـــكل مرعب، وهي تعرف

أن ذلك كان لا جدوى منه، ولكنها لم تستطع السيطرة على نفسها، فتتصرف بشكل منطقي؛ كانت حكايات كلوئه الملونة بعدم النضج، قد أتاحت لناتالي الارتباط ثانية بعالم مفقود، عالم ينتمي إلى شبابها، وعالم ينتمي إلى خشيتها من عدم العثور على رجل تعيش معه عيشة هانئة، كان هناك في كلمات كلوئه ما يشبه التعبير عن ذكرى تتسج ثانية.

32

مقتبس من سيناريو فيلم لرقة.

مشهد 32: في داخل حانة.

ناتالي وكلوئه تدخلان حانة، وهذه ليست المرة الأولى التي يرتادان فيها هذا المكان. ناتالي تسير وراء كلوئه، تجلسان في زاوية على مقربة من نافذة.

في الخارج هناك إمكانية لسقوط المطر.

كلوئه بطريقة عفوية: كيف الحال؟ هل أنت بخير؟

ناتالي: نعم بالتمام.

تحدق كلوئه بناتالي.

ناتالي: لِمَ أنت تحدقين بي هكذا؟

كلوئه: وددت أن تكون علاقاتنا أكثر توازنا، وأتمنى أن تحدثيني كثيرا عنك، الأمر طبيعي، لأنني لم أتكلم إلا عن نفسي.

ناتالي: ما الذي تريدين معرفته؟

كلوئه: لقد توفي زوجك منذ وقت طويل.. و.. و.. هذا ما يضايقك عندما يتكلم أحد عن ذلك؟

تبدو ناتالي مندهشـــة، فمـــا من أحد يتنـــاول الموضوع وفق أسلوب المواجهة أيضا. تمضي برهة، ثم تستأنف كلوئه.

كلوئه: حقا.. أنت شـــابة، وجميلـــة.. انظري إلى ذلك الرجل الـــذي يقف هناك، إنه لم يتوقف عن التحديق بك منذ أن دخلنا الحانة.

تلتفت ناتالي وتلتقي نظراتها بنظرة الرجل الذي يحدق بها.

كلوئه: حقا إنه لا بأس به. من وجهة نظري هذا عقرب، وبما أنك سمك، فهذه فكرة خيالية.

ناتالي: إنني بالكاد أراه، وأنت دائما ما تمارسين النبوءات.

كلوئـــه: آه، ولكـــن علم التنجيـــم مهم، إنه مفتاح المشـــكلة مع رفيقي.

ناتالي: عندئذ، لا قيمة له، أليس كذلك؟ فهو لن يســـتطيع أن يغير من البرج.

كلوئه: كلا، سيكون الثور دائما هذا الأبله.

مقطع على الوجه من دون أن ينم أي تعبير من ناتالي.

قطع..

33

كانـــت ناتالي تجد من المضحك أن تكون هنا، وعلى وفق هذا النمط من النقاش مع فتاة ما تزال في ريعان الشباب، ولا سيما أنها مـــا زالت لم تعش اللحظة الراهنـــة. إن الألم ربما هو هذا طريقة مســـتمرة بأن تكون منقطعا عن الزمـــن الحاضر، كانت تنظر إلى مجاملة البالغين بلا مبالاة، وكانت قادرة على القول:

- إنني لم أكن هنا.

وكانت كلوئه تحاول، وهي تحدثها عنه بقدرة الزمن الحاضر الجريئة، أن تذكرها، وأن تدفعها إلى التفكير:

- إنني هنا.

ولم تتوقف عن الحديث لها عن هذا الرجل، وها هو قد يفرغ كأسه تماما، وكنا نشعر بأنه كان يتردد في القدوم نحوها، ولكن ليـس العبور من النظـرة إلى الحديث، من العـين إلى الكلمة.. بالأمـر الهين. كان يشـعر، بعد يوم طويل مـن العمل، في هذه الحالة مـن الراحة التي تدفعك أحيانا إلى الإقدام، ويعد التعب أحيانـا في مركز المواجهة، كان مسـتمرا في مراقبـة ناتـالي، وبصراحـة: ما الذي كان عليه أن يفقده؟ لا شـيء، ربما ما عدا بعضا من جاذبية كائن مجهول.

دفع ثمن كأسه، وغادر مركز المراقبة، تقدم بخطوة قد تكون الخطـوة الجريئة، وكانت ناتالي على بعـد بضعة أمتار منه؛ ثلاثة أو أربعة ليس أكثر، فأدركت أن هذا الرجل قادم ليلتقي بها، فاستوقفتها فكرة غريبة على الفور: إن هذا الرجل الذي تقدم نحوي، ربما سـيموت مدهوسا في خلال سبع سنوات، هذه اللحظـة كانـت تعكرت صفـوها بشـكل لا مناص منه، وتزيد من تعبها. كل شـخص يدنو منها سـوف يذكرها حتما بلقائها مع فرانسـوا، ومع ذلك، فإن ذلك الرجل لا علاقة له بزوجها، كان يتقدم بابتسامته المسائية، بابتسامته التي تنتمي إلى العالم البسـيط، ولكنه توقف وبقي صامتا أمام الطاولة، كانـت لحظة معلقة، ثم قرر أن يدنـو منهما، ولكنه لم يدّخر في جعبته أدنى عبارة للهجوم، ربما كان متأثرا وحسب، كانت

الفتاتان تعدان هذا الرجل، وهما في غاية الدهشة، متسمرا مثل علامة تعجب.

وأخيرا، أفلت، من دون إيحاء:

- مســاء الخير.. هل أســتطيع أن أسمح لنفسي وأقدم لكما كأسا؟

قبلت كلوئه، فجلس قريبا منهما يتملكه شعور بأنه قطع نصف الطريــق، وما إن جلس حتى فكرت ناتالي بأنه أبله؛ «اقترح عليّ كأســا فيما كان كأســي مملوءا إلى حد ما!»، ومن ثم، على حين غرة غيّرت من رأيها، قالت في نفسها إن تردده في لحظة اقترابه منهما كان مثيرا للعواطف، ولكن عادت العدوانية تستجمع قواها ثانية، واستولت عليها حركة مستمرة لأمزجة متناقضة، لا تدري بماذا تفكر بكل بســاطة، فكل حركة مــن حركاتها كانت تخضع لإرادة متناقضة.

أخذت كلوئه الحديث علــى عاتقها، وهي تكثر من الحكايات الإيجابية حول ناتالي، مبينة مؤهلاتها، وليتبين من السماع إليها أنها امرأة معاصــرة ومتألقة وهزلية ومثقفة وديناميكية ودقيقة وســخية وحازمة.. كل ذلك في خمس دقائــق، بحيث إن الرجل لم يكن لديه ســوى سؤال وحيد يدور في رأسه، وهو: وما العيب الذي فيهــا؟ لقد حاولت ناتالي خــلال كل خطاب من خطابات كلوئه الغنائية المحلقة الإعراب عن ابتسامات تنم عن التصديق، ملطفــة وجنتيها، وعندئذ بــدت من خلال قهقهــات قليلة أنها طبيعيــة، ولكن هذه الطاقة قد أنهكتها. ما الفائدة من الســعي نحو الشهرة؟ ما الفائدة من بذل قواها لتبدو اجتماعية ولطيفة؟ ومن ثم ما الذي ســيكون التالي؟ موعــد آخر؟ ضرورة أن تكون

على اطلاع بالســـر أكثــر فأكثر؟ وفجأة بدا كل ما كان بســيطا وشــفافا في يوم نحس، لقد أدركت، من خلال الحديث التافه أن دوامة حياتيهما مخيفة معا.

لقــد اعتذرت، ونهضت للذهاب إلى دورة المياه، وأمام المرآة لاحظت زمنا طويلا مرتســما على كل تفاصيل وجهها، مررت قليلا مــن الماء على خديهــا، هل وجدت نفســها جميلة؟ هل لديها فكرة حول نفســها؟ حول أنوثتهــا؟ كان عليها أن ترتقي ثانيــة، وكان هذا يتطلب دقائق عديدة من أجل أن تكون هناك، ثابتة في تأملها، في حركة رؤاها. وعندما عادت إلى طاولتها، أمســكت بمعطفها، دعت شــيئا ما، ولكنها لم تــألُ جهدا في أن تبــدو جديــرة بالتصديق، تلفظت كلوئه بعبــارة لم تكن قد ســمعتها، هي الآن في الخارج، وفيما بعد تســاءل الرجل وهو نائم، فيما لو كان أخرقَ.

34

أبراج أعضاء مجموعة ناتالي

* * *

كلوئه: الميزان

* * *

جان - بيير: الحوت

* * *

البير: الثور

* * *

ماركوس: العقرب

* * *

ماري: العذراء

* * *

بنوا : الجدي

35

في صباح اليوم التالي، اعتذرت بسرعة من كلوئه، من دون الدخول في التفاصيل، وفي المكتب كانت مديرتها، وكانت امرأة قوية. لقد أوضحت أنها لم تكن تشعر بأنها قادرة على الخروج في الوقت الحاضر.

همست زميلتها الشابة:

- يا لَلخسارة.

لقد كان ذلك كلّ ما في الأمر، كان بنبغي أن يذهب إلى شيء آخر. بعد تبادل الكلمات هذه، بقيت ناتالي في الرواق برهة من الوقت، ثم عادت إلى مكتبها، كل الملفات بدت لها في نهاية المطاف ضمن اهتمامها اليومي؛ من دون أدنى اهتمام.

لم تكن بعيدة عن العالم الحسي بشكل كامل أبدا، ولم تتوقف عن كونها أنثى، بما في ذلك اللحظات التي تمنت فيها الموت، ربما كان ذلك إكراما لفرانسوا، أو بكل بساطة للفكرة التي يكفي أن تتجمل أحيانا لتبدو بكامل حيويتها. لقد توفي منذ ثلاث سنوات، وثلاث سنوات كافية لتفتيت حياة في الفراغ، لقد كان هناك من اقترح عليها أنْ تنفصل عن الذكريات، وتلك كانت ربما

هي الطريقة المثلى للتوقف عـن العيش في الماضي. لقد فكرت ثانيــة بالتعبير: «أن تنفصل عن الذكريات»، كيف يمكن للمرء أن يغادر ذكــرى واحدة؟ من أجل هذه الغايات، وافقت على الفكرة، لم تكن تحتمل حضور هؤلاء الذين يهتم بهم، وعند ذاك، لم يعد يبقى لديها شــيء مهم، ما عدا هذه الصــورة المرتبة في الدرج الكبير في مكتبها، صورة بدت مفقودة، كانت تتطلع إليها أحيانا، وكأنها تريد أن تقنع نفسها بأن هذا التاريخ كان موجودا بالفعل، في الدرج، هنالك أيضا مــرآة، تتناولها كي تتمرى فيها، كما قد يفعل ذلك رجل يراها للمرة الأولى. نهضت وأخذت تمشي، ذهابا ومجيئا في مكتبها، ويداها على وركيها، وبسبب الموكيت لم يسمع أحد صوت كعبيها المدببين، الموكيت، هو قتل للشهوانية، ولكن من ذا الذي ابتكر الموكيت؟

36

طرق الباب شــخص ما بصرامــة، وبإصبعين لا أكثر. قفزت ناتالــي، وكأن هــذه الثواني الأخيــرة جعلتها تظــن بأنها كانت تستطيع العيش وحيدة في العالم. قالت:

- ادخل.

دخــل ماركــوس، وكان أحد الزمــلاء، وهو يعــود أصله إلى أوبســالا، المدينة السويدية التي لم تســتهوِ أناسا كثيرين، حتى ســكان أوبســالا كانوا منزعجين، ذلك أن اسم مدينتهم يرن مثل اعتذار تقريبا، في الســويد تعد نســبة الانتحار هي الأعلى في العالــم، وكان البديل للانتحار هو الهجرة إلى فرنســا. هذا ما

كان على ماركوس التفكير به. لقد حبُي بجسد حريّ به أن يكون جسـدا بغيضا، ولكن لم يسـتطع أحد أن يقول كذلك بأنه كان قبيحا، إنه يمتلك طريقة خاصة بارتداء ملابسـه، لا أحد يعرف إن كان قد استرجع أموره في بيت جده في أيموس، أو في أسمال على الموضة. كان الجميع يشكلون مجموعة متجانسة إلى حد ما.

قال:

- جئت أقابلك من أجل الملف رقم 114.

بالإضافــة إلى ذلك أكان بنبغي عليه فــي ظهوره الغريب أن يتلفـظ بعبـارات بليدة؟ لم تكن لـدى ناتالي أيـة رغبة بالعمل هــذا اليوم، وهذه هــي المرة الأولى منذ زمـن طويل. لقد كانت تشعر وكأنها يائسة، ربما تستطيع القيام برحلة إلى أوبسالا في العطلة، وهذا متفق عليه. حدقت بماركوس الذي لم يتحرك، أما هــو فكان يتطلع إليها بإعجاب، فبالنسـبة له كانت ناتالي تمثل لــه هذا النوع من الأنوثة التي مــن الصعوبة بمكان النفاد إليها، والمزدوجة الخيـال الذي يطوره البعض فيمـا يتعلق بكل رئيس مباشــر، بكل كائن في موقع يهيمن عليهم. لقد قررت عندئذ أن تسـير نحوه، أن تسـير على مهل، حقا على مهل، بحيث يتصور البعض أن بوسـع المرء أن لديه متسـعا من الوقت لقراءة رواية خلال هذا المسـيرة، يبدو أنها لا تريـد أن تتوقف، حتى وجدت نفسـها على مقربة جدا من وجه ماركوس، قريبة جدا حتى كاد أنفاهما يتلامسان، انقطعت أنفاسه، ما الذي تريده منه؟ لم يعد لديه متسع من الوقت لصياغة هذا السؤال في رأسه بالتفصيل، لأنها شـرعت تقبّله بعنف، قبلة طويلة قوية، بقوة المراهقة هذه، ومن ثم تراجعت فجأة:

- بالنسبة للملف 114، سنرى فيما بعد.

فتحت الباب واقترحت على ماركوس أن يخرج، كم كان ذلك صعبا، لقد كان هو آرمسترونغ على القمر، وهذه القبلة كانت خطوة كبيرة بالنسبة لإنسانيته، بقي برهة من الزمن ثابتا لا يتحرك أمام باب المكتب. أما ناتالي، فقد نسيت تماما ما حدث للتو، إن عملها ليس له أي علاقة مع تتابع الأحداث الأخرى التي مرت في حياتها، وهذه القبلة، كانت الإعلان عن فوضى مفاجئة في أعصابها، هي ما يمكن أن نطلق عليه: الفعل المجاني.

37

ابتكار الموكيت

يبدو من الصعوبة بمكان أن تعرف من الذي ابتكر الموكيت، فحسب معجم لاروس، فإن الموكيت ليس سوى «سجادة تباع بالمتر»، وهذا التعبير يبرر الطبيعة البائسة لوجوده.

38

كان ماركوس رجلا دقيقا، وكان يحب العودة إلى بيته في الساعة السابعة وخمس عشرة دقيقة بالضبط. كان يعرف توقيتات المترو مثلما يعرف الآخرون عطور زوجاتهم المفضلة، لم يكن سعيدا بهذا العمل اليومي، ولكنه توصل إلى قناعة بأن يكون صديقا مع هؤلاء الغرباء الذين كان يلتقي بهم كل يوم. في ذلك المساء كانت تتملكه رغبة بالصراخ، وأن يحكي قصة حياته

لـكل الناس؛ حياته مع شفتَي ناتالي المطبوعتين على شفتيه، أراد أن يقف وينزل في أول محطة قادمة، هكذا، تماما لكي يشعور بالتخلي عن العادة، أراد أن يكون مجنونا، وكانت تلك هي التجربة التي لم تتحقق.

وبينما هو يسير باتجاه مسكنه، كانت صور طفولته السويدية تتراءى أمامه في غاية السرعة. الطفولة في السويد تشبه الشيخوخة في سويسرا، ولكنه في الحال، فكر بتلك اللحظات التي كان يحاول فيها وهو في آخر الصف تماما أن يتأمل ظهر الفتيات. وظل خلال سنوات عديدة، معجبا بقفا رقبة كرستينا وبيرنيلا وجوانا، وبعض الفتيات الأخريات في الشعبة، من دون أن تكون لديه القدرة على أن يهمس حرفا آخر. لم يكن يتذكر وجوههن، كان يحلم باللقاء بهن، ليقول لهن إن ناتالي قبّلته، ليقول لهن إنه لم يكن قد عرف معاينة جمالها، آه.. لقد كانت الحياة عذبة.

ذات مرة وأمام بيته، تردد. لقد اجتاحتنا أرقام للحفظ؛ الحاسبات والاتصال بالانترنت والبطاقات المصرفية.. حتما، هناك لحظة فيها يختلط الحابل بالنابل، يحاول المرء العودة إلى بيته باستخدام رقم تلفونه، أما ماركوس فكان يشعر، حيث كان عقله منظما بشكل متكامل، بأنه في مأمن عن هذا النوع من الانحراف، ومع ذلك ما حدث له ذلك المساء كان حسنا. من المستحيل أن يتذكر الرمز، حاول تدابير عديدة، ولكن عبثا، كيف كان بوسع المرء أن ينسى في المساء ما كان يعرفه في الصباح على الوجه الأكمل؟ هل ستدفعنا وفرة المعلومات بالضرورة نحو النسيان؟ وأخيرا.. وصل أحد الجيران ووقف أمام الباب، كان بوسعه

أن يفتحه في الحال، ولكنه سـيفضل الاستمتاع بهذه اللحظة من الهيمنة الواضحة، في نظره. بالوسـع القـول إن تذكر الرمز كان علامة على الرجولة، وأخيرا أسرع الجار، وأعلن بفخامة:

- أتوسل إليكم، بعدكم.

فكر ماركوس:

- يـا لك من أبله صغير، إذا كنت تعرف ما يدور في رأسـي، فإن لديّ مـن الأمور أجمل من تلك التي تمسـح المعطيات غير المفيدة.. تسلّق على السلم.

ونسـي في الحال العائق المؤسـف، لقد كان يشعر دائما بأنه خفيف. كان مشهد التقبيل يمر منعطفا في رأسه، لقد كان فيلما خالدا في ذكرياته، وأخيرا فتح باب شقته ووجد الصالة صغيرة جدا أمام رغبته في الحياة.

39

رمز دخول بيت ماركوس
A9624

40

في صباح اليوم التالي استيقظ مبكرا، مبكرا جدا، بحيث إنه لم يكن متأكدا من أنه نام بالفعل. انتظر شـروق الشـمس بفارغ الصبر، فهو على موعد مهم، ما الذي يحدث اليوم؟ كيف سيكون موقف ناتالي؟ أما بالنسبة له فما الذي كان يجب عليه أن يفعله؟

من كان يعرف كيــف يتصرف عندما تقبّله امرأة جميلة من دون أن تقدم أدنى ســبب؟ كانت الأســئلة تنهال عليــه، وتلك لم تكن علامة جيدة وحســب، كان عليه أن يتنفس بهــدوء (...) و(...) هكذا (...) على أحســن ما يرام (...)، ويقول في نفسه إن ذلك النهار هو ككل النهارات الأخرى بكل بساطة.

كان ماركوس يحب القراءة، وتلك كانت نقطة جميلة مشتركة مع ناتالي، لقد استخدم مساراته اليومية بحسب توقيتات المترو من أجل إشــباع هذه الغريزة، لقد اشترى منذ عهد قريب عددا من الكتب، وكان عليه أن يختار الكتاب الذي ســيرافقه في ذلك النهار، وكان هناك كاتب روســي أحبه حبا جما، كاتب كان يقرؤه بصفاء أقل من تولســتوي، أو دستويفســكي، من دون أن نعرف لمــاذا، ولكن الكتاب كان ضخما جدا. كان يريد نصا بوســعه أن يأخــذ منه من هنــا أو هنــاك بحســب رغـباتــه، لمعرفته بـأنه قــد لا يتمكن من تركيز فكــره، وهكذا عزم علــى اختيار كتاب «مقايسات المرارة» لسيوران.

وصل ذات مرة، وحاول أن يقضي أكثر ما يمكن من الوقت قرب ماكينة القهوة، ولكي يبدو ذلك طبيعيا شــرب منها كثيرا، وخلال ساعة بدأ يشعر بالانتباه تقريبا، قهوة سوداء وليلة بيضاء، لم يكن ذلك خلطة جيدة. ذهب إلى المغاســل، فرأى نفسه مكفهرا ثم عاد إلــى مكتبه، أي اجتماع مع ناتالي لم يكن متوقعا اليوم، ربما وجب عليه الذهاب إلى رؤيتها بكل بساطة؟ باستخدام حجة الملف 114، ولكن ليس لديه أي شــيء يقوله حول الملف 114. قد تكون بلادة، لم يكن يعد باستطاعته أن يترك نفسه يتحلل بسبب التردد، وبعد كل شــيء، كان أن قدمَ إليها! وهي التي قبّلته، وليس من حق أحد

أن يتصرف هكذا من دون أن يقدّم توضيحا. لقد كان ذلك مثل سرقة شيء ما والذهاب ركضا، هو ذاك بالضبط؛ فقد انطلقت راكضة بشفتيها، ومع ذلك كان يعرف أنها قد لا تعود لتلتقي به، فربما نسيت هذه اللحظة، التي لم تكن بالنسبة لها سوى فصل مجاني؟ كان حدسه في محله. إنه يشعر بظلم مرعب في هذه الاحتمالية؛ كيف أن فصل التقبيل يمكن أن يكون مجانا بالنسبة لها في الوقت الذي يكنّ لها اهتماما لا يقدر بثمن؟ نعم، باهظة الثمن.. هذه القبلة كانت هنا، تسري في كل مكان من جسده.

41

مقتبس من تحليل لوحة «القُبلة»
لغوستاف كليمت

* * *

تفتح معظم أعمال كليمت المجال لعدد كبير من التأويلات، لكن استخدامه السابق لموضوع الأزواج المتعانقين في إفريز بتهوفن وإفريز ستوكليت يسمح بأن نرى في القبلة الإنجاز النهائي للمسعى الإنساني نحو السعادة.

42

لم يكن ماركوس يتمكن من تركيز فكره، هو يريد تفسيرها، ولا توجد سوى طريقة واحدة للحصول على ذلك، وهي خلق مصادفة مفتعلة والقيام بالذهاب والمجيء أمام مكتب ناتالي،

طوال النهار ما لزم الأمر ذلك، هنالك وقت تخرج فيه، وهو بـ.. سيكون هناك، بمصادفة خالصة، يتمشى أمام مكتبها. وفي نهاية الأصبوحة كان يتصبب عرقا، لقد فكّر على حين غرة:

- إنني لست في مظهري الأفضل! إذا ما خرجت الآن، فإنها ستصادف رجلا وهو يتصبب عرقا.

كان قد بدد وقته وهو يتمشى في الرواق، من دون أن يفعل شيئا، كان يمضي من أجل شخص يتمشى اعتباطا.

بعد الفطور، عاودته أفكاره التي راودته في الصباح بقوة، كانت إستراتيجيته جيدة، وكان يجب عليه أن يستمر في الرواح والمجيء، وهذا هو الحل الوحيد، ومن الصعوبة بمكان أن تتمشى، متظاهرا في الذهاب إلى مكان ما، كان يفترض أن يظهر بمظهر محدد ومركز، لقد كان ذلك المظهر أكثر قسوة في التنقل بطريقة سريعة كذبا، وبعد العصر، وبينما كان منهكا، التقى بكلوئه، فسألته:

- هل أنت بخير؟ أنت غريب الأطوار!

- أجل.. أجل، بخير، إنني أنشّط ساقي قليلا، وهذا يساعدني على التأمل.

- هل أنت منشغل بالملف 114؟

- نعم.

- وهل تجري الأمور على أحسن حال؟

- نعم، على أحسن حال، إلى حد ما.

- اسمع، أنا لست مشغولة إلا بالملف 108، أريد أن أتكلم بشأنه مع ناتالي، ولكنها غير موجودة في مكتبها هذا اليوم.

سأل ماركوس:

- آه، صحيح؟ هي.. ليست في مكتبها؟

- كلا.. أظن أنها انتقلت إلى الريف، سأتركك، سأنظم ذلك للتو.

بقي ماركوس من دون ردة فعل.

لقد تمشى كثيرا بحيث كان بوسعه الوصول إلى الريف.

43

ثلاثة أقوال مأثورة لسيوران

قرأها ماركوس في المترو

* * *

فن الحب؟

يعني معرفة أقران الجذر من زهرة شقائق

النعمان بمزاج مصاص دماء.

* * *

راهب وجزار يتشاجران داخل كل رغبة

* * *

الحيوان المنوي قاطع طريق طاهر.

44

في اليوم التالي، وصل ماركوس إلى المكتب في حالة استعداد مختلفــة تماما، فهو لم يكن يعرف لمــاذا تصرّف بطريقة غريبة، وأية فكرة تلك التي تدفعه للقيــام بالرواح والمجيء، لقد أعاقته

القُبلــة، وعليه يمكن القــول أيضا إن الأيــام الأخيرة من حياته العاطفية كانت هادئة بشــكل خاص، ولكن لم يعد ذلك سببا لأن يكون أكثر صبيانية، كان عليه أن يحتفظ بدمه باردا، يريد دائما أن يحصل على تفســير مع ناتالي، ولكنه لم يعد يحاول الالتقاء بها عبر لعبــة المصادفة الكاذبة، إذن ســيمضي ليلتقي بها بكل بساطة.

قرع باب المكتب بقوة، فقالت:

- ادخل.

فيدخــل من دون تراجــع. وها هو إذن فــي مواجهة معضلة جســيمة؛ كانت قد ذهبت إلى الحلّاق، وكان للشعر وقع كبير في قلب ماركوس، وهناك، كان المشــهد محيرا، فقد كان شعر ناتالي ناعمــا، فإذا ما ربطته كما تفعل ذلك أحيانا يضفي عليها جمالا مدهشــا، كان كل شيء ينم عن بســاطة، ولكن أمام هكذا تعبير للشَّعر، كان يشعر بأن الكلمات تنقصه.

- نعم يا ماركوس، وهذا لماذا؟

قاطع انحرافها الذهني، وتلفظ في نهاية المطاف بأول جملة وردت إلى ذهنه:

- أحب شَعرك كثيرا.

- هذا لطف منك، شكرا.

- لا، حقا، إنني معجب به.

لقد اندهشت ناتالي من هذا التصريح الصباحي، ولم تعرف إن كان عليها أن تبتسم أو أن تكون متضايقة.

- نعم، وماذا بعد؟

- ......

- ومــع.. ومع ذلك، فأنت لم تــأتِ لتقابلني حتى تكلمني عن شَعري وحسب.

- كلا.. كلا..

- ماذا؟ إنني مصغية لك.

- ....

- ماركوس، هل أنت هنا؟

- نعم..

- وماذا بعد؟

- وددت أن أعرف لِم قبّلتِني.

لقد عنّــت عليها ذكــرى القُبلة في صــدارة ذاكرتها، فكيف اســتطاعت نســيانها؟ في كـل لحظة كانت تتشكل ثانية، وهــي لا تستطيع أن تكبح اشمئزازا بالنفور، أكانت مجنونة؟ منذ ثلاث سنوات لم تقترب من أي رجل، بل ولم تفكر مطلقا الاهتمام بأي شــخص، وإن تقبيلها لهذا الزميل لا يعني شيئا. كان ينتظر ردا، لكــي تتوضح الصورة ليفهم ذلك، كان الوقت يمضي، ولذلك كان عليه أن يتكلم.

همست ناتالي:

- لا أعرف.

كان ماركوس يريد إجابة، بل وحتى رفضا، ولكن لا شيء.

- وأنت ألا تعرفين؟

- كلا، لا أعرف.

- ليس بوسعك أن تتركيني هكذا، يجب أن توضحي لي.

لا يوجد شيء يمكن أن يقال.

لقد كانت هذه القُبلة وكأنها قُبلة تنتمي للفن الحديث.

45

عنوان لوحة كازيمير مالفيتش

* * *

مربع أبيض على خلفية بيضاء 1918

46

فكرت فيما بعد: لماذا هذه القبلة؟ لقد كانت تماما هكذا، نحن لا نسيطر على ساعتنا البيولوجية في الداخل، وفي هذه الحالة فهي نابعة من الحزن، كانت تتمنى الموت، حاولت أن تتنفس الصعداء، ونجحت في استعادة أنفاسها وتناول الطعام، وكذلك نجحت في استئناف عملها، وأن تكون قوية واجتماعية ومفعمة بالأنوثة، ومن ثم فإن الزمن قد انقض بهذه الطاقة العرجاء، بدءا من إعادة البناء، إلى اليوم الذي فيه خرجت إلى هذه الحانة، ولكنها هربت، ولأنها لا تدعم لعبة الإغواء، مقنعة أكثر من ذي قبل بأنها قد لا تستطيع أن تنشغل برجل، ومع ذلك، شرعت في اليوم التالي تغذ السير فوق الموكيت هكذا، وكأن هناك نزوة مسترقة من الشك، شعرت بجسدها بوصفه هدف الرغبة، بتقاطيعه وبوركيها، وكانت نادمة لأنها لم تستطع سماع صوت كعبي حذائها، كل هذا حدث بشكل مفاجئ، الولادة من دون الإعلان عن إحساس، وعن قوة نيِّرة.

لم يكن هناك شيء آخر يمكن أن يقال، فساعتنا البدنية ليست منطقية، فهي مثل كآبة الحب تماما؛ لا نعرف متى نفوض

إليها أمرنا، ففي أسوأ لحظة من الألم، نفكر بأن الجرح سيكون مفتوحا، ومن ثم، ذات صباح، نندهش بأننا لم نعد نحس بهذا الثقل الرهيب. أية مفاجأة وأنت تكتشف أن الشر قد ولى، لِم في ذلك اليوم؟ ولِم لم يكن متأخرا أو مبكرا؟ هذا قرار جسدنا الشمولي.

لم يبحث ماركوس عن إيضاح ملموس فيما يخص دافع القبلة هذه، لقد بدت في الوقت المناسب، وتتلخص الحكايات فضلا عن ذلك أحيانا بهذا السؤال البسيط في الوقت المناسب. لقد اكتشف ماركوس منذ عهد، وهو الذي لم يحقق طموحاته، قدرته على الظهور في الوقت المثالي في ميدان رؤية امرأة.

قرأت ناتالي البؤس في نظرة ماركوس، فبعد آخر مقابلة بينهما، مضى بكل هدوء، من دون أن يثير ضجة، ولما كانت بسيطة مثل فاصلة منقوطة في رواية من ثمانمئة صفحة، لم تكن تستطيع التخلي عنه هكذا. لقد كانت منزعجة بشكل رهيب من التصرف ذاك، وفكرت، فهو فضلا عن ذلك، كان زميلا رائعا، ومحل احترام الجميع، وهذا ما يزيد من انزعاجها للفكرة التي أدت إلى جرحه. استدعته إلى مكتبها، وتناول الملف رقم 114 تحت ذراعه، في الحالة التي قد تريد أن تراه لسبب مهني، ولكنه لم يعر أي اهتمام للملف 114، وبعد ذهابه إلى هذا الاجتماع، دلف إلى الحمامات ليضع قليلا من الماء على وجهه. فتح الباب، متشوقا إلى ما كانت تقوله له:

- شكرا على مجيئك.

- من فضلك.

- أرجو المعذرة.. لأنني لا أعرف بماذا أرد، هنالك أمر واحد أقوله لك، هو أنني لا أعرف أكثر الآن..

- ....

- لا أعـرف ما الذي أصابني.. الدافع الجسـدي بالتأكيد.. ولكننـا نعمل سـوية، ويجب أن أقول إن ذلك كان غير مناسـب بالمرة.

- أنت تتكلمين وكأنك أمريكية، وهذه ليست علامة حسنة.

أخـذت تضحك، يا له من رد غريب، كانت هذه هي المرة الأولى التي كانا يتحدثان بها عن شـيء آخـر وليس عن ملف، لقد كانت تكتشف قرينة ترتبط بشخصيته الحقيقية، فكان عليها أن تستأنف:

- إنني أتكلم بصفتي مسؤولة عن مجموعة من ستة أشخاص، وأنت أحدهم، لقد وصلـت في الوقت الذي كنت فيه أحلم، وأنا أدرك حقيقة اللحظة.

- ولكن هذه اللحظة كانت الأكثر حقيقية في حياتي.

هكذا احتج ماركوس من دون تفكير، وقد خرج ذلك من قلبه.

لـم تمض الأمور ببسـاطة، هكـذا فكرت ناتالـي، وكان من الأفضل غلق هذه المناقشـة، وهذا ما فعلته بسرعة، وبقليل من الجفوة، لم يكن يبدو على ماركوس أنه فهم ذلك، فبقي متسـمّرا فـي مكتبها، وهو يبحث عبثا عن قـوة للمغادرة. وحقيقة القول، عندما اسـتدعته في غضون عشر دقائق، كان يتصور أنها ربما تريد أن تقبّله ثانية، لقد سافر في هذا الحلم، وعاد ليفهم الآن، بطريقـة حازمة، أنه لم يكن يحدث شـيء بينهما، هو مجنون إن صدق ذلك، لقـد قبّلته تماما هكذا، وكان مـن الصعوبة بمكان التسـليم بذلك، وكأن أحـدا ما كان يقدم لك السـعادة قبل أن

تســترجعها ثانية في الحــال. كان يحلم بعد أن تعرّف على طعم شــفتَي ناتالي، وكان يحلم بعد أن عــرف هذه اللحظة، لأنه كان يشعر بأن الأمر قد يتطلب شهورا ليشفى من بضع الثواني هذه.

تقــدم نحو البــاب، وكانت ناتالي مندهشــة وهي تلمح دمعة تترقرق في عين ماركوس، دمعة لم تسل بعد، ولكنها كانت تنتظر الرواق لتتســاب، أما هو، فقد كان يريد أن يحبســها، وألا يبكي أمام ناتالي على وجه الخصوص. كانت حماقة، ولكن هذه الدمعة التي سيبكيها كانت دمعة لا يمكن توقعها.

47

فكرة لفيلسوف بولوني

* * *

هنالك أناس رائعون
نلتقيهم في الوقت الخطأ.
وهنالك أناس هم رائعون
لأننا نلتقيهم في الوقت المناسب.

48

قصة عاطفية قصيرة لماركوس
من خلال دموعه

قبل كل شيء، نغض الطرف هنا عن بكاء الطفولة، البكاء أمام أمه أو أمام معلمة في المدرسة، والمقصود هنا ليس بكاء ماركوس

لأســـباب عاطفية، وإنما، قبل هذه الدمعة التي حاول الســـيطرة عليها أمام ناتالي، فقد سبق له أن أجهش بالبكاء مرتين.

كان أن ســـكب الدمعة الأولى أثناء إقامته في السويد مع فتاة شابة تحمل اســـما جميلا هو بريجيت، وهو اسم ليس سويديا، ولكنه حســـن، واســـم بريجيت بـــاردو لا حدود له. ولمـــا كان أبو بريجيت مهووسا طوال حياته بهذه الأسطورة، فإنه لم يجد فكرة أفضل من أن يســـمّي ابنته بهذا الاســـم، ونحن لـــم نعلق أهمية على الخطر النفسي في تسمية ابنته إكراما لحلمه الغرامي. إن الحكاية المتعلقة ببيريجت لا تهمنا، أليس كذلك؟

لقد صارت بيريجت جزءا من فضول فئة من النساء على وجه التحديـــد، وكانت قادرة على عدم إعطاء أية وجهة نظر محتملة، حول كل موضوع؛ والشـــيء ذاته كان مع جمالها، ففي كل صباح، تنهض وهالة الشـــهرة على وجهها، ولأنها واثقة من نفسها، كانت تجلـــس دائما في الصـــف الأول، وهي تحاول أحيانـــا إثارة قلق الأســـاتذة من الذكور، عازفة على موســـيقى جاذبيتها الواضحة للقيام بحرف اتجاه الجغرافية السياســـية، فعندما كانت تدخل في قطعة، كان الرجال يحلمون بها في الحال، والنســـاء يمقتنها غريزيـــا. لقد كانت موضـــوع كل التخيلات، وهو مـــا انتهى إلى إغاظتهـــا، لقد كانت تمتلك في ذلك الوقت هذا الإيحاء العبقري لتهدئة المشـــاعر؛ كانت تخرج مع أكثـــر الصبيان حقارة، وهكذا، كان الذكور يرتعبون، والفتيات في غاية الاطمئنان. كان ماركوس هـــو المختار المحظوظ، من دون معرفة لماذا كان مركز العالم يهتم به علـــى حين غرّة، لقد كان وكأن الولايات المتحدة الأميركية قد دعت ليشتتشـــتاين إلى تناول الفطور. لقد بعثت له سلســـلة من

التحايا، وصرحت بأنه محط اهتمامها كثيرا.

- ولكن كيف رأيتِني؟ إنني دائما في نهاية الصف، وأنتِ دائما في الصف الأول؟

قالت بريجيت:

- إنه قفاي، الذي حكى لي كل شيء، إن في قفاي عيونا.

في ضوء الحوار ولد اتفاقهما.

الاتفاق الذي أثار كلاما كثيرا. في المساء كانا يغادران الثانوية معا، تحت أنظار الجميع المنبهرة، في تلك المدة، كان ماركوس لا يمتلك أي وعي متوقد بشخصه، وكان يدرك في قرارة نفسه أن الجسد يمنحه قليلا من المتعة، ولكن لم يكن ذلك ليبدو بالنسبة له خرقا للطبيعة لكونه مع امرأة جميلة.

ومنذ ذلك الحين، كان يسمع:

«لم تكن النساء سطحيات كالرجال، فالجسد يعد أقل أهمية بالنسبة لهن، أما الجوهري فهو أن تكون مثقفا وظريفا».

وعند ذاك تعلّم كثيرا من الأشياء، وكان يحاول أن يبرهن على الفكر، ومع بعض النجاحات، كان ينبغي أن يعترف. وهكذا، فإن مسامات وجهه قد انمحت إلى حد ما وراء ما يمكن أن يطلق عليه السحر بعينه.

لكن هذا السحر انسحق مع بدء ممارسة الحب، لقد بذلت بريجيت جهودا كثيرة بالتأكيد، ولكن في اليوم الذي حاول فيه أن يلمس نهديها المذهلين لم تقاوم يده، في حين كانت أصابعها الخمس قد انتهت إلى وجه ماركوس المندهش، استدار ليرى نفسه في المرآة، فاكتشف بذهول ظهور أحمر الشفاه على بياض بشرته، وقد يتذكر أحمر الشفاه دائما، وقد يشرك هذا

اللون بفكرة الرفض. لقد حاولت بريجيت الاعتذار قائلة بأن حركته كانت متهورة، غير أن ماركوس فهم أن الكلمات لم تكن تدل على شيء. شيء ما حيواني وباطني؛ لقد اشمئز منها، وحدّق فيها، ثم أخذ يجهش بالبكاء. كل جسد يعبر عن نفسه بطريقته الخاصة.

كانت تلك هي المرة الأولى التي بكى فيها أمام امرأة.

لقد حصل على نسخة سويدية للبكالوريا، فقرر الذهاب للعيش في فرنسا، البلد الذي فيه النساء لم يكنّ من صنف بريجيت. ولما كانت المرحلة الأولى من حياته العاطفية قد أدمته جرحا، فقد طور اتجاها من الحماية، لقد مضى ربما للعيش في مسار متوازٍ مع العالم الشعوري، كان خائفا من المعاناة، ومن أن يكون غير مرغوب فيه لأسباب معتبرة، لقد كان هشا، من دون أن يعرف كم هذه الهشاشة ممكن أن تثير امرأة، ففي غضون ثلاث سنوات من العزلة في المدينة، وهو يائس من العثور على الحب، قرر المشاركة في جلسة (التعليم السريع) Speed dating، وهكذا التقى بست نساء، قد يستطيع التحدثن معهن خلال سبع دقائق، كان الوقت قصيرا للغاية لشخص مثله؛ لقد كان مقتنعا بأنه ينبغي له قرن من الزمن في الحد الأدنى ليقنع أنموذجا من الجنس المضاد في النقيض على اقتفاء أثره في طريق ضيق من حياته. ومع ذلك، حدث شيء غريب، فمنذ اللقاء الأول كان يشعر بحرارة متبادلة، كانت الفتاة تدعى أليس (من الغرابة أن تدعى أليس وأن تجد نفسها في هذا النمط من الأماسي لتلتقي برجل، بصورة عامة إن من يحملن اسم أليس يلتقين بالرجال بكل سهولة).

وتعمل في صيدلية (من الغرابة أن تسمّي امرأة نفسها أليس وتعمل في صيدلية، وفيها كانت تشــجع أحيانا صالونات الفن). وحقيقــة القول، كان الأمر في غاية الســهولة؛ الوضع يزعجهما كثيــرا حيث يتيح لهما الاســترخاء، لقد كان اللقــاء بينهما يقع إذن ببســاطة متناهية، وبعد الارتباط بالمواعيد، وجدا نفسيهما بحاجة ثانية لتمديد الدقائق الســبع التي أصبحت أياما وشهورا فيما بعد.

غير أن قصتهما لم تتجاوز العام، فماركوس كان معجبا بأليس، ولكنه لم يكن يحبها، ولا سيما أنه لم يكن يرغب بها تماما، وكانت تلك معادلة مريعة؛ فالمــرة الأولى التي التقى فيها امرأة صالحة لــم يقع في حبهــا مطلقا، فهــل نحن متهمــون بالنقص؟ خلال أسابيع من علاقتهما، تقدم في تجربته فيما يخص حياتهما، لقد اكتشف قواه، وقدرته على ممارسته الحب، أجل لقد وقعت أليس حبا فيه، وكان يعد ذلك خللا في شــخص لم يعرف سوى الحب الأمومي (ومازال)، هنالك شــيء في غاية الرقة يمكن أن نلمسه لدى ماركوس بكل بساطة، وهو مزيج من القوة التي تسكّن الروع ومن الضعف المحرك للعواطف، وحقا إن هذا الضعف جعله يدفع مــا لا مناص منه، أي ترك أليس، ولكنه فعل ذلك ذات صباح، إذ إن معاناة امرأة شابة سببت له جرحا عنيفا على وجه الخصوص، ربما أكثر من معاناته هو، فلم يستطع منع نفسه من البكاء، ولكنه كان يعرف أن ذلك كان قرارا جيدا، لقد اختار العزلة في تجويف حفرة واسعة جدا بين قلبيهما.

إذن كانــت تلك هي المرة الثانية التي أجهش فيها بالبكاء أمام امرأة.

وفـــي غضون العامين تقريبا، لم يطرأ شـــيء في حياته، لقد بكى على أليس، وبخاصة في جلسات «التعليم السريع الجديدة» Speed dating التي كانت مخيبة للآمال على وجه الخصوص، لا نقول إنها مخزية، عندما لا تبذل الفتيات جهدا للتحدث معه، عنـــد ذلك قرر ألّا يذهب إلى هناك، بل وربما، هل كان قد تخلى عن فكرة أن يعيشا معا؟ لقد أدرك أنه لم يعد يرى في ذلك فائدة، وبعد كل هذا، هنالك الملايين من العازبات، وبإمكانه أن يستغني عن أية امرأة، ولكنه قال في نفسه ذلك من أجل أن يجعل نفسه مطمئنة، من أجل ألّا يفكر بأية نقطة كان فيها تعيســـا من جراء هذا الموقف. كان يحلم بجســـد امرأة كثيرا، وكان ينفجر أحيانا ليقول في نفســـه إن ذلك ســـيصبح ممنوعا عليه فيما بعد بكل تأكيد، إنه لم يعد بوسعه أن يمتلك تأشيرة للجمال.

وفجأة.. قبّلته ناتالي، مســـؤولته والمصدر الواضح لخياله، ثم أوضحت له أن ذلك لا أهمية له، وعندئذ كان عليه أن يعتاد على ذلك، لم يكن خطرا جدا على كل حال، ومع ذلك بكى، أجل كانت الدموع تســـيل من عينيه، وهذا ما أدهشـــه بشدة، دموع «ليست بالحسبان»، هل كان هشاً؟ كلا لم يكن كذلك، لقد احتمل حالات مختلفة تماما، هذا هو بالضبط ما أثارته القبلة، لأن ناتالي كانت جميلـــة بكل تأكيد، ولكن أيضا من خلال جنون حركتها، لم يقبّله أحد قط هكذا، من دون أن يأخذ موعدا مع شـــفتيها، كان ذلك هو الســـحر الذي أثار فيه المشـــاعر حتى دمعت عيناه، أمّا الآن فبدموع الخيبة المريرة.

49

عندما رحل في مساء الجمعة ذاك، كان في غاية الانشراح باللجوء إلى عطلة نهاية الأسبوع. قد يستخدم يومي السبت والأحد بوصفهما غطائين عريضين، لم يكن يرغب القيام بأي شيء، كما أنه لا يمتلك الشجاعة للقراءة، وعند ذاك، بقي جالسا أمام التلفاز، وكأنه يتابع مشهدا استثنائيا، مشهد انتخابات السكرتير الأول للحزب الاشتراكي الفرنسي، تتواجه في الجولة الثانية سيدتان، هما مارتين أوبري وسيغولين رويال، وكان حتى الوقت الراهن غير منشغل بالسياسة الفرنسية، لكن هناك قضية تستحوذ عليه، بالأحرى إنها قضية كانت تمنحه أفكارا عديدة للتو.

في ليلة الجمعة على السبت تراجعت النتائج، ولكن لم يكن بوسع أحد أن يعلم علم اليقين من الفائز. في الصباح الباكر صرحت مارتين أوبري في نهاية المطاف بأنها هي الفائزة بثمانين صوتا سلفا، غير أن ماركوس لم يصدق بهذا الفرق الضئيل، وكان أنصار سيغولين رويال يحتجون على الفضيحة: لن ندع أحدا يسرق انتصارنا! فكر ماركوس بأنها جملة خرافية، كانت الخسارة تستمر بالمقاومة، وتطعن في مجموعة النقاط التي تم إحرازها، وينبغي القول إن كل المعلومات في يوم السبت كانت تبدو أنها تقرّ لها بالحق، حيث إن هنالك من كشف عن أعمال تزوير وأخطاء، فكان الفرق يتناقص أكثر فأكثر. لقد استمع ماركوس إلى تصريح مارتين

أوبري، وقد شغلته هذه القضية، كانت تقدم نفسها كسكرتير أول جديد للحزب، ولكن ذلك لم يكن يمضي بسهولة، ففي المساء نفسه، أعلنت سيغولين رويال، من منصة نشرة الأخبار المتلفزة، أنها ستكون أيضا السكرتيرة القادمة. كانت الاثنتان تصرحان بأنهما فائزتان! وكان ماركوس أسير قرارات هاتين المرأتين، وبخاصة قرارات الثانية التي استمرت، بالرغم من الهزيمة تناضل بإرادة صلبة.. ولكي لا يقال ما هو خارق، كان يرى في حيوية هاتين الحمقاوتين السياسيتين كل ما كان غير موجود، وكان في مساء يوم السبت هذا، وهو ضائع في معركة الاشتراكيين التراجيدية - الكوميدية، قد قرر ألّا يبقى هناك مع ناتالي، حتى لو قالت له إن كل شيء قد ضاع، وإنه ما من شيء كان يمكن مواجهته، وقد يستمر يصدق ذلك، وسيكون السكرتير الأول في حياتها الأولى، مهما كلف الأمر.

كان قرارها الأول بسيطا، وهو المعاملة بالمثل، فإذا كانت قد قبّلته من دون أن تطلب منه رأيه، فهو لم يكن لم يدرك لماذا لا يستطيع القيام بالشيء ذاته. في صباح يوم الاثنين، وفي الساعة الأولى منه، قد يهرع كي يلتقي بها ليعيد لها ثمن شفتيها، ولذلك قد يتوجه إليها بخطوة ثابتة (وكان جزءا من البرنامج الأكثر تعقيدا؛ لم يكن موهوبا أبدا كي يمشي بخطوة ثابتة)، وقد يمسك بها بطريقة رجولية (وكان هذا هو الجزء الآخر المعقد من البرنامج؛ لم يكن موهوبا أبدا ليتصرف بطريقة رجولية، أيا كان الأمر). بتعبير آخر، كان الهجوم يبدو معقدا، ولكن مع ذلك كان بين يديه أن يستعد ليوم الأحد، ليوم أحد الاشتراكيين الطويل.

50

التصريحات التي أدلت بها سيغولين رويال
في الوقت الذي تفوقت بـ 24 صوتا

* * *

أنت لا تشبعين يا مارتين
أنت لا تريدين أن تعترفي بانتصاري

51

كان ماركــوس أمام باب ناتالي، لقد حان الوقت كي يتصرف، وهو ما كان يدفعه إلى الثبات الأكثر تكاملا. وعلى الفور، مر من هنا أحد زملاء مجموعته، وهو السيد بنوا:

- حسنا ماذا تفعل؟
- هاااا.. لدي موعد مع ناتالي.
- وبوقوفك مزروعا أمام بابها فهل تعتقد أنك تلتقي بها؟
- كلا.. لدي موعد في الساعة العاشرة بالضبط.. وهي الآن الساعة التاسـعة وتسـع وخمسـون دقيقة.. ثم أنت تعرفـني، فأنا لا أحب أن أكون مبكرا..

ابتعد الزميل، في الحالة نفسها تقريبا التي كان فيها في ذلك اليوم من أبريل العام 1992، حيث شـاهد مسرحية لصاموئيل بيكيت في مسرح الضاحية.

كان ماركوس مكرها على التصرف، فدخل في مكتب ناتالي،

كان رأســها غاطســا في ملف (ربما هو الملف 114) فرفعته في الحال، تقدم نحوها بخطوة حازمة، ولكن ما من شيء كان يمكن أن يكون بســيطا، فعند الاقتراب من ناتالي، كان عليه أن يبطّئ، كان قلبــه يخفق بقــوة أكثر فأكثر؛ ســيمفونية نقابوية حقيقية، كانت ناتالي تتســاءل عما سيحدث، بكلمة مختصرة كانت تعاني مــن خوف أكيد، ومع ذلــك كانت تعرف جيــدا أن ماركوس هو اللطف نفسه؛ ماذا يُريد؟ لمَ لا يتحرك؟ كان جسده مثل حاسوب مصاب بالفيروس، من خــلال إدخال المعطيات، وكانت معطياته ما هي إلّا معطيات عاطفية، نهضت وسألته:

- ماذا يجري يا ماركوس؟

- ...

- هل أنت بخير؟

لقــد نجح في التركيــز ثانية حول ما جاء ليقــوم به، وفجأة أمســك بها من خصرها، وقبّلها بقوة قُبلة لم يكن يشــك بها هو نفسه، لم يكن لديها متسع من الوقت للمقاومة لأنه كان قد غادر المكتب.

52

ترك ماركوس وراءه هذا المشهد الغريب للقبلة المسروقة. أرادت ناتالــي أن تنغمس ثانية في ملفها، ولكنها قررت في نهاية المطاف الانطلاق بحثا عنه، لقد شــعرت بأن شيئا معقدا يتحدد، وحقيقة القول، كانت تلك هي المرة الأولى، ومنذ ثلاثة أعوام يتشبث بها رجل بهذه الصورة، وأن أحدا لا يحســب ذلك بوصفه شــيئا هشا. أجل

كان مدهشا، ولكنها كانت مرتبكة من جراء هذه الحركة الواضحة، النابعة من رجولة متقدة تقريبا، مشت في أروقة الشركة تسأل الموظفين يمينا ويسارا من الذين كانت تلتقي بهم: أين هو؟ ولكن لا يعرف أحد أين، إنه لم يلتحق بمكتبه، وعند ذاك فكرت بسطح البناية، ففي هذا الفصل، لا يذهب أحد إلى السطح لأن الجو بارد، قالت في نفسها إنه يفترض أن يكون هناك، كان ذلك مجرد حدس، وكان هناك، قرب الحافة، في وضع هادئ جدا، كان يحرك شفتيه بحركات صغيرة، هي نفخات بكل تأكيد، يبدو أنه كان يدخن، ولكن من دون سيجارة، اقتربت ناتالي منه بصمت.

قالت:

- أنا أيضا آتي أحيانا لأحتمي هنا، لأتنفس الصعداء.

اندهش ماركوس لمثل هذا الحضور، لم يفكر بأنها تنطلق للبحث عنه أبدا، بعد ما حدث للتو.

أجاب:

- ستصابين بالبرد، ولا أملك حتى معطفا كي أضعه عليك.

- آه حسن، سنصاب بالبرد نحن الاثنان، هذه حالة في ضوئها على الأقل لا يوجد فرق بيننا.

- هذا خبث.

- كلا، ليس خبثا، غير أنني لست محتالة في تصرفي عندما فعلتُ ذلك.. وأخيرا حسنا، ومع ذلك، لا يبدو وكأنني ارتكبت جريمة!

- عندئذ أنت لا تعرفين شيئا عن الحسية، فقُبلة منك، ثم لا شيء البتة، بالتأكيد هذه جريمة، ستكونين مدانة في مملكة القلوب القاسية.

- في مملكة القلوب القاسية؟.. لم يكن لك أن اعتدت الكلام معي بهذه الطريقة.

- من المؤكد أنني لن أنظم الشعر مع الملف 114.

* * *

كان البـــرد يغيّر من وجهيهما، ويزيد شـــيئا من الحيف، لقد صار ماركوس أزرق زرقة خفيفة، ولا نقول شاحبا، بينما صارت ناتالي مصفرّة مثل أميرة واهنة الأعصاب.

* * *

قالت:

- ربما يكون من الأفضل العودة.

- نعم.. وماذا نفعل بعد؟

- ولكن... يكفي هذا الآن، لا يوجد شـــيء يمكن أن نقوم به، أعتذر، ومع ذلك لن أكتب رواية.

- لمَ لا؟ لن أكون ضد فكرة قراءة مثل هذه القصة.

- حســـن لنتوقـــف، إنني حتـــى لا أعرف ما يمكـــن أن أفعله لأحرضك على الكلام هنا.

- اتفقنا، نتوقف، ولكن بعد العشاء.

- ماذا؟

- نتعشى معا، وبعد ذلك أعدك بأنني لن أعود أتكلم.

- لا أستطيع.

- أنت ترغمينني على ذلك.. العشاء بالضبط.

يمتلك بعض الأشخاص قدرة غير اعتيادية على التلفظ بمثل هذه الجملة، المقدرة التي تمنع الآخر من الإجابة بالنفي.. كانت ناتالي تشعر بأن في صوت ماركوس كل قناعته، وكانت تعرف أن

ذلـــك يُعد خطأ في القبول، وتعرف أن عليه أن يتراجع الآن، قبل فوات الأوان، ولكن في مواجهته، من المســـتحيل أن ترفض، ومن ثم فإنها كانت تشعر بالبرد إلى حد كبير.

53

معلومات ملموسة
عن الملف 114
المقصـــود بذلك التحليل المقارن بين فرنســـا والســـويد فيما يخص التنظيم في الوسط الريفي، للموازين التجارية الخارجية للحقبة التي تبدأ من نوفمبر 1967 إلى أكتوبر 1974.

54

عاد ماركـــوس إلى بيته، واســـتدار دورة أمـــام خزانته، ماذا يرتدي من ثياب عندما يتعشـــى مع ناتالـــي؟ كان يريد أن يتأنق، أية بدلة يختار لاســـتكمال أناقته؟ انتابته الحيرة، ربما لا تعجبها أناقتـــه هذه، هل كان عليـــه أن يرتدي ربطة عنق؟ ليس لديه من يســـاعده، إنه وحيد في هذا العالم، والعالم هذا كان ناتالي، إنه متأكد ما يكفي وبشكل اعتيادي من ميوله المتعلقة بالملابس، لقد فقد توازنه في كل الأمور، فهو لا يعرف أن يختار حتى حذائه، لم يعد معتادا على ارتداء الملابس للخروج في المســـاء، ومن ثم فإن الموقف كان حرجا. يضاف إلى ذلك أنها مســـؤولته، وهذا ما كان يزيـــد من الضغط، وأخيرا توصـــل إلى تخفيف توتره، مدعيا أن

المظهر لم يكن ذا أهمية كبيرة، وأنه قبل كل شيء عليه أن يظهر فــي غاية الهدوء، وأن يتحدث حديثا ميســورا حول موضوعات متنوعــة، وعلى وجه الخصــوص كان ينبغي ألّا يتكلم عن العمل، وممنــوع منعا باتا ذكر الملف 114، وألا يدع ذلك اليوم يؤثر على ســهرتهما، ولكن ماذا ســيقولان إذن؟ لم يغيّرا من المحيط، كانا يمضيان مثل جزارين إلى مؤتمــر النباتيين. كلا، لقد كان الأمر أمرا اعتباطيا، والأفضل ربما كان الإلغاء، ما يزال هناك متســع من الوقت، ومشكلة القوة العظمى، أجل، إنني متأسف يا ناتالي، ربمــا إنني أحببت كثيرا، وأنت تعرفين ذلك جيدا، ولكن لا بأس، ففي هذا اليوم بالضبط توفّيت أمي. آه.. لا، الأمور ليســت على ما يرام، عنيفة جدا، كامو أيضا ليس على ما يرام، كامو للإلغاء، أما ســارتر فكان أفضل. لم أستطع في هذا المساء، أنت تدركين أن الجحيــم هم الآخرون، وأن نغمة وجودية قصيرة في الصوت، قد تؤدي بشكل حســن، قال في نفسه وهو يهذي إنه كان ينبغي عليهــا أن تبحــث هي أيضا عن أعذار للإلغــاء في آخر لحظة، ولكن لا شــيء في هذا الوقت دائما. لقـد تواعـدا منذ ســاعة، ولا رســالة، كان يفتــرض أن تحاول الآن، وهــذا مؤكد، أو ربما حينمــا تكون لديها مشــكلة في بطارية هاتفهــا، وبالتالي فإنها كانت غير قادرة على إبلاغه بأن لديها عائق. لقد اســتمر يغزل خيــوط اللحظة هكــذا، ولما كان لم يحصل علــى الأخبار، خرج ولديه شعور بأنه ينجز مهمة فضائية.

55

اختار مطعما إيطاليا ليس ببعيد عن بيتها، ولأنها كانت ظريفة جدا عندما سبق لها وتعشّت معه، فعند ذاك لم يكن يرغب بأن يجعلها تجتاز المدينة، ولما كان الوقت ما يزال مبكرا، فقد طلب كأسين من الفودكا في الحانة المقابلة، وهو يأمل بأن يستمد شجاعته منها، وأن ينتشي ولو قليلا، فالكحول لم يكن له ذلك التأثير الذي يذكر، ثم ذهب ليجلس في المطعم. كان إذن في حالة من الوعي التام عندما اكتشف ناتالي في الموعد المحدد، وفي الحال فكر بأنه كم كان سعيدا لأنه لم يكن ثملا، لم يكن يود أن تقلب الثمالة نشوة رؤيتها وهي تتراءى له، تقدمت نحو.. كانت جميلة جدا.. ومن هذا الجمال وضع علامات وقف في كل مكان.. ومن ثم فكر بأنه لم يرها في المساء قط، لقد كان مندهشا إلى حد ما من أنها تستطيع الحضور في هذه الساعة. كان عليه أن يكون من النوع الذي يفكر بأن الجمال يوضع في علبة في أثناء الليل، لم يصدق نفسه، لأنها كانت هنا، قبالته الآن.

نهض مرحبا بها، ولم تلحظ أبدا أنه كان كبيرا أيضا، كان ينبغي القول أيضا إن موكيت الشركة يكدّس العمال، وفي الخارج يبدو أن كل الناس كبار. قد تفكر طويلا بهذا الانطباع الأول عن الكبر.

لم يمنع ماركوس نفسه من القول:

- شكرا لمجيئك.

- أرجوك..

- كلا.. هذه حقيقة، أعرف أنك تعملين كثيرا.. وبخاصة في هذا الوقت.. مع الملف 114.

رمقته بنظرة.

ثم انطلقت تضحك، بطريقة مزعجة.

«لقد وعدت نفسي مع ذلك ألا أتكلم عن الملف.. يا إلهي، إنني مثير للسخرية..».

ابتسمت ناتالي بدورها، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تبتسم فيها، منذ وفاة فرانسوا، إذ وجدت نفسها في موقف يتطلب منها أن تهدّئ من روع شخص ما، وهذا ما يدفعها لتحسن إليه صنعا، وكان لارتباكها شيء من التأثير، لقد تذكرت ذلك اليوم الذي تناولت فيه العشاء مع شارل، باليقين الذي كان يستخلصه، ويشعر بأنه أكثر راحة الآن. العشاء مع رجل كان قد حدق فيها بالطريقة ذاتها التي يحدق فيها السياسي الذي ربما سيحقق انتصاره في انتخابات لم يكن مرشحا لها.

قالت:

- من الأفضل عدم الكلام عن عملنا.

- عندئذ نتكلم عن ماذا؟ عن ذوقنا؟ هذه الأذواق مناسبة تماما للبدء بحديث ما.

- نعم.. وأخيرا فمن الغرابة أن يفكر المرء هكذا بما يريد أن يتحدث به.

- البحث عن موضوع للحديث يبدو لي موضوعا مناسبا للحديث.

كانت أعجبته هذه العبارة، والطريقة التي تلفظها. واستأنفت:

- في الحقيقة، أنت غريب.

- شكرا.. إن لي هيئة أكثر عبوسا من هذا؟

قالت وهي تبتسم:

- إلى حد.. نعم.

- لنعد إلى الأذواق، هذا أفضل.

- وددت أن أقول لك أمرا ما؛ إنني لم أعد أفكر حقا بما أحب أو بما لا أحب.

- هل يمكن أن أطرح عليك سؤالا؟

- نعم.

- هل تشعرين بالحنين إلى الوطن؟

- كلا لا أعتقد ذلك.

- إنه لأمر نادر بالأحرى لواحدة مثل ناتالي.

- حقا؟

- نعم، إن لدى عائلة ناتالي اتجاها واضحا بالنسبة للحنين.

ابتسمت مرة أخرى، لم تعد معتادة، ولكن كانت كلمات هذا الرجل مشوشة، لا يستطيع أحد أن يعرف أبدا ما سيقوله، فكرت بأن هذه الكلمات كانت في دماغه مثل كرات اللوتو قبل خروجها؛ ألديه نظريات أخرى حوله؟ أعني الحنين، لقد طرحت قضية علاقتها مع الحنين بصدق، غير أن ماركوس وضعها فجأة في صور من الماضي، وبشكل غريزي، فكرت بصيف كان عمرها فيه ثماني سنوات، عندما رحلت مع أبويها إلى أمريكا، شهران خرافيان جابت بهما فضاءات واسعة من بلاد الغرب، وقد اتسمت هذه الإجازات السنوية بالشغف؛ الشغف بمنتجات شركة بيز التي تنتج السكاكر، هذه السكاكر الصغيرة التي يدسونها في تماثيل صغيرة منمنمة من البرونز. يكفي أن تضغط على الرأس

مـــن أجل ذلك تقدم لك اللعبة قطعة ســـكاكر، كان هذا الشـــيء يرسخ خصوصية الصيف، وقد وجدت ذلك. استحضرت ناتالي هذه الذكرى في الوقت الذي ظهر فيه النادل فسأل:

- هل اخترتما شيئا؟

- نعم، ســـنتناول طبقين من الريسوتو بالهليون (طبق إيطالي يتكون من الرز والجبنة والزبدة).

وقال ماركوس:

- أما بالنسبة للحلوى.. فسنتناول السكاكر.

- ماذا؟

- سكاكر.

- لا توجد عندنا.. السكاكر سيدي.

فختم ماركوس:

- هذا أمر مؤسف.

انطلـــق النـــادل ثانية ســـريعا وهو منزعج، وفـــي هيئته، كان الحـــس المهني وحـــس الاضطراب مثل خطـــين متوازيين، إنه لم يفهـــم ما كانت تفعله امـــرأة كهذه مع رجل كهـــذا، بالتأكيد كان منتجا سينمائيا، وكانت هي الممثلة، هنالك سبب مهني بالضرورة لتناول العشـــاء مع ظاهـــرة ذكورية غريبة بقدر مـــا.. ما حكاية السكاكر؟ إنه لم يكن يحب على الإطلاق التلميح إلى المال.

فهـــو يعرف جيدا هـــذا الصنف من الزبائـــن الذين يقضون وقتهم للحـــط من قيمة ندل المقاهي والمطاعم، غير أن مثل هذا لن يحدث.

وجد ماركوس أن هذه السهرة قد أخذت اتجاها ظريفا، وكان ماركوس يسليها.

- أنت تعرف، إنها المرة الثانية وحسب التي أخرج فيها خلال ثلاث سنوات.

- تريدين أن تزيدي من الضغط إلى الضغط؟

- ولكن كلا.. كل شيء سيكون على ما يرام.

- نعم الأمر، سـأحاول بشكل ما أن تقضي سهرة ممتعة، وإلا لأمضيت الشتاء مُسْبِتة.

كان هناك الكثير من البساطة فيما بينهما، فقد شعرت ناتالي بأنها على ما يرام. أما ماركوس فلم يكن صديقا أو شـخصا ما يمكن أن تنوي إنشـاء علاقة معه، لقـد كان هذا العالم مريحا، من دون أي ارتباط بماضيه، وفي نهاية المطاف كانت كل شروط السهرة غير المؤلمة مستوفية نجاحها.

56

المكونات الضرورية لطبق ريسوتو
بالهليون

* * *

200 جرام رز أربوريو (أو رز مدور)
500 جرام من الهليون
100 جرام من نبات بغنونية الصنوبر
بصلة واحدة
20 سنتيلتر من النبيذ الأبيض الصرف
30 سنتيلتر من الكريمة السائلة
80 جرام من جبن البارم المبشور

زيت البندق

ملح

خل

* * *

من أجل رقاقات بجبن البارم:

80 جرام من جبن البارم المبشور

50 جرام نبات بغنونة الصنوبر

ملعقتا طعام من الطحين

بضع قطرات من الماء

* * *

57

كان ماركوس يراقب ناتالي غالبا، وكان يحب أن يراها تمشي في الأروقة ببدلتها المتساقطة على الموكيت، كانت فكرة صورتها المتخيلة تصطدم مع صورتهـا الواقعية، وكان يعرف ككل الناس ما عاشـته، ومع ذلك لم ير منها دائما إلا ما كانت تظهره؛ فهي امـرأة مطمئنة ومملوءة يقينا، وبعد أن اكتشـفها فجأة في إطار آخـر كانت فيه قليلة الظهـور، كان ينتابه إحسـاس النفاذ إلى هشاشـتها، وبطريقة بسـيطة حقا، ولكن بسـرعة البرق، كانت تخفف من الحراسـة، بل والأكثر كانت تسـترخي، والأكثر كانت طبيعتها الحقيقية تتجلى، وقـد تجلى ضعفها، وهو ضعف نابع من عذابهـا، على نحو مفارق مع ابتسـامتها، لقد بدأ ماركوس يتحمل مسـؤولية دور أكثر شدة، كمدافع تقريبا، كان يشعر، وهو

أمامها بأنه غريب وحيوي ويتمتع برجولة، ربما كان يريد أن يعيش حياته بحيوية الدقائق هذه.

لم يستطع، وهو بلباس رجل يأخذ الموقف على عاتقه على الرغم من ذلك، ألّا يقع في الخطأ، وبعد أن طلب قنينة ثانية، تحيّر في عنوان النبيذ، ولما تظاهر بأنه يعرفه لم يتردد النادل بأن يرميه بقوارص الكلام محيلا إياه إلى جهله، أخذ ثأره الشخصي المتواضع. كان ماركوس منزعجا بشكل عميق، حتى إنه تجرأ بالقول في الوقت الذي فيه أحضر النادل القنينة:

- آه شكرا يا سيدي، لقد كنا نشعر بالعطش وسنشرب في صحتك.

- شكرا، هذا لطف منك.

- كلا ليس لطفا، هناك عادة في السويد تقول إن كل الناس يمكن أن يبدلوا مكانهم في لحظة، ما من شيء يعد نهائيا أبدا، فأنت الواقف الآن، يمكن أن تجلس ذات يوم، فضلا عن ذلك، إذا ما أردت أنهض الآن، وأترك لحضرتكم مكاني.

وفجأة نهض ماركوس، أما النادل فلم يعرف كيف يتصرف، ابتسم ابتسامة منزعجة، وترك القنينة. أخذت ناتالي تضحك، من دون أن تعرف حقا موقف ماركوس، لقد أحبت هذا الاقتحام المثير للضحك، أن يدع مكانه للنادل، فربما كانت هذه هي الطريقة المثلى لإعادته إلى مكانه، لقد أحبت ما كانت تعدها لحظة شعرية، ووجدت أن ماركوس يمتلك جانبا بسيطا من «بلاد الشرق»، جذاب بشكل مطلق، لقد كان يشعر وكأنه من رومانيا أو من بولونيا في بلاده السويد.

سألت ناتالي:

- هل أنت متأكد من أنك سويدي؟

- كم أنا سعيد لهذا السؤال! أنت لا تستطيعين أن تتخيلي، أنت الوحيدة التي تشك بأصولي.. أنت مذهلة حقا.

- أيشكل ذلك إزعاجا إن كنت سويديا؟

- أنت لا تستطيعين أن تتصوري، عندما عدت إلى هناك، قال الناس لي جميعا إنني فكه.. هل تتصورين ذلك؟ أنا فكه؟

- فعلا.

- هناك، أن يكون الإنسان منحوسا يعني شعور المرء بأنه مدعو للقيام بعمل.

استمرت السهرة هكذا، بعد أن توالت لحظات الاكتشاف، واللحظات التي أنتج فيها الاسترخاء إحساسا بمعرفة الآخر، ولما كانت قد نوت العودة إلى بيتها مبكرا، كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل.. رحل الناس من حولهما، وحاول النادل أن يفهمهما بطريقة غير مهذبة أن وقت الرحيل قد حان، نهض ماركوس للذهاب إلى الحمامات، ودفع الحساب، فعل ذلك بكثير من الظرافة، وفجأة أصبحا في الخارج، اقترح عليها مرافقتها بالتاكسي، لقد كان مجاملا كثيرا، وأمام باب شقتها، وضع يده على كتفها وقبّلها على خدها، لقد أدرك في هذه اللحظة، ما كان قد عرفه في السابق، لقد كان عاشقا ولها بها، ورأت ناتالي أن كل اهتمام من اهتمامات هذا الرجل كان اهتماما مرهفا، وحقا كانت قد شعرت بالسعادة في هذه اللحظة من خلال مرافقته، ولأنها لم تستطع أن تفكر بشيء آخر، فقد تمددت على سريرها، وأرسلت له رسالة قصيرة تشكره فيها، ثم أطفأت النور.

58

الرسالة القصيرة التي أرسلتها ناتالي
إلى ماركوس
بعد أول عشاء لهما

* * *

شكرا لهذه السهرة الجميلة

59

رد بكل بساطة:

- شكرا لأنك أنت من جعلها جميلة.

أراد أن يجيب بشيء ما أكثر أصالة، وغرابة، وتأثيرا، ورومانسية، وأدبية، وروسية، وبنفسجية، ولكن في نهاية المطاف، كان ذلك يمضي كله بصورة جيدة مع حرارة اللحظة. في سريره عرف أنه لن يكون قادرا على النوم؛ كيف يمضي إلى الحلم وهو الذي غادره للتو؟

نام قليلا، ولكنّ قلقا أيقظه، عندما يتحقق الموعد على أحسن ما يرام، فإن المرء يطير من الفرح، ومن ثم، وبشكل تدريجي يدفعه الوعي إلى توقع الأحداث التالية، أما إذا كانت الأمور تجري على غير ما يرام، في الأقل، وهذا جليّ؛ لم يعد لهما أن يلتقيا ثانية، ولكن هنا، كيف التصرف؟ كل ما اكتسبته من وعي وثقة بالنفس خلال تناول العشاء قد تبدد في الليل؛ لم يستطع إطباق جفنيه، هذا الإحساس جسّده حدث بسيط،

ففي الساعات الأولى، التقى كل من ناتالي وماركوس في الرواق، أحدهما ذاهب إلى ماكينة القهوة، والآخر عائد منها، وبعد تبادل الابتسـامات المرتبكة تلفظا بكلمة صباح الخير بمبالغة مفرطة، كان الاثنـان غير قادرين على أن ينبسـا ببنت شـفة، وأن يجدا ولـو طرفة قد تؤدي إلى النفاذ لموضوع يتحدثا به، لا شـيء، بل لا شـيء، ولا حتى تلميحة إلى الوقت الذي كان ينسج من أشعة الشـمس حكاية الغيمة. لا شيء، ولا أمل في التحسن، لقد غادر بعضهما البعض بهذا الانزعاج، لم يجدا شـيئا يقولانه، ما عدا البعض كان يسمي ذلك بالفراغ الكوكبي لما بعد الظهر.

حـاول ماركوس أن يهدّئ من نفسـه في مكتبـه، وكان الأمر طبيعيا تماما في ألّا تكـون دائما في حالة الكمال، فالحياة هي على وجه الخصوص لحظات مشوشة، وشُطَب وبياض، فشكسبير لم يستحضر سـوى اللحظات القوية التي جسّدتها شخصياته، ولكـن روميو وجولييت في رواق، في صباح اليوم التالي لسـهرة جميلة، بالتأكيد لا يمتلكان شـيئا يتحدثـان به، لم يكن كل ذلك مهما، إذ ينبغي بالأحرى أن يكون التركيز على المستقبل، هذا هو المهـم، وعند ذاك يمكن القول إن التخلص من ذلك أمر حسـن، وبسـرعة اجتاحته أفكار السهرات والاقتراحات الليلية. دوّن كل ذلك على ورقة عريضة، يشـبه تماما خطة هجوم، لم يعد الملف 114 موجـودا فـي مكتبه الصغير، إذ إن ملف ناتالي قد مسـح الملـف 114، ولا يعرف لمن يبوح بذلـك، وممّن يطلب النصيحة، لديـه بعض الزملاء الذين كان يعقـد معهم علاقات طيبة، فمع بيرتييه، على وجه الخصوص يتبادل الأسرار بين الحين والآخر، ويكشفان عن الجانب الحميمي لديهما، ولكن فيما يتعلق بناتالي،

فلـم يكن واردا الكلام عنها مع أي شـخص هنـا، كان ينبغي أن يسور شكوكه بالصمت، بالصمت نعم، ولكنه كان يخشى من قلبه ألا يثير كثيرا من الضجيج، وهو يخفق بقوة.

تصفح كل المواقع على الإنترنت، والتي يمكن أن تقترح أمسيات رومانسـية، وجولات في سفينة (ولكن الجو كان باردا) أو سهرة مسرحية (ولكن في الغالب يكون الجو حارا في الصالات)، (ومن ثم فإنه كان لا يحب المسـرح)، لم يجد شـيئا مثيرا، كان خائفا مـن أن يبدو ذلك أكثر فخامـة أو ليس كافيـا، وبعبارة أخرى، ليـس لديه أية فكـرة عما كانت تريده، ولا عمـا كانت تفكر به، وإذا كان ذلـك ممكنا، فإنها كانت لا تريد أن تلتقي به ثانية. لقد قبلت تناول العشـاء معه ذات مرة، وربما سيكون ذلك كل شيء، وكل شـيء كان قد انتهى، فالوعود لا ترتبـط إلا بوقت الموعد، ومع ذلك، شـكرته على هذه السـهرة الجميلة، أجل كتبت كلمة «جميلة»، غير أن ماركوس اسـتمتع بهذه الكلمة، ولم يكن هناك أي شيء، سهرة جميلة، كان يمكن أن تكتب «مساء جميلا»، ولكن كلا، لقـد اختارت كلمـة «جميلة»، وكانت هـذه الكلمة «جميلة» مناسبة. حقا، يا لها من أمسية جميلة، يمكن أن نشبهها بالحقبة العظيمـة التي تميـزت بثيابها الطويلة والعربـات.. «ولكن بمن ينشـغل تفكيري» لقد أثارته لطمة، كان يفترض أن يتصرف وأن يتوقف عن الاستغراق في أحلام اليقظة. نعم، لقد كانت مناسبة هذه الكلمة «جميلة»، ولكن هذا لا يجديه فتيلا، وعليه أن يتقدم ويتابع، أو.. لقد كان تائها، ولا يمتلك أدنى فكرة. سلاسـته يوم أمس لم تكن إلا سلاسة ذلك المساء، ما هي إلا محض وهم، كان ينقلب إلى حالته البائسة كرجل من دون منزلة رفيعة، كرجل من

دون أدنى فكرة لضرب موعد ثانٍ مع ناتالي.

هنالك من يطرق الباب، قال ماركوس:

- ادخل.

كان الشــخص الذي بدا هو مَن كتب أنه أمضى معه أمســية جميلة. نعم، كانت ناتالي هنا، بقضّها وقضيضها:

- هــل أنت على ما يرام؟ ألــم أزعجك؟ يبدو عليك أنك كنت مستغرقا في التفكير.

- هاااا.. لا.. لست على ما يرام.

- أردت أن أعــرض عليك مرافقتي إلى المســرح غدا.. لقد حجزت مقعدين.. وعندئذ إذا كان..

- إنني أحب المسرح، بكل سرور.

- إذن هذا أمر حسن، إلى مساء يوم الغد.

وهتفت أيضا: «إلى مســاء يــوم الغد»، ولكن كان ذلك بصورة متأخرة، لقد عامت الإجابة في الهواء، وهي منزعجة لأنها لم تعد لديها أذن صاغية، لقد كان كل عضو من أعضاء ماركوس يجرب سعادة حميمية، ومن ثم في وسط هذه المملكة من الانتشاء، كان قلبه يقفز من الفرح في كل جسده.

هذه الســعادة وبطريقة غريبة جعلته رصينا، راقب في المترو كل شــخص في داخل العربــة، كل هؤلاء الناس كانوا يدســون رؤوســهم في صحفهم اليومية، ولم يعد يشعر حقا بأنه المجهول الــذي يحل بينهم، لقد بقي واقفا، وكان يعرف أكثر من أي وقت مضى أنه يحب النساء، وذات مرة نظّم تحركات عمله الاعتيادي بشــكل متسلســل في بيته، لكنه كان بالكاد يشتهي تناول العشاء فيتمدد على ســريره، ويحاول قراءة بعض الصفحات، ثم يطفئ

النور، هذا كل ما في الأمر وحسب؛ لم يأتِه النوم، تماما وكأنه لم ينم منذ أول قُبلة لناتالي تقريبا، كانت قد قطعت نومه.

60

خلاصة جرعة الغورونسان
حالات التعب العابر لدى البالغين.

61

انقضى النهار بكل سـهولة، وكان هنـاك اجتماع للمجموعة، وهو اجتماع اعتيادي، حتى إن أحدا لم يكن يسـتطيع أن يتخيل أن ناتالي سـتذهب إلى المسرح مساء مع ماركوس، والأصح كان ممتعا بوصفه إحساسـا، كان الموظفون مولعين بمعرفة الأسرار، وإنشاء روابط سرية، ويعيشون حياة لا يعرفها أحد، وهذا ما يثير الزوجين اللذين تشـكلا مع الشـركة، وكانت ناتالي تمتلك قدرة على تقسيم الأشـياء، فمأسـاتها، ولاعتبارات عديدة، أفقدتها الإحساس، أي بمعنى أنها كانت تقود الاجتماع بطريقة روبوتية، ناسية إلى حد ما أن النهار سينتهي إلى سهرة، أما ماركوس فكان يود أن يجد في عين ناتالي اهتماما خاصا، وعلامة على الرضا، غير أن هذا لم يدخل في آليته.

وينطبـق الأمر على كلوئه أيضا التي كانت تأمل بأن الآخرين يدركون، أحيانا، العلاقة المتميزة التي تقيمها مع مسؤولهم، وكانت هي الوحيدة التي تقضي أوقاتا يمكن أن تدخل في فئة «المخاطبة

بصيغة المفرد - رفع الكلفة»، ومنذ هرب ناتالي، لم تسع كلوئه إلى تنظيم نزهة جديدة، كانت تعرف الجزء الخطر الذي تنطوي عليه هذه الأوقات، ولأنها الشاهد على هشاشة رئيسها كان يمكن أن ينقلب ضدها، وكان هذا هو السبب الذي يجعلها تثير الانتباه إلى عدم خلط الأجناس، وإلى احترام التسلسل في الدرجات، وفي نهاية النهار جاءت لتلتقي بها:

- هل أنت بصحة جيدة؟ نحن لم نتكلم إلا قليلا في المرة الأخيرة.

- نعم، وهذا خطئي يا كلوئه، ولكنها كانت لحظة مناسبة، حقا.

- آه هذا صحيح؟ أنت جزء من إعصار، وكانت لحظة مناسبة؟

- نعم، أؤكد لك.

- نعم الأمر إذن.. أتريدين أن أعود هذا المساء إلى ذلك؟

- آه كلا، متأسفة، لا أريد، إنني ذاهبة إلى المسرح.

قالت ذلك ناتالي وكأنها كانت تعلن ولادة طفل غضّ.

لم ترغب كلوئه بأن تبدو مندهشة، ولكن هناك ما تكون عليه، لقد كان من الأفضل عدم الإشارة إلى الطبيعة الوقائعية لمثل هذا الإيضاح، تتصرف وكأن شيئا لم يكن. لقد بقيت برهة من الزمن تنظم المعطيات الأخيرة من ملفها، وتتصفح بريدها، ومن ثم تناولت معطفها لتهم بالخروج، وفيما هي تتجه نحو المصعد، أذهلتها رؤية غير محتملة الوقوع: لقد رحل كل من ماركوس وناتالي معا، اقتربت منهما، من دون أن يريانها، وبدا لها أنها تسمع كلمة «مسرح»، وفي الحال شعرت للمرة الثانية بشيء ما لم تستطع تحديده، ما يشبه الإحراج، أو الاشمئزاز حتى.

62

كانت الكراسي في المسرح ضيقة، وبصدق كان ماركوس منزعجا، وكان يتحسـر لأنـه يمتلك سـاقين طويلتين، وكانت تلك حسـرة لا طائل منها بالمطلق (لا يوجد اسـتئجار ساقين قصيرتين)، فباستثناء التصرف الآخر الذي زاد من عذابه، حيث لا يوجد أسوأ من أن يكون المرء جالسـا إلى جنب امرأة يتحرق شـوقا للنظر إليها. كان المشهد يقع إلى يسـاره وليس على خشبة المسرح. ومن جهة أخرى، ما الذي كان يشـاهده؟ لم يشغله أكثر من ذلك، وبالأخص عندما يتعلق الأمر بمسرحية سـويدية! هل كانت مصادفة مؤسفة؟ كاتب أنهى دراسته في أوبسـالا على الأكثر، من الأفضل الذهاب لتناول العشاء في بيت والديه، كان شـارد الذهن ليدرك الأمر في الحبكة. قد يتحدثان عن ذلك بالتأكيد فيما بعد، وسيُعرف بالأبله، كيف استطاع التغاضي عن هذا المظهر؟ ينبغي له أن يفكر مليا، وأن يعد تعليقات ذكية.

في نهاية العرض المسرحي، كان مندهشا مع ذلك وهو يحس بانفعال حي، ربما إحسـاس نابع من الانتساب السويدي، كذلك بدت ناتالي سـعيدة، ولكن في المسـرح، من الصعوبة بمكان أن تعرف، إذ يبدو الناس سـعداء أحيانا لأبسـط سبب من مشهد الصَّلـب الذي يتحقق فـي النهاية. وذات مرة فـي الخارج أراد ماركـوس أن يخوض فـي النظرية التي عرضـت خلال الفصل الثالث، إلا أن ناتالي حسمت النقاش بسرعة:

- أعتقد أنه من الواجب علينا أن نحاول الاسترخاء الآن.

فكر ماركوس بساقيه، لكن ناتالي أفصحت:

- هيا نتناول كأسا.

والحالة هذه كان هنا الاسترخاء.

63

مقطع من الآنسة جولي

لأوغست سترنبرغ

الاقتباس الفرنسي من قبل بوريس فيان

المسرحية التي شاهدتها ناتالي مع ماركوس

في سهرتهما الثانية

الآنسة:

- هل مفروضة عليّ طاعتك؟

جان:

- لمرة واحدة، ولمصلحتك! أرجوك! كان الليل على وشك، والنعاس يجعل الإنسان ثملا، ورأسه يحتد!

64

حدث أمر حاسم، عمل تافه أخذ مساحة من الأهمية وكأنه عمل عظيم، كل شيء مر تماما مثلما حدث في أول سهرة، فقد كانت الجاذبية تؤثر وتتسع أيضا، خرج ماركوس من ذلك بلباقة، ابتسم ابتسامة أقل ما يمكن أن يقال عنها إنها ابتسامة سويدية، توشك أن تكون نوعا من الابتسامات الإسبانية. ربط بعض النوادر الممتعة، وعاين المراجع الثقافية والإشارات الشخصية

عــن علم، وأفلح في الانتقال من مراحل ما هو خاص إلى ما هو عام، وعرض بلطف هذه الآليــة الجميلة لرجل اجتماعي، ولكن فــي قلب بحبوحته، كان هناك قلق قد اســتحوذ عليه وهو الذي سيدير هذه الآلة بصورة سيئة؛ لقد شعر بشبح الكآبة.

في البدء، كان ذلك يشــكل بقعة صغيرة، تشبه شكل الحنين إلى الماضــي، ولكن كلا، إذا ما اقتربنا جيدا، كان يمكن أن نميز المظهر البنفسجي الباهت للكآبة، وعن كثب أيضا، يمكن أن نرى الطبيعة الحقيقية لحزن مؤكد، وبــين الفينة والأخرى، وبصورة تشــبه غريزة مرضية ومثيرة للعواطف، كان قد وجد نفســه في مواجهة خواء هذه الســهرة، فتســاءل: ولكن لماذا أنا منشغل في محاولــة الظهور فــي أفضل أيامي؟ ولماذا أنا منشــغل في إثارة هذه المرأة على الضحك؟ ولماذا أنا منشغل في التمسك بمحاولة الافتتان بها وهي التي كانت منيعة عليّ بشكل جذري؟

كان ماضيه كرجل متقلب يمسك به بقسوة، ولكن لم يكن ذلك كل شيء، هذا التقدم في الانكفاء، عززه حدث ثانٍ حاسم بشكل تراجيدي، لقد ســكب كأســه من النبيذ الأحمر على السماط، لعله كان يرى في ذلك حماقة ســاذجة، وربما كانت لطيفة؛ لقد كانت ناتالي تتحســس الحماقة دائما، ولكن في هذه اللحظة، لم يعــد يفكر بها، كان يرى في هذا الحدث الذي لا قيمة له علامة خطيرة جدا؛ علامــة ظهور اللون الأحمر، نتيجــة لتدفق اللون الأحمر المتواصل في حياته.

قالت ناتالي وهي تلاحظ مظهر ماركوس المفجوع:

- ليس خطيرا.

بالتأكيــد لا، لــم يكن خطيــرا، لقد كان مأســاويا، إن اللون

الأحمـــر يحيله إلى بريجيت، إلى رؤية النســـاء فـــي العالم كله، النســـاء اللواتي رفضنه، وفي أذنيه تدندن ضحكة هازئة، وتظهر لـــه كل صور اســـتيائه؛ لقـــد كان طفلا عندما ســـخروا منه في باحة المدرســـة، وكان جنديا عندما ضايقه من كان أقدم منه في الجندية، وكان ســـائحا عندما احتالوا عليـــه.. هذا هو ما مثله الجـــزء البارز مـــن البقعة الحمراء على الســـماط الأبيض، كان يتخيل أن الناس يراقبونه، وأن الناس يوشوشـــون عندما مروره، كان يعوم في بدلته الجذابة، وما كان يستطيع أحد أن يوقف هذا الانهيار الهذياني. انهيار فضحته الكآبة، والإحساس الساذج في التفكير بالماضي مثل غريـــق. في هذه اللحظة، لم يعد للحاضر وجود، وكانت ناتالي مثل ظل، أو شبح ينتمي للعالم الأنثوي.

نهـــض ماركوس وبقي للحظة معلقا في الصمت، كانت ناتالي تحدّق فيه، من دون أن تعرف ما سيقوله، هل سيكون طريفا؟ هل سيكون مخيفا؟ وفي نهاية المطاف، أعلن بصوت هادئ:

- من الأفضل أن أذهب.
- لماذا؟ بسبب النبيذ؟ ولكن.. هذا ما يحدث لكل الناس.
- كلا.. ليس كذلك.. بالضبط.
- بالضبط ماذا؟ هل أزعجتك؟
- ولكن لا.. بالتأكيد لا، حتى الموت، ليس بوسعك إزعاجي.
- إذن ماذا؟
- لا شيء، حقا إنك آنستِني، لقد أنستِني حقا.
- .....
- ليس لـدي ســـوى رغـبة، رغـبة بأن أقبّلك ثانية.. ولكنني لا أستطيع أن أتخيل لحظة واحدة ترضيك.. وعندئذ أعتقد بأنه

من الأفضل التوقف عن القيام بلقاءات بيننا .. سأعاني بالتأكيد، ولكن ستكون هذه المعاناة طفيفة، إذا ما تجرأت بالقول.

- هل تفكر هكذا طوال الوقت؟

- ولكــن ماذا أفعل بدلا من التفكير؟ مــاذا أفعل من غير أن أكون هنا، وجها لوجه معك، بكل بساطة؟ هل باستطاعتك القيام بذلك، أنت؟

- أن تكون وجها لوجه معي؟

- ترين جيــدا أن ما أقوله يمكن أن يعد حماقة، من الأفضل أن أذهب.

- بودي أن تبقى.

- ما الفائدة.. لا أعرف؟

- ما الذي تفعله معي، هنا؟

- لا أعرف، كل ما أعرفه بالضبط هو أنني جيد معك، وأنتِ كائن بسيط.. لطيفة.. ورقيقة معي.. وأدرك أنني بحاجة لذلك، هو ذا، وهذا كل ما في الأمر!

- وهذا كثير، أليس كذلك؟

كان ماركوس واقفا دائما، نهضت ناتالي بدورها، وبقيا هكذا للحظة، وقد تســمّرا حائرين، رؤوس تلتفت تجاههما، بالأحرى مــن النادر أن تتم حركة عندما يكــون واقفا. ربما الأمر يتطلب التفكيــر بلوحة مارغريت هذه، حيث يهبط الرجال من الســماء مثل رواسب كلسية متدلية من مغارة، هناك إذن بعض من الرسم البلجيكي فــي هيئتهما، وبالتأكيد، لم تكــن تلك الصورة الأكثر تسكينا للروع.

65

خــرج ماركوس من المقهى، تاركا ناتالي فيه، لقد سـنحت له الفرصــة الكافية للهرب، لم تكن تفهــم حالته، كانت أن أمضت سـهرة جميلة، والآن تريد منه ذلك، ومــن دون أن يعرف الأمر، تصــرف ماركوس بتألق، لقد أيقظ ناتالي، ودفعها إلى أن تطرح عددا من الأسئلة، قال إنه كان يريد أن يقبّلها، أما كان غير ذلك؟ هل كانت لديها رغبة بذلك؟ كلا، لم تفكر به.

لم تشــعر به على وجه الخصوص.. ولكــن لا أهمية لذلك حقا، لم لا؟ كانت ترى أنه منشغل بأمر ما، ومن ثم كان ظريفا، إذن لمــاذا رحــل؟ يا لها مــن حماقة! الآن كل شــيء قد تبدد، وكانت هي منزعجة أشــد الانزعــاج. يا لها من حماقة! نعم يا لها من حماقة! كانت مستمرة في الوقت الذي كان فيه الزبائن فــي المقهى يحدقــون بها، هي، امرأة جميلــة جدا تركها رجل مــا، لم تفهم هذه النظرات، وبقيــت هناك جامدة في غضبها المحبط بسبب عدم السيطرة على الموقف، وبسبب عدم معرفة الإمساك به، وعدم فهمه، كان عليها أن تلوم نفسها، وألا تفعل شــيئا، وهــي بالتأكيد كانت جذابة في نظــره، ومن أجل ذلك يمكن أن يبقى إلى جنبها.

ذات مرة، عــادت إلى بيتها، طلبت رقم هاتفه، ولكنها أوقفته قبل الرنين، كانت تتمنى أن يطلبها، ولكن بعد كل شيء، كانت هي من اتخذت مبادرة الســهرة الثانية، كان بالوسع أن يشكرها على الأقل، ويرسل لها رسالة، كانت هناك تنتظر أمام هاتفها، وكانت

تلك هي المرة الأولى التي تعيش ذلك منذ زمن بعيد، أي الانتظار. لا تستطيع النوم، لقد كانت تتناول قليلا من النبيذ، وتسمع الموسيقى، آلان سوشون، الأغنية التي كانت تحب سماعها مع فرانسوا، لم تكن لديها القدرة على سماعها، هكذا، من دون أن تنهار، كانت مستمرة في التحرك بصالتها، والرقص حتى، تاركة النشوة تتسرب في أعماقها مع حيوية الوعد.

66

الجزء الأول من الحب الهارب
أغنية آلان سوشون
التي استمعت إليها ناتالي بعد
سهرتها الثانية مع ماركوس
مداعبات مصورة على بشرتي الحساسة
يمكن أن نرمي كل اللحظات، والصور، إنني حر.
هنالك الورقة الشفافة الملتصقة دائما
كي نضع كل هذه العذابات على المربع ثانية
كانت الصورة جميلة، والعشاق بارعين.
جهزنا بيتا، فالسعادة لاثنين لا أبالي بك
هيا بسرعة اجعل من القدح قطعا تقطع وتدمي
هنالك فوق البلاط، الخزف الصيني
نحن، نحن، لم نقاوم
بو، بو، هذا يسيل على خدك
نفترق ولا شيء عندنا سوى أن نجد تبريرا

هو الحب الهارب
الحب الهارب

67

لقد كان ماركوس يسير على امتداد الهاوية، وهو يشعر بالريح تحت قدميه، وعندما عاد إلى بيته ثانية، في ذلك المساء، بقي مسكونا بالصور المؤلمة، هل يمكن أن يكون كل ذلك مرتبطا بستراتبرغ؟ ينبغي أن نتجنب بكل تأكيد مواجهة جزع مواطنيه. جمال اللحظة، جمال ناتالي، كل هذا، كان قد رآه مثل شاطئ نهائي؛ إنه الدمار. كان الجمال هناك أمامه، وهو يحدق به مباشرة في عينيه، مثل نظرة تراجيدية مسبقة، لقد كان هناك موضوع «موت في فينيسيا» مع هذه الجملة المركزية: «إن من يتأمل الجمال كتب له الموت»، وعندئذ نعم، كان يمكن لماركوس أن يبدو متفيهقا، وحتى غبيا في هربه، ولكن كان ينبغي له أنه قد عاش سنوات عديدة في العدم لكي يفهم كيف يمكن أن يفزعه احتمال على حين غرة.

لم يتصل بها هاتفيا، وكانت - وهي التي تحب جانبا منه من بلاد الشرق - أن اندهشت نتيجة اكتشافها له مهيبا ثانية في بلادها السويد، والأكثر من ذلك، الذرة البولونية في حدودها الدنيا في أعماقه. كان ماركوس قد قرر إغماض عينيه، و«عدم اللعب بالنار الأنثوية»، نعم، كانت مثل هذه الكلمات هي التي تدور في رأسه، والمحصلة الأولى هي التالي: لقد قرر أنه لن يعود ليحدق بها في عينيها.

في صبيحـــة اليوم التالي، وعند وصولهـــا إلى المكتب التقت ناتالي بكلوئـــه، ونعترف على الفور بأن هـــذه الأخيرة كانت من مؤيدي المصادفة الكاذبة، وكان لها أن أخذت تســير ذهابا وإيابا في الممرات تماما من أجل اللقاء بمسؤولتها (يمكن أن نتساءل إن كانت المصادفة موجودة حقا؟ هل كل الأشـــخاص الذين التقتهم يمشـــون في محيطنا مـــع أمل متواصل للقاء بنـــا؟ وهم يفكرون بذلك، حقا يبدو أنهم مبهورون في الغالب).

لقد مضت بصورة بواب حقيقي، من دون أدنى أناقة مشاكس في محاولة الحصول على بعض الأسرار:

- نهارك سعيد، ناتالي، هل أنت بخير؟
- أجل بخير، إنني أشعر بقليل من التعب.
- أكان ذلك بسبب مسرحيتك ليوم أمس؟ هل كانت طويلة؟
- لا، ليس ذلك على وجه الخصوص..

شـــعرت كلوئه بأن الأمر ســـيكون معقدا فـــي معرفة المزيد، ولكن، بالمصادفة، جرت الواقعة بكل بساطة، كان ماركوس يسير باتجاههما، وهو أيضا كان يبدو أنه يجد نفســـه في حالة غريبة، حاولت المرأة الشابة بشكل ما أن توقفه:

- آه نهارك سعيد يا ماركوس، هل أنت بخير؟
- نعم بخير.. وأنت؟
- بخير.

لقـــد كان يرد وهو يتجنب التحديق بمحاورتيه، وقد أبان هذه الموقـــف انطباعا غريبا جـــدا، كالانطباع النـــاتج عن الكلام مع شخص ما غريب على عجل لأن ماركوس لم يكن ليبدو عليه أنه على عجل من أمره بالضبط.

- بخير؟ أتعاني من ألم في الرقبة؟
- كلا.. كلا.. بخير.. حسن ينبغي أن أذهب.

وذهب، تاركا المرأتين مذهولتين، وفكرت كلوئه في الحال:

- إنه منزعج بشكل مرعب.. لقد ناما معا اضطرارا.. لم أجد تفسيرا آخر.. وإلّا لماذا كان يتجاهلها؟

وعند ذاك ابتسمت لناتالي ابتسامة عريضة:

- هل بوسعي أن أطرح عليك سؤالا؟ هل ذهبت مع ماركوس يوم أمس إلى المسرح؟
- هذا لا يعنيك.
- حسنا.. من المناسب أنني كنت أفكر بأننا كنا نتشاطر بعض الأمور، نحن الاثنتان، أما أنا، فقد أخبرتك بكل شيء.
- ولكن بالنسبة لي، ليس لدي ما أقوله، حسنا من الأفضل أن نباشر العمل.

لم تحر ناتالي جوابا، لم تحب التطفل الذي سمحت به كلوئه لنفسها، كنا نرى في عينيها التماسا محرضا من القيل والقال. كانت كلوئه، وهي منزعجة، تتلعثم في أنها كانت قد أعدت حفلة مشروبات لمناسبة عيد ميلادها غدا، وكانت ناتالي قد أبدت إشارة غير واضحة تقول نعم بشكل مبهم، ولكنها لم تكن متأكدة من حضورها.

في وقت متأخر، وفي مكتبها ربما كانت ما تزال تفكر بما ينقص كلوئه من رقة، وخلال شهور عديدة عاشت ناتالي مع شائعات كثيرة حول طريقها، مراقبون سريون من أجل معرفة كيف صمدت، وما الذي كانت تقوم به، والطريقة التي اعتمدتها في عملها؟ هذه المراقبة، كانت تنم عن تعاطف

بشـــكل عميق، لقد كانت تشعر بها مثل ثقل، في تلك الحقبة كانت تتمنى ألا يحدق بها أحد، لقد عقدت المظاهر المستمرة من الحنان العمل لديها بشكل متناقض، كانت تحتفظ بذكرى مُرة عن تلـــك الحقبة التي أثارت إليهـــا الانتباه، وعند ذلك، عندمـــا كانت تفكر ثانية بانطباع كلوئـــه، أدركت أن عليها أن تكون حذرة، وألا تذكر أي شيء من قصتها مع ماركوس، ولكن هل كانت قصة؟ بموت فرانســـوا فقدت كل معالمها، كان لديها إحســـاس يتملكها بالعودة إلى المراهقة، إن كل ما كانت تعرفه عن الحـــب قد تدمر، كان قلبها يخفق علـــى حطام، لم تفهم ســـلوك ماركوس، وطريقته بعدم التحديق بها، حقا كان ذلك يشبه فيلما سينمائيا، أو إذن:

- هل كان مجنونا؟

كان جنونـــا عذبا أكثر من كونه جنونا محتملا، لم تكن تفكر: ينبغـــي أن يحب امرأة لا يريد رؤيتهـــا حقا، كلا، لم تفكر بذلك، وهي كانت تستقر في الفوضى بكل بساطة.

68

ثلاث شائعات تخص جورن أندرسون
الممثل الذي أدى دور تازيو
في فيلم موت فينيسيا لوشينو فيسكونتي

* * *

لعله قتل ممثلا مثليا في نيويورك

* * *

ولعله مات في تحطم طائرة في المكسيك

* * *

ربما لا يأكل السلطة الخضراء

69

لم تكن لـــدى ماركوس رغبة بالعمل، ولذلـــك بقي واقفا أمام نافذتـــه، يتأمل الفـــراغ. كان الحنين يتفجر فـــي أعماقه، وبدقة متناهية، فإن هذا الحنين لا طائل منه، هذه الصورة الخادعة التي يمتلكهـــا ماضينا المنحوس هي صورة تعبر في الوقت نفســـه عن سحر. وفي هذه اللحظة، كانت تبدو له طفولته التي كانت طفولة بائســـة مثل نبع حيـــاة، كان يفكر بالتفاصيـــل، فوجدها تفاصيل مؤثرة في حين إنها كانت مثيرة للشـــجن دائما، كان يريد أن يعثر على ملاذ في أي مكان، شـــريطة أن يتيح له الهرب من الحاضر، ومع ذلك، فإنه كان في أيامه الأخيرة هذه، ينتظر ما يشبه الحلم الرومانتيكي في ذهابه إلى المسرح مع امرأة جميلة، عند ذاك لماذا كان يشعر بالحاجة الملحة للقيام بالمسير إلى الوراء؟ بالتأكيد كان يتمنى أن يحصل على شيء يسير، ويمكن تحديد ذلك بـ «الخوف من الســـعادة»، ويقال إن المرء يرى أجمل اللحظات في حياته قبل المـــوت، يبدو أنه من الجائز أن المرء يســـتطيع أن يشـــهد خراب الماضي الواحد تلو الآخـــر وإخفاقه في الوقت الذي تكون هناك سعادة، أمامنا، بابتسامة مثيرة للقلق إلى حد ما.

طلبت منه ناتالي أن يذهب إلى مكتبه، فرفض، وقال:

- أريد أن أراك، ولكن عبر الهاتف.

- تراني عبر الهاتف؟ هل أنت متأكد من أن يحصل ذلك؟

- الأحوال مرضية، شكرا، طلبت منك بالضبط عدم الدخول في مجال رؤيتي خلال بضعة أيام، وهذا هو الشيء الوحيد الذي أطلبه منك.

كانت تبدو مكتئبة أكثر فأكثر، ومع ذلك، حدث لها أيضا أن شعرت بأن قدرا من الغرابة قد لفتت انتباهها، كانت أرضية أسئلتها واسعة، وتساءلت فيما لو كان موقف ماركوس ليس أسلوبا إستراتيجيا، أو أنه ما يزال أسلوبا حديثا من الظرافة والحب؟ بالتأكيد كان على خطأ، فقد كان ماركوس غارقا حتى أذنيه في أول محطة تجعله ينهار.

في نهاية يوم العمل، قررت عدم متابعة توصياته، ودخلت إلى مكتبه، وفي الحال التفت بنظره.

- هذا غير ممكن! فضلا على ذلك، تدخلين من دون أن تطرقي الباب.

- لأنني أريد أن تحدق بي.

- لا أريد.

- أنت دائما أنت هكذا؟ ورغم ذلك أليس هذا بسبب كأس من النبيذ الأحمر؟

- إلى حد ما.. نعم.

- هل حدث ذلك مصادفة؟ لإثارة فضولي، أليس كذلك؟ عليّ أن أقول إن الأمور تسير على ما يرام.

- ناتالي، أعدك، ليس هنالك أي شيء آخر ينطوي على ما قلته لك، إنني أدافع عن نفسي، وهذا كل ما في الأمر، ليست هذه القضية عصية على الفهم.

– ولكن إذا بقيت هكذا ستؤذي رقبتك.

– أفضّل إيذاء رقبتي عن إيذاء قلبي.

بقيت معلقة بهذه العبارة الأخيرة، وقد ترجمتها كتعبير، ككلمة حتى.. الرقبة والقلب، ثم استأنفت:

– وإذا ما أردتُ أن أراك؟ وإذا ما أردت أن أمضي بعض الوقت معك؟ وإذا ما أحسست بأنني معك؟ ماذا أصنع؟

– هذا غير ممكن، لن يكون ممكنا أبدا، من الأفضل أن تخرجي.

لم تعرف ناتالي ما تصنع، أكان عليها أن تقبّله، أو تصفعه أو تطرده، أو تتجاهله، أو تذله، أو تتوسل إليه؟ وفي نهاية المطاف أدارت قبضة الباب، وخرجت.

70

في اليوم التالي، وفي نهاية يوم العمل، كانت كلوئه تحتفل بعيد ميلادها، لم تكن تحتمل أن أحدا يستطيع أن ينسى ذلك، فبعد مرور عدة سنوات سيكون بالتأكيد على العكس، كان بالإمكان تقويم طاقتها، وهذه الطريقة التي تجعل العالم الكئيب متوقدا، هذه الطريقة التي تدفع بالعاملين الحاليين في مزاج مصطنع، من الناحية العملية، كل الأجراء من المستوى نفسه كانوا هناك، وكانت كلوئه بينهم، تحتسي كأس شمبانيا، تنتظر هداياهم، وكان هناك شيء مؤثر، وجذاب إلى حد ما في هيئة مُبالغة في نرجسيتها على نحو مضحك.

لم تكن الغرفة واسعة، بيد أن ماركوس وناتالي بذلا جهودا

من أجل أن يقف كل منهما عن الآخر بمسافة بعيدة، وأخيرا بلغ بهـا الأمر الموافقة على طلبه، وحاولت، مهما كان الأمر مسـيئا ألا تظهـر في ميدان رؤيتـه، أما كلوئه التي كانـت تتابع لعبتها الصغيرة، لم تكن مخدوعة، «كانت لديهم طريقة بعدم الكلام مع بعضهمـا، حتى لو تحدّث مجلدات»، هكذا فكرت، يا له من ذهن متوقد! ولكن حسـنا، لم تكن تريد أن تنشغل بهذه القصة، نجاح كلفـة عيد ميلادهـا، وهذا كان هو الأسـاس، كل العمال، كانوا يقفون باسـترخاء، وكل واحد يمسك بكوب في يده، وهم يرتدون أطقما وبزات، بهذا الفن الذي تسيطر عليه الودّية. كان ماركوس يراقب أدق الانفعالات التي تبدو من كل واحد، فوجد ذلك مثيرا للضحك، ولكن بالنسـبة له، كان الشـيء المثير للضحك يمتلك مظهرا إنسـانيا بشـكل عميق، وهو أيضا كان يريد أن يشـارك بهـذه الحركة الجماعية، لقد أحس بضرورة القيام بهذه الأمور، وفي نهايـة العصر طلب بالهاتف باقة من الـورد الأبيض، باقة ضخمـة بإفراط تليق بعلاقته مع كلوئه، كحاجة للتعلق بالبياض، على امتـداد البياض، البياض الذي يمحـو الأحمر، في الوقت الذي كانت المرأة الشـابة تسلم فيه الورد قدمت لاستقبالها، كان ماركوس ينزل، إنها صورة مدهشة؛ لقد استحوذت على ماركوس باقة كبيرة في هذا البهو العملي، والذي لا روح فيه.

وهكذا سـار باتجاه كلوئه، وقد تقدمته كتلـة رائعة وبيضاء، ورأته هي قادما فسألت:

- أهذه لي؟

- نعم، عيد ميلاد سعيد يا كلوئه.

كانت منزعجة، التفتت إلى ناتالي بشكل عفوي، لم تكن كلوئه

تعــرف ما تقوله لماركوس، لقد كان هو من يرتدي البياض بينهم، مريعه الأبيض فوق عمق البياض. كل الناس كانوا يحدقون بهما، وأخيرا فإن مـــا كان يمكن أن يُرى مـــن وجهيهما أجزاء صغيرة مســتثناة من البياض. شعرت كلوئه بأن عليها أن تقول شيئا ما، ولكن ماذا؟ وأخيرا:

- هذا ليس ضروريا، هذا كثير.
- نعم، بكل تأكيد، ولكنني أرغب بالبياض.

تقدم أحد الزملاء بهديته، وقد استفاد ماركوس من ذلك لكي يتراجع.

لاحظت ناتالي المشهد من بعيد، كانت تريد أن تحترم قوانين ماركــوس، ولكنها كانت منزعجة إلى أبعد حد، لأنها شــاهدت، وقررت أن تأتي وتكلمه.

- لمَ قدمت لها مثل هذه الباقة؟
- لا أعرف.
- اســمع.. لقد بدأت أضيق ذرعا بهيئتك الانطـوائية.. أنت لا تريد أن تهتم بي.. ولا تريد أن توضح لي.
- أعــدك بأنني لا أعرف، إنني المتضايــق الأول، إنني أدرك جيــدا أنها غير متناســقة، ولكن هذا ما حــدث، عندما طلبت الأزهار، تكلمت عن باقة كبيرة من الورد الأبيض.
- أنت مغرم بها، أليس كذلك؟
- هل أنت غيورة، أم ماذا؟
- لست غيورة، ولكنني بدأت أتساءل عن أن في مظهركما من الاكتئاب المثقل بسويديتها، لم تعد أنت فاتن النساء الكبير.
- وأنت.. خبيرة بالنفس الذكورية، وهذا مؤكد.

- هذا مضحك تماما.

- ما هو مضحك هو أنني جلبت هدية لك أيضا.. ولم أقدمها لك.

حدّق كل منهما بالآخر، ثم قال ماركوس:

- كيف كان بوسعي التفكير بأنه لم يعد باستطاعتي رؤيتها؟

ابتسم لها ابتسامة، وردت على ابتسامته بابتسامة أخرى، لقد كانت حفلة جديدة من الابتسامات، وفجأة مثلما يتخذ المرء قرارات في بعض الأحيان، يقال إن كل شيء سيكون هكذا من الآن فصاعدا، ويكفي حركة طفيفة من شفتين لتحطيم الثقة بما هو مؤكد كان يبدو أبديا، لقد نبعت عزيمة ماركوس كلها من انهياره أمام الواقع، واقع وجه ناتالي، الوجه المتعب، الوجه الذي أفسده عدم التفهم، ولكنه مع ذلك هو وجه ناتالي، ومن دون أي كلام، غادرا الحفل خلسة، ليجدا نفسيهما في مكتب ماركوس.

71

كان المكان ضيقا، وكان الارتياح فيما بينهما يكفي لأن يملأ الغرفة، كانا سعيدين لأنهما وجدا نفسيهما وحدهما، كان ماركوس يحدق بناتالي، غير أن التردد الذي كان يقرؤه في عينيها جعله في حالة مضطربة.

سألت:

- وعندئذ هذه هي الهدية؟

- أعطيها لك، ولكن أن تعديني ألا تفتحيها قبل أن تصلي إلى بيتك.

- موافقة.

ناولها ماركـوس علبة صغيرة وضعتها ناتالـــي في حقيبتها، وبقيا للحـظة هكذا، «لحـظة ما تـــزال مسـتمرة حتى الآن»، لم يشـــعر ماركوس بأنه مرغم على الـكلام، وعلى ملء الفـراغ، لقد كانا مسترخيين، وسعيدين بلقائهما ثانية، وبعد لحظة، قالت ناتالي:

- ربما عليّ أن أعود، لأن ذلك سيبدو غريبا إذا لم أعد.

- أنتِ على صواب.

غـــادرا المكتب وتقدما في الـرواق، وعند العـودة إلى مكان الحفل، كانا مندهشـــين: لم يعد هناك أي شـخص، فكل شـــيء قد انتظم واكتمل، فتســـاءلا: كم من الوقت استغرق بقاؤهما في المكتب؟

وفيما بعد، في بيتها، وهي جالســـة على أريكتها، فتحت العلبة، فاكتشـــفت آلـــة توزيع حلـوى النعناع، لم تلح علـــى ذلك، لأن هذه الحلوى غير موجودة في فرنســـا، هذه الإشـــارة أثرت فيها بشكل عميق، ارتدت معطفها، وخرجت ثانية، أوقفت ســـيارة أجرة وهي تؤشر بحركة من ذراعها (حركة بدت لها بسيطة على نحو مفاجئ).

72

موضوع من وكيبيديا يتعلق بحلوى الـ PEZ

هذا الاســـم PEZ مشتق من الكلمة الألمانية pfefferminz النعناع المفلفل الـــذي يعد أول عطر تجاري، ولـ PEZ أصله من النمسا، ويصدّر إلى أرجاء العالم، وموزع هذه الحلوى يعد واحدا

مـن مميزات العلامة التجاريـة، والواقع أن تنوعه الواسـع هو الموضوع الذي بحثه ثانية هواة المجموعات.

73

مـرة أخرى امـام الباب، تـرددت بعض الوقـت، كان الوقت متأخرا جدا، ولكنها جاءت إلى هنا، وعند ذاك من العبث العودة علـى أعقابها، قرعـت الجرس مرة، ومرة ثانيـة، وما من أحد، أخذت تقرع الباب، وبعد لحظة سمعت خطوات.

سأل صوت يبدو أنه جزع:

- من؟

فأجابت:

- أنا.

انفتـح البـاب، كانت رؤية ناتالي مشوشـة، كان شـعر أبيها أشـعث، وعيناه زائغتين، كان يبدو مختل العقل إلى حد ما، وكأن هناك من سـرق منه شيئا ما، وفي نهاية المطاف، ربما كان هذا ما يحدث؛ كان هناك من جاء وسرق منه نومه.

- ولكن ماذا تفعلين هنا؟ هل هنالك مشكلة؟

- كلا.. على ما يرام.. أردت أن ألتقي بك.

- في هذه الساعة؟

- نعم، كان الأمر ملحا.

دخلت ناتالي إلى بيت أبويها.

- والدتك نائمة، كنـت تعرفينها، كان يمكن للعالم أن يتوقف من أجل أن تكمل نومها.

- كنت أعرف أنك كنت أنت من سأوقظه.
- أتشربين شيئا.. شرابا ساخنا من الأعشاب المنقوعة؟

قبلت ناتالي، وذهب أبوها إلى المطبخ، هنالك ما يجبر الخاطر في علاقتهما، وبعد تجاوز المفاجأة، استعاد أبوها هيئته الهادئة، كان هناك إحساس بأنه سيأخذ الأمور على عاتقه، ومع ذلك، في تلك اللحظة من الليل فكرت ناتالي سرا بأنه قد شاخ، لقد رأت هكذا، وبخاصة من خلال طريقته في المشي بخفية. كانت تقول في نفسها:

- هذا رجل مستيقظ في عز الليل، ولكن لديه متسع من الوقت ليلبس خفيه كي يمضي ليرى ما يحدث، هذه اليقظة الحذرة كانت مثيرة للعاطفة، ثم عاد أدراجه إلى الصالة.
- ما الذي حدث؟ وما الشيء الملحّ؟
- كان بودي أن أبيّن لك ذلك.

عندئذ أخرجت الحلوى من فمها، وأبدى الأب الانفعال نفسه الذي حدث لابنته، كان هذا الموضوع يحيلهما إلى الصيف ذاته، وفجأة، حيث كانت ابنته في الثامنة من العمر، اقتربت من أبيها بلطف لتضع رأسها فوق كتفه، كان في هذه الحلوى كل حنان الماضي، كلّ ما كان قد تبدد مع مرور الزمن، ليس بقسوة وإنما بطريقة مسهبة. في الحلوى الزمن ما قبل المأساة، الزمن الذي كان فيه الوهن يتلخص بسقطة واحدة، ومس بالكرامة، وفي الحلوى فكرة أبيها، الرجل الذي كانت تهرع إليه عندما كانت طفلة، فيحتضنها بين ذراعيه وبجانبه مرة، كان بإمكانها التفكير في المستقبل بيقين هائج، لقد بقيا وقد أذهلهما تأمل الحلوى التي حملت كل لمسات الحياة، حاجة متناهية الدقة ومثيرة للضحك، ولكنها مؤثرة مع ذلك.

عند ذاك أجهشت ناتالي بالبكاء، بالبكاء حقا، دموع الألم هذه التي أمسكت بها أمام أبيها، لم تكن تعرف لماذا، ولكنها لم تهمل نفسها أمامه، ربما لأنها ابنته الوحيدة؟ وربما كان يجب عليها أن تمثل دور الصبي؟ الصبي الذي لا يبكي، ولكنها كانت طفلة صغيرة، طفلة فقدت زوجها، وعند ذاك، بعد كل هذا الوقت، وفي بيئة طائشة من الحلوى، أخذت تجهش بالبكاء بين ذراعي أبيها مستسلمة على أمل من السلوى.

74

في اليوم التالي، وفي أثناء وصولها إلى المكتب، كانت ناتالي تشعر بأنها متوعكة، لقد نامت في نهاية المطاف في بيت أبويها، وعند أول الصبح تماما، قبل أن تستيقظ أمها، ذهبت إلى بيتها، متذكرة الليالي البيض في شبابها، تلك الليالي التي كانت تحتفل فيها حتى الفجر، فتبدل ملابسها وتذهب مهرولة مباشرة، كانت تشعر بمفارقة الجسد هذه مرة أخرى؛ حالة من الإعياء الذي ينشط. مضت لتلتقي بماركوس، وقد اندهشت بعد أن اكتشفت أنه كان ما يزال في رباطة جأشه نفسها مثلما كان في يوم أمس، نوع من القوة الهادئة بالتماثل تمام المماثلة، كانت فكرة تسكن من روعها، وتريحها أيضا.

- بودّي أن أشكرك.. على الهدية.
- ولا شيء.
- هل أستطيع أن أقدم لك كأسا هذا المساء؟

هز ماركوس رأسه، وهو يفكر:

- إنني مغرم بها، وهي دائما ما كانت تبادر في لقاءاتنا.

لقد فكر، على وجه الخصوص، بأنه ما كان له أن يشعر بالخوف، ذلك فإنه من المضحك أن يتراجع، ويحمي نفسه. لم يكن يفترض الاقتصاد بألم محتمل، ومرة أخرى، كان يتابع في تأمله، وفي الرد عليها أيضا، وبينما كانت تمضي منذ عدة دقائق، ظل مستمرا يفكر بأن كل ذلك كان بإمكانه أن يقوده إلى الألم، وإلى الخيبة، والعجز العاطفي الأكثر رعبا مما يكون. ومع ذلك كانت لديه رغبة في الذهاب إلى هناك، كانت لديه رغبة بالسفر نحو المجهول، لم يكن هناك أي شيء يشير إلى ما هو تراجيدي، كان يعلم بأن هناك مركبات عمومية بين جزيرة الألم جزيرة النسيان، والجزيرة التي ما تزال بعيدة جدا، أي جزيرة الأمل.

كانت ناتالي قد اقترحت أن يلتقيا مباشرة في المقهى، ومن الأفضل أن يكون مهذبا بعد هروبهما من السهرة، ومن ثم كانت تتذكر أسئلة كلوئه، ولو أنه كان موافقا، من أعماق نفسه، كان يتمنى أن يكون قادرا على تنظيم مؤتمر صحافي ليعلن كل واحد موعده مع ناتالي، لقد وصل هو الأول، وقرر البقاء في مكان منظور، في مكان إستراتيجي، يستطيع من خلاله الشخص مشاهدة مشهد وصول السيدة الجميلة التي ضرب معها الموعد، لقد كان فصلا مهما، ما كان ينبغي أن يعد فصلا مصطنعا بكل تأكيد، وفي كل الأحوال، لم يكن ذلك من طراز الزهو الذكوري، كان ينبغي رؤية شيء آخر له أهمية كبيرة؛ كان في هذا الفصل أول إنجاز للقبول بالذات.

للمرة الأولى، ومنذ زمن طويل. نسي أن يأخذ كتابا وهو ذاهب إلى بيته في الصباح. قالت له ناتالي إنها ستلتحق به

بسرعة ما أمكن إلى ذلك سبيلا، ولكنه لم يكن يستبعد أن يستمر انتظاره قليلا. نهض ماركوس ليتناول صحيفة مجانية، وانغمس في القراءة، وبسرعة متناهية شده شأن ما، وكان وهو مستغرق في قلب هذا الخبر الاعتيادي تجلت له ناتالي:

- هل أنت بخير؟ ألم أزعجك؟

- كلا، بالتأكيد.

- يبدو من مظهرك أنك مستغرق في التفكير كليا.

- نعم، كنت أقرأ موضوعا.. حول الاتجار بجبنه الموزاريللا.

انطلقت ناتالي عندئذ في ضحكة مجنونة، ضحكة من الضحكات التي يضحكها البعض عندما يكون متعبا، لم تعد تستطيع أن توقف نفسها، ورأى ماركوس أن ذلك ربما يكون مسليا فأخذ يضحك أيضا، وكأن العته أصابهما، كان يجيب بكل بساطة، من دون أن يطرح على نفسه أسئلة، والآن، ها هي كانت تضحك من دون أن تتوقف، لقد كان منظرا جنونيا بشكل مطلق بالنسبة لماركوس، كان الأمر وكأنه أمام سمكة ذات رجلين (كل واحد له تحولاته)، ومنذ سنوات، وخلال مئات الاجتماعات، كان يرى امرأة جادة، لطيفة ولكنها رصينة دائما، نعم، كان يراها تبتسم بكل تأكيد، وكان أن جعلها قبل ذلك تضحك أيضا، ولكن لا، أيضا كانت تلك هي المرة الأولى التي ضحكت فيها بمثل هذه القوة. وبالنسبة لها كل شيء كان هناك؛ هذه اللحظة هي المبرر الصافي لما كانت تحب أن تعيشه مع ماركوس، رجل يجلس في مقهى، يجعلك تبتسم ابتسامة عريضة عندما تصل، ويعلن لك بجدية أنه يقرأ مقالا حول تجارة جبنة الموزاريللا.

75

مقال منشور في صحيفة ميترو تحت عنوان

تجارة جبنة الموازريللا المدمّر.

أمس ظل خمسة أشخاص في وضع الاستعداد، وأول أمس في إطار تدمير تجارة جبنة الموزاريللا «من النوعية الجيدة» في بوندوفل (أسسون)، وحسب ما ذكر بيير شوشكوف آمر كتيبة شرطة إفري، المكلف بالتحقيق، إنه «بين 60 و70 لوحا، ما يساوي 30 طنا تم خزنها في خلال عامين»، وأعيد بيعها في المحافظة وحتى في مدينة فيلجويف (فال - دو - مارن). تجارة لا قيمة لها ما دام الضرر قد بلغ 280000 يورو، لقد أتاح التحقيق المثار منذ الشكوى التي قدمتها شركة ستيف، في يونيو 2008، الكشف عن إجراءات تتضمن مديري مطعمي بيتزا، يقع أحدهما في باليزو عند مفترق الطرق، وما تبقى لتحديد من كان يدير هذه التجارة وأين كان يذهب المغنم من ربح جبنة الموزاريللا.

V. M

76

خلال سير أحداث القصة العاطفية، يرافق الكحول لحظتين متضادتين؛ عندما نكتشف الآخر الذي عليه أن يروي عن نفسه، وعندما لا نعود نملك شيئا نقوله. كانت تلك المرحلة الأولى،

المرحلة التي لم نر فيهــا الزمن الذي يمضي، المرحلة التي نعيد فيها رواية القصة، وبشــكل خاص مشــهد القبلــة، ولقد فكرت ناتالي بأن هذه القبلة كانت قد أملتها النزوة مصادفة، وقد يكون الأمر ليس هكذا؟ إن المصادفة لا وجود لها، وإن كل ذلك لم يكن إلا تطورا لا واعيا لشــعور مســبق، هذا هــو الانطباع الذي قد تشعر به مع هذا الرجل، هذا الانطباع أسعدها، ثم جعلها وقورة، ثم ســعيدة من جديد، رحلة مستمرة من البهجة إلى الحزن. أما الآن، فإن السفر كان يقودهما بعيدا، نحو الجفاء، لم تكن ناتالي تشــعر بأنها بصحة جيــدة، لقد أصابها البرد عشــية الذهاب والمجيء ليلا.. إلى أين كانا ذاهبين؟

كان يتضــح نوع من النزهة الطويلــة، لأن أحدا لا يجرؤ بعد علــى الذهاب إلى بيت الآخــر، وبخاصة أنه لا يريد أن ينفصل، فيترك الإحســاس يمتد كثيــرا انطلاقا من الحيرة، ومن ثم فإن الليل ما يزال حالكا.

سأل:

– هل بوسعي أن أقبّلك؟

– لا أعرف.. لدي بداية زكام.

– هذا ليس خطيرا، إنني على استعداد لأن أمرض معك. هل أستطيع أن أقبّلك؟

كانــت ناتالي تحب كثيرا أن يطرح عليها الســؤال، كانت تلك صيغة من صيغ الرقة، في كل لحظة هي معه تخرج عن طورها، فبعد الذي عاشــته، كيــف يمكن أن تتصور أن تكــون في حالة انبهار من جديد! هذا الرجل لديه شيء ما فريد.

قالت (نعم)، بحركة من رأسها.

77

حوار فيلم «الرجل الشهير» لوودي ألن
الذي ألهم مناقشة ماركوس
شارلز تيرون:
ألم تكن تخشى العدوى؟ أنا مصاب بالزكام.
كينيث براناغ:
منك بالذات سأصاب بسرطان لا يشفى.

78

يمكن أن تكون السهرات غير اعتيادية، فالليالي لا تنسى، ولكنها مع ذلك تنتهي بصباحات متشابهة. كانت ناتالي تستقل المصعد لتلتحق بمكتبها، وكانت تكره أن تلتقي بأحد في هذه الخلوة، وواجب توزيع الابتسامات وتبادل المجاملات، وعند ذاك فقد كانت تتظاهر بانتظار قطار فارغ، كانت تحب هذه اللحظة لبضع ثوان، كانت ترتقي فيها نحو يوم عملها، في هذا القفص الذي يجعلنا مثل نمل في سرداب، وعند الخروج التقت بمديرها وجها لوجه، لم يكن ذلك تعبيرا؛ لقد اصطدم كل منهما بالآخر حقا.

«إنه لمن المدهش.. كنت أقول في نفسي إننا كنا لا نلتقي كثيرا في هذا الوقت.. وفجأة، ها أنا اصطدم به! ولو كنت أعرف أن لدي هذه القوة، لكنت أعربت عن أمنية أخرى..

- إنه الماكر، هذا.

- ينبغـــي أن أكلمـــك، بـــكل جدية، فأنت هل يمكـــن أن تأتي وتقابلني بعد قليل؟».

في الأيام الأخيرة، يبدو أن ناتالي نســيت وجود شـــارل، فقد كان يشبه رقما هاتفيا، أو عنصرا لم يعد له اتصال مع الحداثة، لقد كان مملـــوءا بالهواء المضغوط، كانت ترى أنه من الغرابة أن تكـــون ملزمة بالعودة إلى مكتبه، فمنذ كـــم من الوقت لم تذهب إليه؟ لم تكن تعرف ذلك على وجه التحديد، كان الماضي يشـــرع بالنشـــوة، ويذوب في الحيرة، ويختفي تحت شـــوائب النســـيان، وكان ذلك هو الدليل المفيد حيث يستأنف الحاضر دوره، لم تعر بالا للأصبوحة، ثم قررت.

79

أمثلة على أرقام الهاتف

في قرن آخر

* * *

أوديون 32 - 40

* * *

باسي 22 - 12

* * *

كليشي 12 - 14

80

دخلت ناتالي في مكتب شارل، وتأكدت من أن المصاريع كانت مفتوحة أقل مما كانت العادة، وكان هناك ما يشبه محاولة إغراق لهذه الأصبوحة في الظلمة.

قالــت، وهي ماشــية: «حقا، لقد مرّ وقــت طويل لم آت إلى هنا».

- وقت طويل، نعم..
- لقد كنت منهمكا بقراءة كلمات معجم لاروس منذ..
- آه.. كلا، لقد توقفت، لقد اكتفيت منه بعدد من التعريفات، وبصراحــة، هل يمكنــك أن تخبرينني ماذا تنفــع معرفة دلالة الكلمات؟
- من أجل ذلك كنت تريد مقابلتي؟
- كلا.. كلا.. نقضي وقتنا في التقابل.. وكنت أريد أن أعرف كيف حالك بكل بساطة.. كيف تجري الأمور في هذ الوقت...؟

لقد نطق بهذه الكلمات الأخيرة بشكل يشبه التأتأة، لقد كان أمام هذه المرأة، مثل عربة قطار تخرج عن سكتها، لم يكن يدرك لماذا كان لها هــذا التأثير عليه، بالتأكيد كانت جميلة، وبالتأكيد أنها تمتلك أســلوبا يراها رائعة مــن خلاله، ولكن مع ذلك، أكان يكفي هذا؟ كان هو رجل ســلطة، وفي بعض الأحيان كانت بعض الســكرتيرات الشقراوات يقهقهن عند مروره، كان يود لو يمتلك نســاء، وكان يتمنى لو يســتطيع أن يقضي من خمس إلى ســبع ســاعات في 5 نجوم، ومــاذا بعد؟ لا يوجد أي شــيء يمكن أن

يقال، لقد كان يخضع إلى طغيان انطباعه الأول، لم يكن إلا هذا، هذه اللحظة التي رأى فيها وجهها على صفحة سـيرتها الذاتية، حينها قال: أريد أن أجـري مقابلة معها، عند ذاك كانت تظهر، شـابة متزوجة، شاحبة، ومترددة، وبعد بضع ثوانٍ قدم لها قطعا من الخبز السـويدي، ربما وقع في حب الصورة؟ ليس هنالك ما هو أكثر إرهاقا من العيش في ظل الإملاءات الشـهوانية لجمال جامـد. كان يتواصل فـي مراقبتها، وكانـت لا تريد أن تجلس، كانت تتمشى، وتلامس الأغراض، وتبتسم قليلا؛ مجسدة الأنوثة تجسـيدا عنيفا، وفي نهاية المطاف دارت حول مكتبها، وجلست وراءه:

- ماذا.. ما الذي تصنعين؟

- أحدق برأسك.

- ولكن لماذا؟

- انظر وراء رأسك، لأنني أشعر بأن لديك فكرة خلف رأسك.

لـم يعوزه إلا هـذا؛ لديهـا روح من الدعابة. لم يعد شـارل يسـيطر على كل هذا المشهد، كانت خلفه، تتسلى. والماضي، كان يبدو للمرة الأولى هو الماضي. لقد كان في الصفوف الأمامية في الأيام السـوداء، أمضى ليالي عديدة يفكر بأنها يمكن أن تنتحر، وها هي كانت هناك الآن خلفه، نابضة بالحياة إلى حد بعيد.

قال بهدوء:

- هيا، تعالي واجلسي، من فضلك.

- حسنا.

- يبدو عليك أنك سعيدة، وهذا ما يجعلك جميلة.

لم ترد ناتالي، كانت تعرب عن أملها بألا يطلب منها الحضور

لتصرح له بحبها من جديد، وتابع القول:

- أليس لديك شيء تقولينه لي؟

- كلا، ذلك هو أنت من كنت تريد مقابلتي.

- كل شيء يجري على ما يرام في مجموعتك؟

- أجـــل، يبدو لي، وأخيــرا، أنت تعرف أفضـــل مني، لديك الأرقام.

- وماذا بشأن.. ماركوس؟

كانت تلك هي الفكرة الموجودة خلف الرأس، يريد الكلام عن ماركوس، كيف لم يخطر ببالها من قبل؟

- يقال إنك كنت تتناولين العشاء معه.

- من قال ذلك؟

- كل شيء معروف هنا.

- ومــاذا في ذلك؟ هـــي حياتي الخاصة، أيســبب ذلك لك إزعاجا؟

توقفت ناتالي بشــكل عنيف، وغير وجهها من سحنته، راقبت شارل، الذي يدعو إلى الشفقة، وهي تنتظر بفارغ الصبر توضيحا، حتى ولو كان كذبة، اســتمرت تحدق فيه وقتا أطول، من دون أن تدري ما تفعل، وأخيرا، قررت مغادرة المكتب، من دون أن تضيف أية كلمة. كانت تترك مديرها في ريب من أمره، في إحباط كبير، لــم تتحمل القيل والقال، الذي يتحدثــون به وراء ظهرها، كانت تمقــت كل هذه الموضوعات؛ الأفكار خلف الــرأس، الكلام وراء الظهــر، الطعن من الخلف، كانت تلــك الجملة على وجه خاص «كل شــيء معروف» قد أزعجتها، وربما أنها كانت تفكر بها، كان يمكنهــا أن تؤكــد بـ: نعم، لقد كانت تشــعر بشــيء ما في نظر

الآخرين، كان يكفي أن يراهما أي شـــخص في مطعم، أو يخرجا معا بكل بســـاطة، حتى إن كل الشـــركة تتوقد، لمَ هي منزعجة؟ لقد ردت بجفاء بأن تلك كانت هي حياتها الخاصة، كان بوسعها أن تقول قولا حسنا لشارل: نعم، هذا الرجل يعجبني، عن قناعة، ومن ثم لا، كانت تريد كلمة تناســـب المقام، وكان مستبعدا من أي إنســـان أن يدفعها إلـــى القيام بذلك. عند عودتهـــا إلى مكتبها، التقت بعـــدد من الزملاء، ولاحظت التغيير، كانت نظرة شـــفقة وتعاطف، وكان يســـتنزفها شيء آخر، ولكنها ما تزال عاجزة عن أن تتصور ما كان سيحدث للتو.

81

تاريخ عرض فيلم كلود لولوش
إنسان يعجبني..
مع جان – بول بيلموندو وآني جيراردو
3 ديسمبر 1969

82

بعد مغادرة ناتالي، بقي شارل متسمّرا في مكانه مدة طويلة، كان يعلم أنه لا يعرف إدارة هذه المحادثة، لأنه قليل الفطنة، وعلى وجـــه الخصوص كان غير قادر علـــى أن يخبرها بما يعتمل فيه من إحســـاس حقيقي: «نعم، هـــذا يخصني، إنك ما كنت تريدين الخـــروج معي، لأنك ما عدت راغبة في أن تكوني بصحبة رجل،

نعم، يحق لي أن أعرف ما تستشــعرينه، ومن حقي أن أعرف ما يعجبك عنده، وما لا يعجبك فيّ، أنت تعرفين جيدا إلى أي درجة أحببتك، وإلى أي مدى اســتمرّ حبك هذا، يجب أن توضحي لي، وهذا كل ما أطلبه منك».

هذا ما أراد أن يقوله تقريبا، وبالتالي: «تأخرنا خمس دقائق عن حوارنا الغرامي».

كان لا يســتطيع مواصلة العمل في هذا اليوم، فبعد الإيضاح مع ناتالي، في ذلك المساء حيث كانت تقام فيه عدد من المباريات قليلة الأهمية في بطولة كرة القدم، استسلم للأمر الواقع، وهذا بالــذات ما حقق في حياته، عبر غرابة الآلية الحسبــية، تجددا مع زوجته، فخلال أســابيع عديدة لم يتوقفا عن ممارسة الحب، وعن أن يلتقيا من خلال الجسد، كان بإمكانهما أيضا الكلام عن حقبة رائعة، وكان هناك أحيانا عاطفة جياشة في استعادة الحب أكثر من اكتشــافه بكل بســاطة، ومن ثم فقد استعاد الاحتضار طريقه، مثل ســخرية: كيف استطاعا احتمال ممارسة الحب من جديد؟ كان ذلك مقطعــا، أو جملة اعتراضية من اليأس المقنّع، والسهل البسيط بين جبلين مثيرين للشجون.

كان شارل يشــعر بالتعب والإجهاد، لقد ضاق ذرعا بالسويد والســويديين، وبعاداتهــم المرهفة، حيث يســعى دائما لأن يكون هادئــا، ولعدم الصراخ في الهاتف، هذه طريقة من يكون متأملا كفرقة الزن البوذية، ومن يقدم رسائل للموظفين، كل هذه الراحة كانت تشــرع بضرب جهازه العصبي، وما تعوزه ســوى هستيريا المتوســطية، وكان يحلم أحيانا ببرم صفقات مع تجار الســجاد، كان ذلــك في إطار هذا السـياق الذي كان قــد حصل منه على

معلومة تتعلق بحياة ناتالي الخاصة، ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف عن التفكيـــر بهذا الرجل، بماركوس، كيــف كان يصنع، مع هذا الاســم الغبي، من أجل استمالة ناتالي؟ لا يريد أن يصدق ذلك، فلقد كان في وضع جيد لمعرفة أن قلبه كان يشـــبه ســـراب واحة مـــاء، فما إن كانا يقتربان من بعضهمـــا، حتى يختفي، لكن هنا، فـــإن الأمر مختلـــف، ردّة فعله المفرطة كانت تبـــدو تأكيدا على الشـــائعة، أوه لا، لم يكن ذلك ممكنا، ما كان بوســـعه أن يحتمل ذلـــك البتة، «كيف يصنع؟»، هكذا كان شـــارل يكرر باســـتمرار، يفترض أن اللغة الســـويدية كانت قد سحرته، أو بشيء من هذا القبيل، النوم والتنويم المغناطيســـي، سقاه جرعة، يمكن أن يكون الأمر كذلك، لقد وجدها مختلفـــة تماما، أجل، وربما كانت هي مـــن جرحته جرحـــا بليغا، لم تعد ناتالي التي يعرفها، إن شـــيئا ما قـــد تغير، تغيرا حقيقيا، وعند ذاك، لم يكن يرى ســـوى حل واحد وهو: استدعاء ماركوس لكي يكتشف ماذا في جوفه، ولكي يكتشف سره.

83

عدد اللغات، ومن بينها اللغة السويدية
التي استطاع أن يقرأ بها 20
«التغيير» لميشيل بوتور
الحائزة على جائزة رنودو العام 1957

* * *

84

لقد سما ماركوس بالفكرة التي ما كان ينبغي أن تثير غموضا، إذ فــي كل مكان كان يمر به، ينبغي أن يظل مهذبا، كان يجب أن تكون الحياة مثل رواق، وعند الضرورة، فعندما وجد نفســه قد استدعاه المدير، ارتعب، كان يمكن أن يكون إنسانا، كان يمكن أن يمتلك حس الفكاهة والشــعور بالمسؤوليات، كان يمكن الاعتماد عليه، ولكــن ما إن كان الأمر يتعلق بالعلاقة مع الســلطة، وجد نفسه مثل طفل، لقد أرهقته أسئلة عديدة، وهو يغلي:

– لم أردتَ مقابلتي؟ ماذا فعلت؟ وهل كنت قد تفاوضت بشكل سيئ فيما يخص قســم ضمانات الملف 114؟ وهل ذهبت كثيرا إلى طبيب الأسنان في الأيام الأخيرة؟ كان الجرم يحاصره من كل حدب وصوب، وربما كانت تلك هي الطبيعة الحقيقية لشخصيته، كان الإحساس العبثي بالعقوبة القادمة يحوم باستمرار حوله.

دق بحسب طريقته، دائما بإصبعين، فقال له شارل بأن يدخل.

– صباح الخير، جئت لألتقي بك.. عندما أنت..

– ليس لدي الوقت الآن.. لدي موعد.

– آه جيد.

– ...

– حسنا، سأمضي إذن، وسأعود فيما بعد.

لقد طرد شارل هذا الموظف، لأنه لا يمتلك الوقت لاستقباله، لقد كان ينتظر ماركوس الشــهير، مــن دون أن يتصور ولو ثانية واحدة بأنه كان يأتي ليلتقي به، لقد كان هذا السافل، بالإضافة

إلـــى أنه أوقع قلب ناتالي في الفـــخ، يمتلك الجرأة بعدم المجيء حينما كان يستدعى، أي نمط من التمرد يمكن أن يكون مريحا؟ إن ذلـــك لا يمكـــن أن يحدث هكذا، من كان يظن نفســـه؟ اتصل شارل هاتفيا بسكرتيره:

- لقد طلبت ماركوس لونديل أن يأتي لمقابلتي، ولم يصل! هل تستطيع أن ترى ما يحدث؟

- ولكنك طلبت منه أن يرحل.

- كلا، لم يأتِ.

- أجل، لقد رأيتُه يخرج للتو من مكتبك.

في ذلك الوقت كان شـــارل غائبا، وكان جســـده قد اخترقته الريح فجأة، ريح الشـــمال بالتأكيـــد، لقد كاد يُغمى عليه، وطلب من ســـكرتيره أن يدعوه. وماركوس، الذي كان يجلس للتو بالكاد على كرسيه، يجب أن ينهض ثانية، وتساءل فيما لو أن مديره كان لا يريد أن يســـخر منه، لقد فكـــر بأنه ربما كان تأثير الأعصاب في الضد من المســـاهمين الســـويديين، وأنه كان ينتقم من أحد الموظفـــين من البلد الأصل، لم يكن ماركوس يريد أن يكون لعبة، وإذا ما اســـتمر الحال فإنه سيستسلم للتو تحت إلحاحات جان بيير، النقابي من الطبقة الثانية.

لقد دخل ثانية إلى مكتب شارل، وكان يتكلم بفم ملآن، يحاول أن يهدّئ من نفســـه وهو يأكل قطع الخبز الصغيرة، حيث يسعى المرء أحيانا إلى تخفيف توتره بأمور تثير أعصابنا، كان يرتجف، وكان يتحـــرك، لقد أهمـــل فتات الخبز يتســـاقط من فمه، كان ماركوس مذهولا، كيف أن رجلا كهذا يدير الشـــركة؟ ولكن كان شـــارل هو الأكثر ذهولا بين الاثنين بكل تأكيد، كيف يمكن لرجل

كهذا أن يوجه قلب ناتالي؟ لقد ولدت من هذين الذهولين لحظة معلقة في الأيام الغابرة، حيث لم يكن لأحد يســتطيع أن يتصور ما ســيحدث للتو، كان ماركوس لا يعرف أيّ شيء ينتظره، وكان شارل لا يعرف ما سيقوله، لقد كان مصدوما:

- ولكــن كيف يكون هذا ممكنا؟ إنه مقرف.. وليس في حالة جيدة.. إنه واهن، إنه يرى نفسه واهنا.. آه لا، هذا ليس ممكنا.. ومن ثم، لديه طريقة في النظر إلى الناس، ينظر نظرة شزر.. آه كلا، يا له من رعب.. بتاتا يا ناتالي، هذا الرجل.. ولا شيء على الإطلاق، كلا، كلا.. آه هذا يقززني.. إنه مستبعد.. لأنه مستمر بالدوران حولها.. مســتبعد.. سأرســله إلى السويد.. نعم تغيير طفيف.. فمنذ الغد سأنقله!

كان شــارل يســتطيع الاســتمرار بالطحن لوقت طويل، كان عاجــزا عن الكلام، ولكن لا بــأس، جعله يأتي، وفي ذلك الوقت كان عليه أن يقول شيئا ما، ولكي يستثمر الوقت، سأل:

- أتريد خبزا سويديا؟

- كلا، أشــكرك، لقد غادرت الســويد لكي أتوقف عن تناول هذا النوع من الخبز.. وعندئذ فإنني لن أتناول منه هنا.

- آه.. آه.. يا له من أمر طريف جدا.. آه.. إيه!

انطلق شارل وهو يضحك ضحكة مجنونة، لقد كان هذا المغفل يمتلك حس الفكاهة، ولكن أي مغفل.. وذلك هو الأســوأ؛ الوجوه المكتئبة التي تفاجئنا بحس الفكاهة.. لا نتوقع منها نكتة.. كان هذا هو ســرّه بكل تأكيد، وكان شارل يشــعر دائما بأن تلك هي نقطة ضعفــه، إنه لم يحاول إثارة النســاء على الضحــك طوال حياته، حتــى إنه كان يتســاءل، وهو يفكر بحياتهن، لــو كانت لديه القوة

التي تجعــل منهن كئيبات، والحقيقــة أن لورنس لم تضحك منذ سـنتين وثلاثة شهور وسبعة عشر يوما. كان يتذكر ذلك، لأنه دوّن ذلك في دفتر مذكراته، بالطريقة ذاتها التي يدون فيها خسوفات القمر: «اليوم، ضحكت زوجتي»، وأخيرا، كان يجب أن يتوقف عن الاسـتطراد، عليه أن يتكلم، ممَّ كان يخاف بعد كل ذلك؟ لقد كان هــو المدير، وكان هو الذي يقرر قيمة تذاكــر المطاعم، ومع ذلك، ليس للأمر من أهمية، حقا كان يجب أن يســترد رباطة جأشــه، ولكــن كيف يتكلم إلى هذا الرجل؟ كيف يحدق فيه وجها لوجه؟ آه نعم، إن ما كان يثير اشــمئزازه هو أنه اســتطاع لمس ناتالي، وأنه استطاع أن يضع شــفتيه على شفتيها، يا له من انتهاك للحـرمة، ويا له من هجوم! آه يا ناتالي، كان يحب ناتالي دائما، وهذا جلي، لم ننته قط من وجدنا، لقد كان يفكر بأن ذلك سيكون من السهولة نسـيانه، ولكن لا، ذلك الإحساس الذي مضى قد ثبت في داخله، والآن ينبعث ثانية في بعده الأكثر وقاحة.

لقد وجد حلا آخر، أكثر جذرية من كونه حلا تغييريا: يطرده. كان يفتــرض أن يرتكب خطأ مهنيــا، كل الناس ترتكب أغلاطا، ولكــن لا بأس، فهو لم يكــن كل الناس، والدليــل على ذلك أنه كان يخــرج مع ناتالي، ربما كان موظفا أنموذجيا، كان واحدا من هؤلاء الذين يعملون ســاعات إضافية مع الابتسامة، واحدا من هؤلاء الذين لم يطلبوا زيادة أبدا؛ واحدا ما من الســيئين، ربما لم يكن هذا العبقري هو النقابي نفسه.

– هل تريــد مقابلتي؟ حاول ماركوس، وهــو يقاطع الدقائق الطويلة التي أمضاها شارل في انقطاع نفسه من دهشته.

– نعم.. نعم.. لقد انتهيت من التفكير بأمر ما، وأنا تحت تصرفك.

لم يكن بإمكانه أن يجعله ينتظر هكذا، أو أجل، عندئذ سيتركه كما هو طوال النهار، تماما لمعرفة ردة فعله، ولكن في كل المرات، لم تطرح عليه قضية، لأنه الآن كان يفكر: لا يوجد أي شيء أكثر إزعاجا من البقاء في مواجهة شخص ما لا يكلمك، وبالأخص إذا كان الأمر يتعلق بمديره، كل الموظفين الآخرين كانوا يبثون إشارات القلق، وربما تنزّ منهم بضع قطرات، ويقومون بحركات وإيماءات، يشبكون ويفلتون السيقان.. آه حسنا، هناك، لم تكن الحالة بأكملها، لقد أمضى ماركوس عشر دقائق، وربما خمس عشرة، من دون أن يتحرك، رابط الجأش تماما، وكانت تلك حالة غريبة، إذ إنه كان يفكر بذلك، كان هذا الرجل قد منح قوة ذهنية عظيمة بلا منازع.

في هذه اللحظة، كان ماركوس قد حجره إحساس غير مريح بعدم اليقين، لم يكن يدرك ما كان يجري، فخلال سنوات عديدة، لم ير مديره قطّ، وها هو يستدعيه ليلطف الصمت، كل واحد منهما كان يرسل للآخر صورة من القوة، من دون أن يدرك ذلك، كان على شارل أن يتكلم أولا، ولكنه لم يفعل شيئا، كانت كلماته مختومة بالشمع، يواصل التحديق بماركوس مباشرة في عينيه، وكأنه منوّم مغناطيسيا. لقد كان يفكر للوهلة الأولى في التخلص منه، ولكن الفرصة الثانية أعلنت عن نفسها، وبشكل متوازٍ مع عدوانية، كان من الواضح أن إغراء بعينه قد ولد فيه، بعيدا جدا عن الضغط عليه، كان يجب أن يراه وهو يعمل، وأخيرا بدأ يتكلم معه:

- معذرة على ما سببته لك من تأخير، لقد أحببت، على وجه الدقة، أن آخذ قسطاً من الوقت لأزن كلماتي عندما أخاطب

شخصا ما، وبالأخص عندما يتعلق الأمر بالإعلان عما أردت قوله لك.

- .....

- هو ذا، لقد شعرت بإدارتك للملف 114، وأنت تعرف، ما من شيء يخفى عليّ هنا، إنني أعرف كل شيء، ويجب القول إنني في غاية السعادة لنحسبك بيننا، وفي السويد كنت أيضا قد حدثتهم عنك، وكانوا في غاية الفخر بأن يكون مواطن قدير معهم.

- شكرا..

- ولكن، أنا من يشكرك، نحن نشعر بأنك مثل قاطرة في هذا المجتمع، فضلا على ذلك، كنت أود أن أبارك لك شخصيا، إنني أرى بأنني لم أمض ما يكفي من الوقت مع العناصر الجيدة في الشركة، إن ذلك يجعلني سعيدا بمعرفتك بشكل أفضل، يمكن لنا أن نتعشى معا هذا المساء، أليس كذلك؟ بماذا تفكر يا هذا؟ يا هذا، كل شيء على ما يرام، أليس كذلك.

- آه... اتفقنا.

- آه نعم الأمر، سأطير من الفرح! ومن ثم ليس هنالك سوى العمل طوال الحياة.. من الممكن الحديث عن أشياء أخرى كثيرة، إنني أرى ذلك مفيدا لكسر الحاجز بين المديرين والموظفين أحيانا.

- إذا حددت أنت ذلك.

- حسنا، هيا، إلى هذا المساء.. يا ماركوس! لتقضِ صباحا سعيدا، ويحيا العمل!

خرج ماركوس من المكتب، وكان مذهولا كالشمس في أثناء الكسوف.

85

عدد علب الخبز السويدي الصغير
المبيعة في العام 2002

* * *

5.22 ملايين.

86

كانت الشـائعة تنتشر في كل أرجاء الشـركة، وهي تقول إن هنـاك علاقة بين ماركوس وناتالي، والحقيقـة أنهما لم يتبادلا القبل سـوى ثلاث مـرات، وقد ذهب الخيـال بالبعض إلى أنها كانـت حبلى. نعم، هكذا أضاف النـاس وتقوّلوا، ويكفي أن تعد حصيلة إيراد آلات القهوة لتحديد سـعة تلك الثرثرة. اليوم، بدا تاريخيـا، فـإذا كان كل الناس يعرفون ناتالي في الشـركة، فإن أحدا لم يكن يعرف حقا من كان ماركوس، إنه يشبه حلقة بسيطة في السلسـلة، والخيط الأبيض في ثوب. وحينما كان يذهب إلى مكتبه وهو مذهول بما يعيشه ويراه، شعر بنظرات عديدة مسلطة عليه، لم يكن يفهم السبب، لقد ذهب إلى دورات المياه ليتأكد من طيات سترته، وخصلات شعره، والفراغات التي بين أسنانه ولون وجهه، ما من شيء، كل شيء على حاله.

هـذا الاهتمام لـم يتوقف عن النمـو والازدياد خـلال النهار، وقد وجد عدد مـن الموظفين ذرائع عديـدة لزيارته، طرحوا عليه

أسـئلة عديدة، ولكنهم كانوا يخطئون البـاب، ربما كان ذلك العمل يحـدث مصادفة في يوم من هذه الأيام الغنية بالأحداث على وجه الخصوص، من دون أن نعرف السـبب. سـؤال عبثـي، ربما قالته عمته في السـويد، قارئة الفنجان المشـهورة في النرويج، ومع كل هـذا الخلل، لم يكن لديه متسـع من الوقت للعمـل، لقد كان يوما مكتظا، حيث لم يعمل شـيئا في ذلك اليـوم الذي حيّاه فيه رئيس الشركة، وربما كان ذلك أيضا ما أرهقه، ليس من السهولة أن تكون شديد العزيمة على حين غرة عندما لا تكون في الصفوف الأمامية، وعندما لا يلاحظ أحد ما فعلته، ومن ثم، كانت هنالك ناتالي دائما في أعماقه، وشيئا فشـيئا منحته المواعيد ثقة كبيرة، كانت الحياة تبدأ بأن تأخذ اتجاها غريبا، مبتعدة بهدوء عن المخاوف والشكوك.

شـعرت ناتالي مرة أخـرى بهذه البلبلـة حـولها، وكـان ذلك لا يعدو عن كونه شـعورا حتى اللحظة التي فيها كلوئه كانت قد تجرأت وقالت، وهي تؤيد محاولات المجابهة وجها لوجه:

- هل يمكن أن أطرح عليك سؤالا؟

- نعم.

- الجميـع يتحـدث بأن لك قصـة مع ماركـوس، فهل هذا صحيح؟

- سبق لي أن أجبت بأن الأمر لا يعنيك.

فـي هذه المرة كانت ناتالي منزعجة بحق، فكل ما أحبّته لدى هذه الفتاة الشـابة كان يبدو قد اختفى، وهي لم تر عندها الآن سـوى هاجس وضيع، لقد صدمها مظهر شـارل، وهذا ما كان مستمرا، فما الذي كان يثير إعجابهم؟

أمعنت كلوئه بالقول متلعثمة:

- تماما لم أتخيلك بـ..

انزعجت ناتالي، وقالت لها بعصبية:

- كفى، يمكنك الخروج.

شـعرت، بشـكل غريزي بأن هناك كثيريـن كانوا يوجهون النقد لماركوس، والأكثر من ذلك كانت تشـعر بأنها قريبة منه، وأن هـذا هو الذي كان ما يـزال يجمعهما في عالم بعيد عن عدم إدراك الآخرين، لقد نعتت كلوئه نفسـها بالحمقاء، وهي تخرج من المكتب، كانت تريد أن تكون لها علاقة متميزة كثيرا مع ناتالـي، ولكنها تصرفت تصرفا معتوهـا، ومع ذلك كانت مصدومـة بحق، وكان من حقها أن توضح ذلك، أليس كذلك؟ ومـن ثم، لم تكـن الوحيدة، كان هنالك أمـر ما غير لائق في فكرة علاقتهما، ليس لأنها لم تحب ماركوس، ولا لأنها وجدته بغيضـا، وإنما لأنها لم تتوصل إلى أن تتصوره مع امرأة، كانت تعـده مثل صحن طائر فـي عالم الرجال، وعنـد ذاك كانت ناتالـي تمثل في نظرها نوعا من الأنوثة المثالية، وبالتالي فإن اتحادهمـا كان يزعجها ويدفعها إلى ردود أفعال عفوية، كانت تعرف جيدا أنها غير محتشمة، ولكن على الرغم من ذلك، كان الجميع يسألونها:

- وماذا بعد؟ وماذا بعد؟ هل لديك أخبار؟

لقد شـعرت بأن مركزها المميـز كان يمكن أن تكون له قيمة، وأن رفض ناتالي ربما كان يتيح لها النفاذ إلى توافقات أخرى.

87

الأعذار التي استخدمها الموظفون

من أجل اللقاء بماركوس

* * *

كان بــودي أن أصطحب زوجتي في أيام العطلة إلى الســويد في هذا الصيف، فهل لديك من النصائح التي تقدمها لي؟

* * *

ألديك ممحاة؟

* * *

آه عفوا، لقد أخطأت المكتب.

* * *

هل أنت ما تزال منشغلا بالملف 114؟

* * *

هل يعمل الإنترنت عندك؟

* * *

ومــع ذلك، فإن هذه القصة هائلــة، قصة زميلك الذي توفي قبل أن يتسنى له الوقت لرؤية نجاح ثلاثيته.

88

في ظهيرة ذلك اليوم توقف ماركوس وناتالي معا وهما يلتقيان فوق الســطح، لقد أصبح ذلك ملاذهما وقبوهما، ومن أول نظرة

تبادلاها، أدركا بأن هناك شيئا ما غير اعتيادي يدور، وأنهما كانا تحت هيمنة فضول الآخرين. لقد أخذا يضحكان من هذه البلاهة، واحتض بعضُهمـــا بعضا، وكانت تلك هـــي الطريقة الفضلى في العالم لابتكار الصمت. همست ناتالي بأنها كانت تتمنى أن تلتقي به ثانية هذا المساء، وكانت تتمنى لو أن هذا المساء يكون الآن، كان الجو صحوا، ولطيفا، بقوة غيـــر معهودة. كان ماركوس منزعجا، وهـــو يوضح بأنه لم يكن متفرغا، كانـــت معادلة رهيبة؛ لقد أخذ يعد كل ثانية مرت بعيدا عن ناتالي غير مجدية، ومع ذلك لم يكن يســتطيع بالمطلق إلغاء العشـــاء مع مديره. كانت ناتالي مندهشة، فلم تجرؤ على التســاؤل حول ما خطط له، كانت مندهشـــة على وجه الخصوص وهي تجد نفسها فجأة في موقف هش، في قائمة الانتظار، فشرح لها ماركوس أنه سيتناول العشاء مع شارل.

- وهذا المساء؟ عرض عليك العشاء؟

في تلـــك اللحظة، لم تكن تعرف أنه كان عليها أن تضحك أم تغضب، لم يكن من حق شـــارل أن يتناول العشـــاء مع عضو من أعضـــاء مجموعتها، من دون إخطارها، لقـــد أدركت على الفور بأن ذلك لا علاقة له بالعمل، فماركوس، حتى الآن، لم يســـع إلى تحليل دوافع مديره المباغتة، وبعد كل شيء، كان ذلك الأمر أمرا مقبولا؛ كان ينجز عملا رائعا مع الملف 114.

- وقال لك إنه يريد أن يتناول العشاء معك؟

- هاااا.. نعم.. كان يريد أن يبارك لي.

- ألم يبدُ لك ذلك غريبا؟ هل تخيلته وهو يتناول العشـــاء مع كل موظف يريد أن يبارك له؟ وأنت تعرف، أنا أســـتغرب بحيث لا شيء يبدو غريبا عنده.

- هذا صحيح، أنتِ على صواب.

كانــت ناتالي تعشــق الطريقة التي كان يتنــاول بها ماركوس الأمــور، ربما كان معروفا بالبســاطة، ولكن كلا، لديه ما يشــبه بــراءة الطفولة، والقــدرة على قبول المواقف، بمــا ينطوي عليه مــن طباع غريبة، لقد اقترب منهــا وقبّلها، كانت تلك هي القبلة الرابعة الطبيعية جدا. في بدء العلاقة كان يمكن تحليل كل قبلة تقريبا، فكل شــيء يتحرر بشــكل كامل مــن الذاكرة التي تتقدم ببطء في فوضى من التكرار.

لقــد قررت ناتالي ألا تقول أي شــيء يتعلق بشــارل، ومبرره المضحك، وسيكتشــف ماركوس بنفسه ما الذي يختفي وراء هذا العشاء.

89

ذهب ماركوس إلى بيته بشــكل سريع ليغير ملابسه، لأنه لم يكن على موعد مع مديره إلا في الســاعة التاســعة ليلا، لقد تــردد كعادته بين ســترات عديدة، ولكنه اختار الســترة الأكثر عملية والأكثر جدية، ولا نقول الكئيبة. كان مظهره مظهر دفّان موتــى في أيام العطل، وفــي الوقت الــذي كان يجب عليه أن يســتقل مترو الشبكة الإقليمية الســريعة، كانت هناك مشكلة؛ كان المســافرون في حالة هياج، حيث تنقصهــم المعلومة، أكان ذلــك إطلاق نار؟ محاولة انتحــار؟ لا يعرف أحد حقا، لقد بلغ الهلع حتــى عربة ماركوس، وكان يفكر بأن ذلك ســيؤخره عن مديره، كان هذا هو الحال، لقد جلس شارل منذ أكثر من اثنتي

عشــرة دقيقة، وهو يتناول كأس نبيذ أحمر، كان يشعر بأنه في حالة عصبية، بل وأكثر عصبية، لأن أحدا لم يؤخره كهذه المرة، وبالتأكيــد ليس هنالك من موظف كان يتجاهل حتى وجوده في الصبــاح ذاته، ومع ذلك، في قلب هذا الانزعاج، ولد إحســاس آخر، وهو الإحســاس نفسه الذي شــعر به في الصباح الباكر، ولكن هذه المرة، كان يعود بمزيد من القوة، لقد كان الأمر يتعلق بجاذبية لا ريب فيها، كان هذا الرجل قادرا على كل شيء، فمن كان يجرؤ علــى الوصول متأخرا عن الموعد؟ من ذا الذي لديه القدرة على تحدي الســلطان؟ لم يبق شــيء للقــول. كان هذا الرجــل جديرا بناتالــي، وكان ذلك أمرا لا ينكــر، كان رياضيا وكيميائيا.

أحيانا، عندمــا يتأخر المرء، يقول في نفســه بأنه لا فائدة من الركض، ويقول في نفســه إن ثلاثين أو خمســا وثلاثين دقيقة هي بالضبط لا فــرق، وعندئذ من الأفضل إضافــة قليل من الانتظار بالنســبة للآخر، وتجنب الوصول ورائحة العرق تفوح منه، هذا ما قرره ماركوس، كان لا يريــد أن يظهر لاهثا، ومحمرّ الوجه، يعرف ذلك، فمنذ أن كان يركض مســافة قصيرة جدا، يتحول مظهره إلى مظهــر مولود جديد، وهكــذا، خرج من المتــرو، مرعوبا من فكرة كونــه متأخرا على قــدر ما (ومن عدم قدرته علــى الاعتذار، لأنه لا يملك رقــم هاتف مديره الجوال)، ولكن ها هو يمشــي، وهكذا حضر عشاءه، بعد ساعة من الموعد عمليا، هادئا، هادئا جدا. لقد شكلت السترة السوداء مظهرا شبه جنائزي، كما يحدث في الأفلام الســوداء إلى حد مــا، والتي يظهر الأبطال فيهــا بصمت الغبش. لقد أنهى شــارل قنينة نبيذ تقريبا وهو ينتظر، لم يسمع اعتذارات

ماركوس بشأن المترو، فهذا الوصول كان هو بمثابة العفو المتجسد.
كانت السهرة تبحر فوق انتصار الانطباع الأول هذا.

90

برنار بلييه، بصدد بيير ريشارد
في «الأشقر الطويل ذو الحذاء الأسود»

* * *

إنه قوي، إنه قوي جدا.

* * *

91

طوال العشـــاء، كان ماركوس مندهشـــا من مظهر شارل إلى أبعد حد، وكان هذا يتلعثـــم، ويهذي، ويتمتم، لم يكن قادرا على إتمام عبارة، كان يبدو تحت تأثير جلجلة من الضحك، ولكن أبدا فـــي الوقت الذي كان فيه يحـــاول محدثه أن يكون مضحكا، كان وكأنه فـــارق زمن في جدول المواقيت مع اللحظة الحاضرة، لقد تجرأ ماركوس بعد هنيهة:

- هل أنت بخير؟

- بخير؟ أنا؟ أنت تعرف، منذ يوم أمس، ودائما، وبخاصة في هذا الوقت.

لقـــد أكد عـــدم تماســـك هـــذه الإجـابة على إحســـاس ماركـوس، لم يصبح شـــارل مجنونا بالتمام والكمال، كان يشعر

بأنه في حالة جيدة، فهناك ومضات نادرة من الوعي، عندما يخرج عن الخط، ولكنه لم يكن يبلغ السيطرة على نفسه، لقد كان ضحية دائرة كهربائية.

كان السويدي الذي يجلس أمامه قد غيّر من حياته، ونظامه، كان يناضل من أجل العودة إلى الواقع، أما ماركوس، حيث إن الماضي بالنسبة له يكاد يكون مثيرا مع ذلك، فإنه لم يكن بعيدا عن التفكير بأن هذا العشاء كان الأكثر شؤما في حياته. بهذا المعنى، ومع ذلك لم يستطع كبح نمو الشفقة، والرغبة في مساعدة هذا الرجل من الانحراف.

- هل بوسعي أن أصنع شيئا من أجلك؟

- نعم يا ماركوس، بالتأكيد.. إنني أفكر بذلك، هذا لطف، حقا، أنت لطيف.. وهذا ما يبدو.. في طريقة نظرتك إليّ.. أنت لا تحكم عليّ.. إنني أعي كل شيء.. وأفهم كل شيء، الآن..

- تفهم ماذا؟

- لكنني أفهم بالنسبة لناتالي، والأكثر أنني أراك، والأكثر أنني أعي كل ما لم أكنّه.

أعاد ماركوس كأسه، لقد أخذ يشك بأن كل ذلك كان يمكن أن يكون له علاقة بناتالي، فإزاء كل انتظار، فإن إحساسه الأول ينبع من الارتياح، لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي كانوا يتحدثون إليه عنها. في هذا الوقت بالتحديد، كانت ناتالي انتزعت نفسها من الوهم، ودخلت في الجزء الواقي من الحياة.

استمر شارل:

- أحبها، هل تعرف أنني أحبها؟

- أظن أنك قد شربت كثيرا.

- وماذا بعد؟ إن الثمالة لا تغير شـيئا، إن وعيي هنا، واقعي تمامـا، وعيي حول كل ما لم أكنه، أدركت وأنا أحدق بك إلى أي مـدى كنت قد أضعت حياتي.. وإلـى أي مدى لم أتوقف عن أن أكون في حالة من السـطحية والوفاق المتواصل.. سيبدو لك أن ذلك ما هو إلا جنون، ولكنني أقول لك ما لم أقله لأي شـخص: كنـت أود أن أكون فنانا.. أجل، أعرف، أعـرف الأغنية.. ولكن حقا، عندما كنت صغيرا، كنت مولعا برسـم السـفن الصغيرة.. تلك كانت سـعادتي.. أمتلك مجموعة من صور زوارق الجندول المنمنمة.. كنت أمضي سـاعات وساعات وأنا أرسمها.. من أجل الدقة في التفاصيل.. كما أنني أردت الاسـتمرار في الرسـم.. أن أحيـا حياتي فـي هذا الضرب من الولع الشـديد بالهدوء.. وبخلاف ذلك، فإنني أقوم بحشـو معدتي بالخبز السويدي طول النهـار.. وهذه الأيـام، لم يعدن ينتهين.. إنهن يتشـابهن جميعا كالصينيين.. وحياتي العاطفية.. زوجتي.. وهذا الشيء في نهاية المطاف.. ليسـت لدي رغبة في الكلام عنه.. إنني أدرك كل هذا الآن.. إنني ألتقي بك، وأدرك ذلك..

وفجأة قطع شارل حواره الداخلي، كان ماركوس منزعجا، ومن الواضح، لم يتقبل قط أسرار شخص مجهول، حتى عندما يكون الأمـر يتعلق على الأقل بمديره، لم يعد يبقى له سـوى الظرافة محاولة للتخفيف من الجو:

- لقد رأيت كل هذا في نظرتي؟ حقا هذا هو الانطباع الذي أثرته فيك؟ وبعد وقت قليل..؟

- والأكثر من ذلك، تمتلك حسـا مـن الظرافة عظيما، أنت عبقري، حقا، عندنا ماركس، وآينشتاين، والآن أنت.

لم يجد ماركوس ردا سريعا على هذه الهجمة المفرطة قليلا، ولحسن الحظ، ظهر النادل:

- هل طلبتما؟

قال ماركوس:

- نعم، أريد أن أتناول لحما مدمى.

- وأنا، سمكا.

- جيد جدا، أيها السادة. قال النادل وهو ينصرف.

ولم يتجاوز النادل المترين، حتى ناداه شارل:

- وأخيرا، أريد أن أتناول مثلما طلب السيد، السمك أيضا.

- جيد جدا، لقد دونت ذلك.

قال النادل، وهو يمضي.

وبعد برهة صمت، اعترف شارل:

- لقد قررت أن أطلب مثلك.

- تطلب مثلي؟

- نعم، كناصح إلى حد ما.

- تعلم، ليس هنالك من شيء عظيم لتقوم به فتكون مثلي.

- لا أتفق، فعلى سبيل المثال، سترتك، أعتقد قد يكون ذلك أمرا حسنا إذا كنت أمتلك مثلها، كان عليّ أن ألبس مثلك، لديك أسلوب رائع، كل شيء مدروس، وهذا يوحي بأنك لم تترك شيئا للمصادفة، وهذا ما تأخذه النساء بعين الاعتبار، فيا هذا كم ثمنها، ها؟

- آه، نعم، لا أعلم، أستطيع أن أعيرها لك إن أردت ذلك.

- وهو كذلك! هذا كل ما لديكم؛ يا له من تجسيد للرقة، إقول إنني أرغب بسترتك، وفي ثانية اقترحت عليّ إعارتي إياها،

كم هذا جميل، وأدرك أنني لم أعر سُـــتراتي طوال حياتي، كنت متضخم الأنانية فيما يخص السترة.

أدرك ماركوس أن كل ما ســيقوله ســيكون رائعا بالضرورة، فالإنســـان الذي أمامه كان يحدق فيه بفلترة من الإعجاب، كي لا يقول شــيئا من الاحترام، ومن أجــل متابعة طلبه، طلب منه شارل:

- حدثني عن نفسك بعد.

- أكون صادقا معك، لم أفكر بمن أكون أنا.

- هو ذا، إنها هي، مشــكلتي، وهي أننـــي أفكر كثيرا، ودائما ما أتساءل بماذا يفكر الآخرون، كان عليّ أن أكون أكثر رصانة.

- لذلك، كنت قد ولدت في السويد.

- آه، هذا مضحك كما ترى، يا له من إحســـاس طبق الأصل، اشرب في صحتك! هل أقدم لك ثانية؟

- لا، أظن بأنني شربت ما يكفي.

- يا له من إحساس في ضبط النفس! حسنا، قررت ألا أصنع مثلك، إنني أدعي الفرق.

وصل النادل وهو يحمل سمكتين، وتمنى لهما طعاما شهيا.

شرعا يأكلان، وفجأة، رفع شارل رأسه عن صحنه:

- حقا إنني مغفل، كل هذا مضحك.

- ماذا؟

- إنني أكره السمك.

- آه..

- وحتى، فهو أسوأ من ذلك.

- آه صحيح؟

- نعم، إنني شديد التحسس من السمك.
- ...
- حقا، ليس بوســعي أن أكون مثلك، ولن أكون مع ناتالي، كل هذا بسبب السمك.

92

بعض التفاصيل التقنية
التي تتعلق بالحساسية من السمك
لم تكن الحساسية من السمك نادرة الوجود، فهي تحتل المرتبة الرابعة في بلادنا. والمشكلة التي تطرح نفسها، عندما يقع شخص ما ضحية لها، هي لمعرفة فيما لو كان لديه حساسية من نوع واحد من السمك أو لعدد كبير، وعمليا فإن نصف المرضى الذين يعانون من الحساسية لنوع من الأسماك تكون لديهم حساسية من الأسماك الأخرى، وهذا ما يتطلب إجراء اختيارات فحص جلدية للبحث عن الحساســيات المتقاطعة، وأحيانا إجراء فحوصات استفزازية (مع الغذاء موضــوع البحث) في الحالة التي تكــون فيها الفحوصات الجلدية غير مرضية، كما يمكن لنا أيضا أن نتساءل فيما لو أن بعض السمك بعينه هو أقل إثارة للحساسية من أسماك أخرى، وللإجابة عن هذا السؤال فإن فريقا من الباحثين قام بإجراء مقارنة لقابلية ردة الفعل المتقابلة لتسعة أنواع من الأسماك، وهي: سمكة الغادُس (أو التي تســمى ســمكة المورة الطرية)، وسمكة السلمون، وسمكة الغُبر المفترسة، وسمكة الأسقمري، وسمكة التونة، وسمكة الرنكة، وســمكة الذئب، وسمكة الراقود، وسمكة الهوشع، ويبدو أن نوعين

من هذه الأســـماك، وهي التونة وسمكة الأســقمري (ينتميان إلى عائلة فصيلة أســماك الأسقمريات البحرية) هما أفضل الأسماك قبولا، والأسماك المفلطحة، وأسماك الراقود وأسماك الهوشع، في المرتبة الثانية. وعلى النقيض من ذلك، فإن ســمكة المورة، وسمكة الســلمون وسمكة الغُبر المفترسة، وســمكة الرنكة وسمكة الذئب، هذه الأســماك تمثل قابلية من ردود الأفعــال المتقابلة المهمة، أي بمعنى، إذا كانت لديك حساســية لواحدة من هذه الأســماك، فإن لديك مزيدا من الفرص بأن تكون لديك حساسية من الأخرى.

93

بعد هذا الكشــف عن الأســماك، غــرق العشــاء في عالم الصمت، حاول ماركوس، ولعــدة مرات، أن يفتح الحديث ثانية، ولكن عبثا، لم يأكل شــارل شــيئا، مكتفيا بالشراب، كما يبدوان مثل شخصين عجوزين لم يمتلكا شيئا يتبادلان به الحديث، مما يســمح في التحول إلى شكل من التأمل الداخلي، يمضي الوقت بلطف (وأحيانا تمضي السنوات أيضا).

ذات مــرة في الخارج، وجــد ماركوس نفســه مضطرا وهو يســتوقف مديره، لم يكن يستطيع القيادة في هذه الحالة، طلب منه أن يستقل ســيارة تاكسي، بأقصى ما يمكن من سرعة، كان عجلا بحيث إن محنة الأمســية انتهت في النهاية، ولكن، هنالك خبر سيئ، ذلك أن هواء المساء المنعش قد أنعش شارل، وكان يرد بسرعة مرة أخرى:

- ماركوس، لا تتركني، أريد أن أتكلم معك ثانية.

- ولكن مرت ســاعة وأنت لم تقل شيئا، ومن ثم فإنك شربت كثيرا، فمن الأفضل أن أعود إلى البيت.

- أوه.. توقــف وكن جــادا! حقا أنت تتعبني! سأشــرب للتو الكأس الأخير، كل ما في الأمر أنه نظام!

لم يكن أمام ماركوس أي خيار.

لقــد التقيــا في ما يشــبه مكانا فيه أناس مــن عمر محدد يتماسون بطريقة خليعة، لم يكن ذلك رقصا بالمعنى الدقيق، وإنما كان يشبهه، كانا وهما يجلسان على مقعد وردي، قد طلبا كأسين من شراب ساخن من الأعشاب المنقوعة، وخلفهما كانت تعتليهما صــورة مطبوعة طباعة حجرية جريئــة، كانت نوعا من الطبيعة الصامتة، ولكنها صامتة حقا، كان شــارل يبدو أكثر هدوءا الآن، ومن جديد وفي حالة انحدار، وتعب لا حدود له كان يرتسم على وجهه، فعندما كان يفكر بالســنوات التي خلت، كان يتذكر عودة ناتالي بعد مأســاتها، كانت نظرة تلك المرأة التالفة تلاحقه، لماذا تتــرك التفاصيل أثرها فينا، وقد تكــون علامة، تجعل من هذه اللحظات الصغيرة جدا صميم حقبة! كان وجه ناتالي مكسوفا، فــي ذكرياته، ومهنته وحياته العائليــة، كان يمكن أن يؤلف كتابا حول موضوع يتعلق بركبتي ناتالي، بيد أنه كان قد استسلم للأمر الواقــع، فقد أدرك أنها لم تكن مســتعدة للعيش بطريقة أخرى، ولكن في أعماقه، كان أمله مستمرا، واليوم كان كل شيء قد بدا له من دون فائدة؛ كانت حياته منحوســة، ويحس بضيق النفس، كان الســويديون متوترين بســبب الأزمة المالية، وكانت آيسلندا علــى حافة الإفلاس، وهذا ما أضعف الكثيــر من الثوابت، كان يشــعر بالحقد يكبر إزاء أربــاب العمل، وككل المديرين، قد ينأى

بنفســه في الصراع الاجتماعي المقبل، ومن ثــم هنالك زوجته، وكانــت لا تفهمه، كانــا يتكلمان في كثير مــن الأحيان عن مال اختلط مع الدائنين، كل شــيء كان ممتزجا في عالم تافه، حيث كانت الأنوثة فيه تشــبه أطلالا، وحيث إن أحدا لم يكن يصرف ما يلزمه من الوقــت لإثارة الضجيج بكعبين مدببين، كان صمت كل يوم يعلن عن صمت الأبدية، ولهذا الســبب فقد توازنه بسبب فكرة معرفته أن ناتالي مع شخص آخر.

لقد استدعى كل ذلك بكثير من الصدق، وأدرك ماركوس أنه ينبغي أن يتكلم عن ناتالي.

اســم مؤنث، وكان الليل يبدو متناهيــا، ولكن ما الذي يمكن القول عنها؟ كان يعرفها بالكاد، بوسعه أن يعترف بكل بساطة:

- أنت ترتكب خطــأ.. لا يمكن القول إننا كنا معا.. إن الأمر يعني في الوقت الحاضر قصة ثلاث أو أربع قبلات.. وبعد ذلك، فإنني لا أروي لك الغرابة في ذلك..

ولكن لم يخرج أي صوت من فمه، كان يشــعر بصعوبة الكلام عنهــا، وهو يدرك ذلك الآن، لقد وضع مديره رأســه على كتفه، ودفعــه إلى البوح، وعند ذاك بذل ماركوس جهدا ليروي، بدوره، روايتــه عن حياته مع ناتالي، وتفســيره لــكل اللحظات المتعلقة بناتالي، ومن دون سابق عهد، هجمت عليه فجأة ذكريات عديدة، وعــدد من اللحظات الهاربة التي كانــت تعود به إلى زمن طويل مضى، تماما قبل نزوة التقبيل.

لقــد حدث ذلــك لأول مرة، حيث أمضى معهــا حديثه حول التوظيف. كان يقول بنفســه في الحال: لم يكن بوسعي أن أعمل قط مــع امرأة كهذه. لم يكــن جيدا، ولكن كان علــى ناتالي أن

تكون لديها تعليمات توظيف شخص سويدي، وكان ماركوس إذن هناك، بسبب قصة الكوتا، لم يكن يعرفها قط، فبالنسبة له كان تأثيرهـــا الأول يلاحقه في خلال عدة شـــهور، كان يفكر ويفكر بالطريقـــة التي تضع فيها خصلات شـــعرها خلف أذنها، كانت هذه الحركة تســـحره، وكان خلال اجتمـــاع المجموعة، يأمل بأن تفعـــل ذلك ثانية، ولكن لا، كان ذلك رحمة فريدة من نوعها، كان يفكـــر أيضا بالحركات الأخرى كحركـــة وضع ملفاتها فوق زاوية الطاولة، وطريقتها وهي ترطب شـــفتيها بســـرعة قبل أن تتناول الشراب.

وكالزمـــن الذي تســـتقطعه من أجـــل التقاط أنفاســـها بين جملتين، والطريقة التي كانت تلفظ بها حرف الـ S أحيانا، وعلى وجه الخصوص في آخر النهار، وابتسامتها المعبرة عن المجاملة، ابتســـامة الشكر والامتنان، وكعبيها المدببين اللذين كانا يمجدان ربلتي ساقيها، لقد كان مرعوبا من سجادة الشركة، ولهذا تساءل ذات يوم: ولكن من ذا الذي اختراع السجادة إذن؟ وأشياء كثيرة، مـــرة ومرة. نعم، كل شـــيء كان يعن له الآن، أمـــا ماركوس فقد أدرك أن إعجابا كثيرا بناتالي قد تراكم في أعماقه، فكل يوم إلى مقربة منها يعد انتصارا هائلا، ولكنه كان يعد انتصارا متســـترا بسيطرة القلب الحقيقية.

كـــم من الوقت صرفه وهو يتكلم عنها؟ لم يعرف ذلك، وما إن التفت حتى لمح شارل وقد غفا، مثل طفل ينام وهو يستمع لحكاية، ولكي لا يصاب بالبرد، وباهتمام دقيق غطاه بسترته، وفي هذا الصمت المفقود، لمح هذا الرجل الذي تخيّل سلطانه، فهو الذي شـــعر في أكثر الأحيان برئتيه في قمع، وهو الذي

كان يفكر في كثير من الأحيان بحياة الآخرين حسـدا، وكان يدرك أنه لم يكن الأتعس، وأن رتابته كانت تعجبه بالذات، كان يتمنـى أن يكون مع ناتالي ولكن في الحالة المضادة، لن ينهار، كان محموما، وواهنا أحيانا. كان ماركوس يمتلك قوة محددة، نوعا من الاستقرار، والهدوء، وهنالك بعض الأمور التي تسمح له بألا يعكر صفو أيامه، ولكن ما الفائدة من الانفعال عندما يكون كل شـيء لا جـدوى منه؟ كان يقول في نفسـه أحيانا، ربما ذلك ناتج عن الإلحاح المفرط بقراءة سيوران، ربما تكون الحيـاة جميلة عندمـا يعرف المرء مسـاوئ الكائن بالفطرة، كانت رؤية شارل النائم تعزز من هذا الإحساس بالثقة، الذي يكبر للتو في أعماقه زائدا قوة إضافية أيضا.

لقـد اقتربت منهما امرأتان في الخمسـين من العمر، في محاولة للبـدء بنقاش معهما، غير أن ماركـوس وجه إليهما إشـارة بعدم إثـارة الضوضاء، لقد كان هـذا المكان مع ذلك مكانا موسيقيا، وأخيرا نهض شارل، وقد فتح عينيه مندهشا في هذه الشـرنقة الوردية، لقد رأى رأس ماركوس الذي كان يراقبه، ولاحظ وجود سـترته فوقه، ابتسـم، وقد ذكرته هذه الارتسامة البسـيطة على الوجه بأنه يشعر بصداع، لقد كان هنالك متسع من الوقت ليرحل، فالفجر ليس ببعيد، ثم إنهما وصلا إلى المكتب سـوية، وعند الخروج مـن المصعد افترقا وهما يتصافحان.

94

اتجه ماركوس في وقت متأخر من الصباح إلى ماكينة القهوة، وفي الحال لاحظ أن الموظفين يبتعدون عند مروره، لقد كان مثل موسى أمام البحر الأحمر، ربما تبدو الاستعارة مبالغا فيها، ولكن ينبغي أن نفهم ما كان يحدث. ماركوس، هو أيضا موظف، وبقدر ما هو حذر فهو كئيب، حيث كثيرا ما كان يقال إن كائنا من كان، كان يجد نفسه في ظرف يوم يخرج مع واحدة من أجمل النساء في الشركة، ولو لم تعد جميلة (ومن أجل عدم إفساد أي شيء من العمل الباهر، كانت هذه المرأة قد عرُفت كامرأة ميتة بالنسبة للإغواء)، ويتناول العشاء مع المدير، وقد رآهما الجميع يصلان معا في الصباح، بطريقة توحي بشكل محرض للقيل والقال، كان هناك الكثير لرجل واحد، كل الناس حيّوه، وألقوا عليه سؤالا: كيف الحال هذا اليوم؟ وهل الملف 114 يسير على ما يرام؟ وفجأة لم يكترث لهذا الملف الميئوس منه، ولم يعره اهتماما، حتى إن ماركوس، وهو في عز الصباح، كاد يبدي انزعاجه. كان التحول، الذي أضيف إلى ليلة بيضاء أكثر عنفا، كان وكأنه مقبوض عليه على حين غرة، قد أوجز في بضع دقائق سنوات من عدم الشعبية، بالتأكيد، لم يكن كل ذلك طبيعيا، حتما هنالك سبب، أمر ما مريب، كان يقال إنه مثل حيوان الخلد في خدمة السويد، ويقال إنه كان ابن أكبر المساهمين، ويقال إنه كان مريضا مرضا خطيرا، ويقال إنه مشهور جدا في بلاده بوصفه ممثلا في الأفلام السينمائية الخلاعية، ويقال إنه اختير ليمثل الإنسانية على كوكب المريخ، ويقال أيضا إنه الصديق المقرب لناتالي بورتمان.

95

تصريح إيزابيل إدجاني
في برنامج برونو ماسور التلفزيوني
في 18 يناير 1987

* * *

إن المرعب بالنسبة لي اليوم.. هو وجوب
المجيء إلى هنا لأقول «إنني لست مريضة».
مثلما كنت أقول «إنني متهمة بارتكاب جناية».

96

التقـى كل من ناتالـي وماركوس لتناول طعـام الغداء، كان متعبـا، لكن عينيه بقيتا مفتوحتين على وسـعهما. أما هي فلم تفهم بأن العشاء استمر الليل كله، ربما كانت الأمور تسير اليوم هكـذا معه؟ وأن أي شـيء لم يكن بالحسـبان، ربما أرادت أن تضحك، ولكنها كانت لا تحب كثيرا ما كانت تراه، كانت تشـعر بأنها متوترة، ومنزعجة بسـبب ما يحيط بهما من ضجيج، كان ذلـك يحيلها إلى دناءة الناس بعد دفن فرانسـوا، وإلى مظاهر الرأفة المرتكبة، ربما كانت نزوة، ولكنها ترى في ذلك ما يشـبه آثـار زمن من التعاون، كانت تقول في نفسـها وهي ترى بعض ردود الأفعال: لو كانت هناك حرب جديدة، لكان كل شـيء هو نفسـه، كان إحساسها مبالغا فيه، ولكن سرعة الإشاعة تستند

إلى حقد أكيد، كل ذلك كان يوحي لها باشمئزاز أثار صدى في تلك الحقبة المضطربة.

لم تفهم لِـمَ كانت حكاياتها مع ماركوس تثير اهتمام البعض! أبسـببه؟ أبسبب ما كان يكشفه؟ وهل يرى الآخرون أن المعاشرة معقولـة إلى حد مـا؟ ولكن ما هو غير معقـول هل هنالك أقل منطقية من الانسـجام؟ منذ آخر حديـث لها مع كلوئه، لم يهدأ غضب ناتالي، من يحسـبان نفسـيهما؟ كانت تحـول النظرات الصغيرة لكل واحد إلى نظرات عدائية، تقول:

- لقـد تبادلنا القُبل بصعوبة، وكان لـدي انطباع بأن الناس جميعا تمقتني الآن.

- أما أنا، فإن كل الناس معجبة بي!

- هذا خبث..

- يكفي أن الأمر سيّان عندي.

تحدق بقائمة الطعام، هذا مهم، تريدين سلطة الهندباء البرية بجبنة الروكفور أم حساء اليوم الطبق الأول؟ لا يوجد سوى هذا الخيار؟

كان على حق بالتأكيد، ومع ذلك، كان يتعذر عليها الاسترخاء، وكانت لا تدرك لماذا كانت تتصرف بطريقة عنيفة جدا، قد يتطلب بعض الوقت ليفهم بأن كل شيء كان له علاقة بولادة مشاعرها، وكان إحساسـا مدوّخا، كانت تحوله إلى إحساس عدواني، ضد الجميع، وضد شارل قبل كل شيء:

- تعرفـين أنني أفكر بذلك كثيرا، وكثيرا ما أقول إن ردة فعل شارل ردة مخجلة.

- أظن أنه يحبك وهذا كل ما في الأمر.

- وهذا ليس سببا لإثارة المهزلة معك.
- اهدئي، هذا ليس بالأمر الخطير جدا.
- لا أستطيع أن أهدأ، لا أستطيع.

لقد أعلنت ناتالي أنها ستمضي وتلتقي بشارل بعد الغداء لإيقاف تمثيل هذه الأمور. لم يفضل ماركوس إعاقة عزمها، وترك برهة من الصمت، قطعتها بهذا الاعتراف:

- اعذرني، كنت مثارة الأعصاب.
- هذا ليس بالأمر الخطير، ومن ثم أنت تعرفين أن ما هو راهن قد تطور بسرعة.. وفي خلال يومين لن يعود أحد يتكلم عنّا.. وصلت للتو سكرتيرة جديدة، أظن أنها ستنال إعجاب بيرتييه.. وعندئذ سترين..
- لن يكون نبأ مثيرا، إنه يقفز فوق كل شيء يتحرك.
- نعم، هذا صحيح، ولكن الأمر مختلف، أذكّرك بأنه تزوج للتو من المحاسبة.. ومن ثم ليس هنالك بدّ من مسلسل قصير.
- مع ذلك أظن، أنني تائهة.

لقد لفظت هذه الجملة بحرقة، ومن دون أدنى فترة انتقال، وبشكل غريزي تناول ماركوس كسرة الخبز، وأخذ يفتتها في يده.

سألته ناتالي:

- ماذا تفعل؟
- أقوم كما تقوم به الشخصية الرئيسة في حكاية «بوسيه الصغير»، فإذا ما كنت قد ضعتِ، فينبغي أن تتركي وراءك وفي طريقك فتاتا من الخبز، وهكذا، بوسعك الاستدلال على طريقك.
- من يرافقني هنا.. أتفترض أنت؟

- نعــم، اللهــم إلا إذا كنت جائعا، فأقرر تنــاول فتات الخبز بانتظارك.

97

خيار ناتالي بالنسبة للطبق الأول
أثناء الغداء مع ماركوس
حساء اليوم
(لم نســتطع الحصول على التفاصيل المتعلقــة بطبيعة هذا الحساء بالضبط)

98

لم يعد شــارل الرجل الذي أمضى الليــل مع ماركوس، ففي الصباح، اســتعاد رشده وندم على تصرفه، كان لما يزل يتساءل: لماذا فقد توازنه وهو يكتشــف الســويدي الآخــر؟ ربما لم يكن منبســط الأسارير، كان يعاني من هموم عديدة، ولكن ليس هذا هو الســبب الذي يدعــوه إلى التصرف هكــذا. وعلى الأخص أمام شــاهد كان خجلا، وهذا ما دفعه إلى أن يكون عنيفا. بدا عدوانيا مثل عاشق بعد ممارسة رائعة للحب، كان يشعر بأن كل دقائــق المعركة تتصاعد في أعماقه، أخذ يســتعرض عضلاته، ولكن في هذه اللحظة تحديدا، دخلت ناتالي إلى مكتبه، فنهض وقال بنبرة جفاء:

- كان عليك أن تطرقي الباب.

تتقدم نحوه، بالطريقـــة ذاتها التي كانت تتقدم نحو ماركوس لتقبّله، لكنها كانت تريد أن تصفعه.

- هو ذا، تمّ الأمر.

- ولكن هذا لا يمكن! أستطيع أن أطردك.

كان شارل يلامس وجهه، ثم كرر تهديده وهو يرتجف:

- أما أنا، فأســتطيع مهاجمتك إلى حد مضايقتك، أتريد أن أريك الرسائل التي بعثتها لي؟

- ولكن لماذا تتحدثين معي هكذا؟ إنني أكنّ لك الاحترام على الدوام.

- نعم، هيا مثّل علي مسرحيتك، وقل إنك تريد النوم معي.

- بصراحة، لم أفهمك.

- وأنا، لم أفهم ما الذي صنعته مع ماركوس.

- رغم ذلك، من حقي أن أتناول العشاء مع موظف!

صرخت:

- نعم، حسنا، هذا يكفي! هل هذا مفهوم؟

لقد جعلها ذلك مجنونة، ربما أرادت أن تطلق العنان لغضبها، كان رد فعلها مفرطا، كانت وهي تدافع عن منطقتها مع ماركوس تفضح اضطرابهـــا، هذا الاضطراب الذي كانت غير قادرة على تعريفـــه دائما. معجم لاروس يتوقف هنا حيث يبدأ القلب، وكان شـــارل ربما لهذا الســـبب قد توقف. في لحظة عودة ناتالي إلى الشـــركة، لقـراءة التعاريف، ليـس هنالك من شـيء يمكن قوله، ما عدا السماح لردود الفعل البدائية بأن تتكلم.

في الوقت الذي كانت تغادر فيه المكتب، أعلن شارل:

- لقد تناولت العشـــاء معه، لأنني كنت أريد أن أتعرف عليه..

أعرف كيف اســتطعت اختيار رجل قذر، عديم الشأن، أستطيع أن أفهم أنك ترفضينني، ولكن هذا، كما ترين، ما.. ما لا أستطع أن أفهمه أبدا.

- صه!

- مهمــا كنت تعتقدين بأنني ســأترك الأمــور الآن كما هي، أصبح لدي للتو عدد من المســاهمين، وبــين دقيقة وأخرى، فإن عزيزك ماركوس يتســلم عرضا مهما جــدا، عرضا يعد رفضه نوعــا من الانتحار، ســوى عائق بســيط، ذلــك أن الوظيفة في إســتوكهولهم، ولكن مع التعويضات التي سيحصل عليها، أعتقد أن التردد سيكون عابرا.

- أنت مثير للعواطف، وبخاصة أنه ما من شــيء يمنعني من الاستقالة لملاحقته.

- لا تستطيعين أن تفعلي ذلك! إنني أمنعك.

- ستؤلمني، حقا..

- أنت لا تستطيعين أن تفعلي ذلك مع فرانسوا.

حدقت به ناتالي بتركيز، أراد أن يعتذر في الحال، لأنه أدرك أنــه ذهب بعيدا جــدا، ولكنه لم يكن يعد يســتطيع أن يتحرك، وهي كذلك، لقد شلتهما العبارة الأخيرة هذه، وفي نهاية المطاف غادرت مكتب شــارل بهدوء، من دون أن تتبس ببنت شفة؛ وبقي وحده، مع يقين بأنه فقدها في النهاية. تقدم نحو زجاج النافذة، ليتأمل الفراغ أمامه، برغبة شديدة.

99

ذات مرة، وهي جالسة خلف مكتبها، تصفحت ناتالي تقويمها، نادت على كلوئه وطلبت منها أن تلغي كل مواعيدها.

- ولكن هذا غير ممكن! إذ يجب عليك إدارة اللجنة في خلال ساعة.

- نعم أعرف ذلك.

قاطعتها ناتالي.. حسنا سأدعوك فيما بعد.

لقد علقت كل شيء، وهي لا تعرف ما تفعل، لقد كان اجتماعا في غاية الأهمية. وكانت قد أمضت جلّ الوقت في التحضير له، ولكن من البدَهي ربما لم تعد تستطيع العمل في هذه الشركة، بعد كل ما جرى للتو، لقد تذكرت ولأول مرة أين كانت تأتي في هذه المبنى، كانت ما تزال في ريعان الشباب، وتتذكر الأيام الأوَل، ونصائح فرانسوا، ربما كان ذلك هو الأصعب في اختفائها، غياب مناقشاتهما المفاجئ والقاسي، موت هذه اللحظات التي يتحدث فيها المرء عن حياة الآخر أو يعلق عليها، كانت تجد نفسها وحيدة على حافة الهاوية، وتشعر بأن الوهن يفسدها، وبأنها كانت تمثل الكوميديا المؤثرة أكثر مما كان، وفي أعماقها هي بالذات، لم تكن مقتنعة بأنها تريد أن تعيش، كانت ما تزال تجرب قدرا من الإدانة، الإدانة المنافية للعقل، وهي تفكر بيوم الأحد الذي توفي فيه زوجها، كان ينبغي لها أن توقفه، وأن تمنعه من الذهاب لممارسة رياضته في الركض، ألم يكن هذا دور المرأة؟ محاولة منع الرجال من الركض، كان ينبغي أن توقفه وتقبّله وتمارس

الحب معــه، كان ينبغي أن تضع كتابها، وتقطع القراءة، بدلا من أن تسمح له بتحطيم حياتها.

كان الغضــب ينتابها حتى الآن، تأملت ثانية مكتبها برهة من الوقت، ثم ألقت بعض الأمور في حقيبتها، وأطفأت حاســوبها، نظّمت أدراج مكتبها، وغادرت المكان، كانت ســعيدة لأنها لم تلتقِ بأحــد، ولم تتلفظ بأي كلمة، كان يجب أن يكون هروبها صامتا. اســتقلت سيارة تاكسي، وطلبت من الســائق التوجه إلى محطة ســانت لازار، ثم ابتاعــت تذكرة، وفي الوقت الــذي انطلق فيه القطار، أجهشت بالبكاء.

100

مواقيت الانطلاق التي استقلتها ناتالي

من باريس – ليزيو

* * *

الانطلاق: الساعة 16.33 باريس - سانت لازار

الوصول: 18.02 ليزيو

101

أوقــف اختفاء ناتالي آلية كل طوابق المبنى بشــكل مباشــر، كان يجــب عليها أن تدير الاجتماع الفصلــي الأكثر أهمية، لقد رحلت من دون أن تترك أدنى تعليمات، ومن دون أن تخبر أحدا، كان البعــض يدمدم في الممرات، وينتقد قلة مهنيتها، وفي دقائق

معدودة هوت سمعتها بشكل يرثى له؛ هيمنة الحاضر على الشهرة التي حصلت عليها خلال عدد من السنين، وعندما عرف الناس جميعا علاقتها بماركوس، لم يتوقف أحد عن المجيء واللقاء به: «هــل تعرف أين يمكن أن تكـون؟»، كــان عليه أن يعـترف بــأنه لا يعلم، وهذا ما كان يجعله يكرر القول:

- كلا، ليــس لي أية علاقة خاصة بها، ولســت على ثقة من تيهانها.

كان مــن المؤلم أن تضطر إلى تبرير ذلــك، ومع هذا الحدث الجديد، ســيفقد للتو الهيبة المتراكمة منذ الفترة السابقة، كان وكأنه يتذكر فجأة أنه كان أكثر أهمية من ذلك، وكان هنالك من يتســاءل كيف يمكــن الاعتقاد، وقد يكون ذلــك في لحظة، بأنه استطاع أن يكون صديق ناتالي بورتمان الحميم.

حاول، في مرات عديدة الاتصال بها، ولكن من دون نتيجة، كان هاتفها مغلقا، لم يكن يستطيع العمل، استدار دورة، فكان الأمر ســريعا، وهو يرى ضيق مكتبهــا، ما العمل؟ كانت الثقة بالأيــام الأخيرة تتبدد بســرعة، وكان الغداء يمر برأســه في حلقــة تكرار، «الذي يهم، هــو أن تعرف أي طبق تتناول»، كان يتذكر أنه تلفظ هذا النوع من الكلام، كيف كان ممكنا أن تتكلم هكذا؟ ما كان عليك أن تحاول، لم يكن فخما، ومع ذلك فإنها نعــم ما قالت إنها كانت ضائعــة، أما هو، فقد كان يطفو فوق ســحابته، وكان قادرا على أن يقدم لها بعض الجمل الخفيفة، مثل: «بوسيه الصغير»! ولكن في أي عالم كان يعيش؟ بالتأكيد ليس في عالم فيه النساء يتركن له عناوينهن قبل أن يهربن. كل ذلك كان خطأه من دون منازع، كان يفزع النســاء فيهربن، وإذا

ما وجد واحدة، فإنها تذهب لتصبح راهبة، تستقل القطارات والطائرات لتغادر الهواء الذي كانت تستتشــقه. كانت مريضة في تصرفها الســيئ، الإحساس بالحب هو الإحساس بالإثم، وهنــا يمكــن أن تعتقد بأن كل جروح الآخــر تأتي من الذات، يمكن أن نفكر، ودائما من خلال الجنون، بحركة صانع الكون، حيث يكون المرء في مركز قلب الآخر، وإن الحياة تختصر إلى إناء مغلق بصمامات رئوية، كان عالم ماركوس هو ناتالي، وكان عالما كاملا وشــموليا، حيث كان فيه مسؤولا عن كل شيء ولا شيء في آن معا.

أما العالم البســيط فكان يعود إليه أيضا، وببطء، توصل إلى استعادة السيطرة على روحه، ومن أجل موازنة الأبيض والأسود أخــذ يفكر بكل رقة لحظاتهما، كانت رقة واقعية جدا، بحيث إن أحدا لا يمكن أن يمحوهــا. كان الخوف من فقدان ناتالي يضج فــي أعماقــه، وكان ضجره هو ضعفه، هــذا الضعف الذي كان يمكن أن يكوّن أيضا جاذبيته، وإذا ما ربطنا هذا الضعف، يمكن أن ننفــذ إلى قوته، لا يعرف ما يفعل، ولا يريد أن يعمل، لم يكن يعد يفكر بيومه بطريقة عقلانية، كانت تستبد به رغبة أن يكون مجنونا، أن يهرب هو أيضا، أن يستقل سيارة تاكسي ويصعد في أول قطار قادم.

102

ومن ثم اســتدعي إلى مكتب مدير الموارد البشرية، والحقيقة أن كل الناس كانوا يريدون أن يلتقوا به، لقد ذهب إلى هناك من

دون أدنى خشــية، انتهى الخوف من الســلطة، كل شيء لم يكن سوى بعض الترتيبات في بضعة أيام. استقبله بونيفان بابتسامة عريضة، وفكر ماركوس في الحال بأن هذه الابتسامة ما هي إلا ابتســامة قتل، إن ما هو جوهري بالنســبة لمدير الموارد البشرية هــو أن يكون بمظهر يليق بمهنتــه بوصفه موظفا يتصرف وكأنه يمارس حياته الاعتيادية. لاحظ ماركوس أن بونيفان كان يستحق مركزه الوظيفي:

- آه يا ســيد لونديل.. إنه لمن دواعي الســرور أن ألتقي بك، إنني أتابعك منذ وقت، كما تعلم..

أجاب، مقتنعا (بالمعنى الدقيق) بأن هذا الرجل كان يأتي من أجل اكتشاف وجوده:

- آه حسنا؟

- بالتأكيــد.. كل إجراء يهمني.. ويجب أن أعترف بأنني أكنّ لــك محبة حقيقيــة، لطريقتك التي لم تثــر أي غموض، وعدم الســؤال عن أي شــيء، والأمر في غاية البســاطة، فإن لم أكن منصفــا إلى حد ما، فإنني بالتأكيد قد لا أســتطيع أن أشــعر بحضورك في وسط شركتنا..

- آه..

- أنت الموظف الذي يحلم كل رب عمل بأن تكون في مؤسسته.

- هذا لطف منك، هل بوسعك أن تخبرني لماذا أردت مقابلتي؟

- آه، هذا كل ما في الأمر! الكفاءة، الكفاءة! لا نضيع الوقت! يا ليت أن كل الناس كانوا مثلك!

- وبالتالي؟

- حسنا.. بصراحة أريد أن أعرض عليك الموقف؛ تطرح عليك

الإدارة منصـــب مدير المجموعة، مع زيادة مهمة في الأجر، وهذا أمر بدهي، فأنت عنصر رئيس في إعادة الهيكلية الإستراتيجية لشـــركتنا.. ويجب أن أقول إنني لست مستاء من هذا الترفيع.. لأن الوقت قد مضى لإعلان دعمي له.

- شكرا.. لا أعرف ما أقول لك.

- عندئـــذ، بالتأكيد، سنســـهل لـــك كل الإجـــراءات الإدارية للانتقال.

- الانتقال؟

- نعم، لأن المكتب في إستوكهولم، في بلدك!

- ولكن لـــم يخطر ببالي أن أعود إلى الســـويد، إنني أفضّل وكالة العمل الوطنية في السويد.

- ولكن..

- لا اعتراض؟

- أجل، أظن أنك لا تملك خيارا.

لم يكلف ماركوس نفســـه عناء الإجابة، فغادر المكتب من دون أن ينطق بكلمة.

103

حلقة من المفارقات

تأسست في أواخر العام 2003، بهدف القيام بإبراز الرابطة الوطنية لمديري الموارد البشـــرية من الذين يمتهنون مهنة الموارد البشـــرية غير الأعضاء، وتجمع الحلقة مديري الموارد البشـــرية مرة واحدة خلال الشهر في دار الموارد البشرية لمناقشة المشكلة

التي تطرح على مديري الموارد البشرية الذين يتقلدون وظائفهم في قلب تناقضات الشـــركة. وتهدف هذه اللقاءات الشهرية لأن تكون في إطار مغاير للتقاليد؛ حيث يعالج فيها موضوع حساس، حول الأسلوب المهني المختل، ولكن في إطار مهني ولكنه محايد، والظرافة هي موضع ترحيب، ولكنها ليست بلغة متخشبة.

104

عـــادة كان ماركوس يقضي وقته في الممـــرات، فقد كان يعد هذه التنقلات ما يشـــبه الاستراحة، وكان بوسعه النهوض تماما ويقول: «ســـأمضي لتنشيط ســـاقيّ» عندما كان يخرج الآخرون ليدخنوا السجائر.

ولكن في هـــذه اللحظة، وبعد أن انتهت لحظة الكســـل، كان يندفع، وكان ذلك شـــيئا غريبا أن تراه يندفع هكذا، وكأن هنالك حقدا يدفعه، كان مثل سيارة ديزل، ربما هناك من تاجر بمحركها، فهناك شـــيء ما للمتاجرة عنده، لقد لمســـنا عروقه الحساسة، والأعصاب التي تذهب إلى القلب مباشرة.

دخـــل فجأة في مكتب مديره، تفحص شـــارل موظفه، ووضع يده بشـــكل غريزي على خده، بقي ماركوس واقفا لا يتحرك في وسط الغرفة، كاظما غيظه، فتجرأ شارل وقال:

- هل تعرف أين هي؟
- كلا، لا أعرف، توقف عن سؤالي تماما أين ناتالي، لا أعرف.
- عندي بعض الزبائن علـــى الهاتف، إنهم ثائرون، لا أصدّق

أنها استطاعت أن تفعل بنا ذلك!

- إنني أفهمها تماما.

- ماذا تريد مني؟

- كنت أريد أن أقول لك شيئين.

- بسرعة، إنني في عجلة من أمري.

- الأول، وهو أنني أرفض عرضك، وهذا مثير للرثاء بالنسبة لك، لا أعرف كيف تستطيع الاستمرار في التحديق بالمرأة.

- من قال لك إنني أحدّق؟

- حسنا، لا يهمني ما كنت تقوم به أو لم تقم.

- والثاني؟

- أقدم استقالتي.

ظل شارل مشدوها لسرعة رد فعل هذا الرجل الذي لم يتردد ولا لحظة، كان يرفض العرض، ويغادر الشركة، كيف استطاع أن يدير الموقف بهذه الطريقة السيئة؟ ومن ثم كلا.. ربما كان ذلك هو ما يريده؟ أن يراهما يهربان، بقصتهما المفجعة، كان شارل يستمر في مراقبة ماركوس، ولم يستطع أن يقرأ شيئا في وجهه، لأن على وجه ماركوس هذا النمط من الغضب الذي يتجمد، الذي يمحو كل تعبير يمكن قراءته، ومع ذلك شرع بالذهاب إليه ببطء وبحذر محسوب، وكأنه محمول بقوة مجهولة، وهكذا فإن شارل لم يستطع إخفاء خوفه، وهو خائف بشكل حقيقي.

- الآن، فأنت لست بمديري.. ويمكن لي..

لم يكمل ماركوس جملته، تاركا لقبضته تكمل مكانها، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يضرب بها شخصا ما، وندم لأنه لم يفعلها في وقت مبكر، ففي أغلب الأحيان كان يبحث عن كلمات

لمداراة الموقف.

صرخ شارل:

- هذا غير معقول! أنت مجنون!

اقترب ماركوس منه ثانية، وأبدى له حركة تهم بضربة ثانية، تقهقر شارل إلى الخلف، وجلس في زاوية مكتبه، وبقي وقتا طويلا خائر القوى في هذا الوضع بعد خروج ماركوس.

105

29 أكتوبر 1960 في حياة
محمد علي
لقد انتصر، في لويزفيل.
في أول مباراة احترافية
بالنقاط ضد توني هونساكر

106

عندما وصلت إلى محطة ليزيو، استأجرت ناتالي سيارة، وهي منذ مدة طويلة لم تقد سيارة، كانت تخشى ألا تجد السيارات الأوتوماتيكية، لم يكن الطقس حسنا، فقد بدأت الدينا تمطر، ولكنها شعرت ثانية بتعب شديد أكثر حتى في اللحظة التي لم يكن هناك من يخيفها، أخذت تسير بسرعة شيئا فشيئا، على الطرقات الضيقة، وهي تقول للحزن: صباح الخير. كان المطر يشوش رؤيتها، وفي خلال لحظات انعدمت الرؤية تقريبا.

عنـــد ذاك، كان هناك شـــيء ما قد حدث، ومضـــة لمدة ثانية، هكذا، في أثناء السير، رأت مشهد القبلة مع ماركوس، في الوقت الذي بدت لها الصورة، وهي لم تكن منشـــغلة بالتفكير به. وبعيدا عـــن ذلك، كانت الرؤية تفرض نفســـها بحدة، أخذت تســـتحضر اللحظات التي اقتسمتها معه، وهي تغذ السير، أخذت تلوم نفسها لأنهـــا رحلت مـــن دون أن تقول لـــه كلمة، لم تكن تعـــرف لماذا لم تفكر بذلك، كان هروبها ســـريعا، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تتـــرك فيها المكتب بهذه الطريقة، وكانت تعرف أنها لن تعود ثانية قـــط، وأن جزءا من حياتها يتوقف الآن. لقد حان الوقت لأن تتابع السير، ومع ذلك، قررت أن تتوقف في محطة الخدمة. ترجلت من الســـيارة، ونظرت إلى ما حولها، لم تكن تعرف شيئا، لقد أخطأت الطريق على الأرجح، كان الليل يهبط، وكانت هذه صحراء، وأكمل المطر هذه الثلاثية الكلاســـيكية من صور اليأس. أرســـلت رسالة إلـــى ماركوس، تماما، من أجل أن تقول له أين هي، وبعد دقيقتين، تسلمت: «سأستقل إلى ليزيو أول قطار، إذا كنت هناك فنعم الأمر وصار»، ثم رسالة ثانية على الفور: «هذه مجرد تقفية».

107

مقتبس من قبلة، حكاية
غي موباسان
هل تعرف من أين تأتي قوتنا الحقيقية؟
من القبلة، من القبلة وحدها! (.....) ومع ذلك فالقبلة، ليست سوى مقدمة.

108

ترجـل ماركوس مـن القطار، وهو أيضا، سـافر من دون أن يخبر أحـدا، كانا يمضيان ليجدا نفسـيهما مثل اثنين هاربين. في الجانب الآخـر من صالة المحطة رآها واقفة، أخذ يمشـي نحوها، بشـكل بطيء، وكان ذلك في فيلم إلى حد ما، كان يمكن أن نتصور الموسـيقى التي قد ترافق هذه اللحظة بكل سـهولة، ومن ثم عم الصمت، نعم، قد يكون الصمت، وربما لا نسمع سوى تصاعد أنفاسـهما، قد نستطيع أن ننسى حزن المنظر، وربما أن سـلفادور دالي لم تلهمه محطة ليزيو، كانت فارغة وباردة، وضع ماركوس علامة إعلان يمثل متحفا يعود إلى تيريز دوليزيو، وفي أثناء ما كان يتقدم نحو ناتالي، فكر: «عجبا، إنه لمن المذهل أنني كنت أفكر دائما بليزيو، على أنه كان اسمها العائلي...»، نعم، كنت أفكر حقا بذلك، وكانت ناتالي هناك، قريبة جدا مني، بشـفتيها صاحبتَـي القبلة، غير أن وجههـا كان مغلقا، وجهها كان محطة قطار ليزيو.

اتجها نحو السـيارة، جلسـت ناتالي في مكان المقود، وجلس ماركـوس في مكان المـوت، وانطلقت، لم يتبـادلا أي كلمة، كانا يشـبهان مراهقين لا يعرفـان ما يقولانه فـي أول موعـد لهما، لـم تكن لدى ماركـوس أي فكرة عن المكان الـذي هو فيه، وأية فكـرة عن المكان الذي يذهب إليه، كان يتابع ناتالي، وهذا يكفي بالنسبة له، وخلال لحظة، ولأنه لم يتحمل الفراغ، قرر أن يضغط على زر راديو السيارة، لقد كان على إذاعة نوستالجي (الحنين)،

فصدحــت أغنية (الحب الهارب) لـ آلان سوشــون عند ذاك في السيارة.

قالت ناتالي:

- أوه.. هذا لا يصدق!

- ماذا؟

- ولكن هذه الأغنية، يا للجنون، إنها أغنيتي.

حدق ماركوس براديو الســيارة برفق، فهذه الآلة ســمحت له أن يستأنف الحوار مع ناتالي، كانت تستمر بالقول في أية نقطة كــان المذهـل والجنون، وهــــل كانت تعني علامة؟ أي عـلامة؟ لم يكن ماركوس يســتطيع أن يعرف ذلك، كان مندهشا لحقيقة أن هذه الأغنية كانت مكتوبة عن رفيقها، ولكنه كان يعرف غرابة الحياة، والمصادفات، والتوافقات، الشــهود الذين جعلوك تشكك بالعقلية، في نهاية المقطوعة ســألت ماركوس أن يطفئ المذياع، كانت تريد أن تبقى معلقة بهذا اللحن الذي أحبته كثيرا، ما الذي اكتشــفته من هــذا الفيلم، الجزء الأخير مــن مغامرات أنطوان دوانيل؟ لقد ولدت في هذا الزمن، وهو شعور ربما من الصعوبة تحديده؛ ولكنها كانت تشــعر بأنها ولــدت من هذه اللحظة، كما يهرب هذا اللحن، طبيعته العذبة وأحيانا كآبته وخفته.. كل شيء كان متكامــلا في 1978، كانت أغنيتها، وكانت حياتها، ولم تكن تعود إليها مصادفة.

توقفت على حافة الطريق، كانت العتمة تمنع ماركوس من أن يرى أين هما، لقد ترجّلا، وعند ذاك لمح السياج المشبك الكبير، كان ســياج مدخل مقبرة، ثم اكتشــف أنه ليس كبيرا، وإنما كان واســعا، وهو نفســه من النوع الذي قد نســتطيع أن نجده أمام

سجن، ذلك أن الموتى قد حكم عليهم بالمؤبد بالتأكيد، ولكن يمكن أن نتخيله محاولة سيئة للهرب، عند ذاك شرعت ناتالي بالكلام:

- لقد دخل فرانسوا هنا، لقد أمضى طفولته في المنطقة.

- ...

- بالتأكيد لم يتحدث عني بشيء، إنه لم يكن يفكر إلا بالموت.. ولكنني أعرف أنه كان يريد أن يكون هناك.. على مقربة من المكان الذي كبر فيه.

قال ماركوس:

- أفهم.

- أنت تعلم، هذا مضحك، ولكنني أنا أيضا أمضيت طفولتي هنا، وعندما كنت ألتقي بفرانسوا، فقد كان ذلك جنونا من قبيل المصادفة، يمكن أن نتقابل مئات المرات في مراهقتنا، ولكننا لا نلتقي أبدا، وفي باريس التقينا، مثل ماذا.. عندما يجب أن تلتقي بشخص ما..

توقفت ناتالي عند هذه العبارة، لكن هذه العبارة استمرت في عقل ماركوس، عمَّ كانت تتكلم؟ القراءة المزدوجة للكلام كانت تشدد على رمز الموقف، لقد كانت كثافة فريدة، كانا هناك، كلاهما، جنبا إلى جنب، على بعد بضعة أمتار من قبر فرانسوا، على بعد بضعة أمتار من ماض لا ينتهي أبدا لكي لا ينتهي، كان المطر يتساقط على وجه ناتالي، بحيث إن المرء لم يكن يستطيع أن يفرق بينه وبين دموع ناتالي، وكان ماركوس يحدّق فيها، كان يعرف قراءة الدموع، اقترب منها وضمّها بين ذراعيه وكأنه يطوق الوجع.

109

الجزء الثاني من «الحب الهارب»
أغنية آلان سوشون
التي استمع إليها كلّ من ماركوس وناتالي في السيارة
نحن، نحن، لم نتحمل
بو، بو، هذا يسيل على خدك
نفترق ولا شيء نعلله
هذا هو الحب الهارب
الحب الهارب
لقد نمت فجاءني طفل يرتدي الدانتيلا
يروح ويجيء، ويتحرك. هذه هي لعبة طيور السنونو
قلِق، أفارق غرفتي المطبخ.
يمكن أن تدعى كوليت، أو أنطوان أو سابين
طوال حياتي، أركض وراء أشياء تهرب:
فتيات يتضوعن عطرا، وباقات دموع، وورد
وكانت أمي تضع خلف أذنيها أيضا
قطرة شيء ما كان يفوح بشيء لا مثيل له.

110

استأنفا الطريق ثانية، وكانت الانعطافة الكاملة للطريق قد أصابته بالذهول. في السويد، الطرق مستقيمة، تؤدي إلى مقصد

يراه الإنســـان، استسلم إلى حالة من الهدهدة بسبب الدوار، من دون أن يجرؤ على أن يسأل ناتالي إلى أين هما ذاهبان، هل كان ذلك محسوبا حقا؟ لقد كان من الشائع الحديث عن ذلك، ولكنه كان مســتعدا للحاق بها حتى نهاية العالم، هل كانت تعرف على الأقل إلى أين هي متجهة؟ ربما كانت تريد أن تركب الليل، وتسير وكأن الإنسان يريد أن يتناسى.

وفي نهايــة المطاف توقفت، وهذه المرة أمام باب مشــبك، هــل كان هذا هو موضوع تجوالهما؟ اختــلاف وتنوع الأبواب المشــبكة، ترجلت من أجل أن تذهــب لتفتحه، ثم صعدت في الســيارة، كانت كل حركة تبدو مهمة، في نظر ماركوس، تبتعد بطريقــة ذاتية، لأنه هكــذا يعيش المرء تفاصيــل ميثولوجيا شخصية. سارت الســيّارة على امتداد الطريق الضيق لتقف أمام بيت.

- نحــن عند بيت مادلين جدتي لأمي، فهي تعيش وحيدة منذ وفاة جدي.

أجاب ماركوس بطريقة مهذبة:

- يسرني اللقاء بها.

طرقــت ناتــالي الباب مرة.. مرتــين، ثم طرقته بقــوة، ولكــن لا شيء:

- إنها قليلة السمع، من الأفضل أن نقوم بدورة، بالتأكيد هي الآن في الصالة، وسترانا من النافذة.

ينبغي للدوران حول البيت أن نســلك طريقا موحلا بســبب المطر، تشــبث ماركوس بناتالي، لم ير شيئا مهما، ربما كانت قد ابتلت من الجانب! لا يوجد هناك طريق للمرور بين البيت وأوراق

الشجر المحشوة بالعليق.

انزلقت ناتالي، وهي تسحب ماركوس في سقطتها، فابتلا بالوحل والماء، لقد قام برحلات رائعة جدا، ولكن هذه الرحلة كانت مضحكة.

قالت ناتالي:

- من الأفضل أن ننتهي ونمشي على القدمين واليدين.

قال ماركوس:

- إنه لمن الممتع اللحاق بك.

وأخيرا وصلا إلى الجانب الآخر، شاهدا الجدة وهي تجلس أمام الموقد، لم تكن تقوم بعمل أي شيء، أذهلت هذه الصورة ماركوس، هذه الطريقة في جلوسها هنا، منتظرة، أو ناسية نفسها تقريبا. طرقت ناتالي النافذة، وفي هذه المرة سمعت الجدة، أنارت الضوء في الحال، وأسرعت لتفتح النافذة.

- آه يا عزيزتي.. ماذا تفعلين هنا؟ يا لها من مفاجأة جميلة!

- كنت أريد أن أراك.. ولذلك قمت بالدوران.

- نعم، أعرف، أنا متأسفة، لستِ الأولى! تعالي، سأفتح لك الباب.

- كلا، سنمر من النافذة، هذا أفضل.

قفزا من النافذة، وصارا أخيرا في مأمن.

قدمت ناتالي ماركوس إلى جدتها، ووضعت هذه يدها على خده، ثم استدارت نحو الفتاة الصغيرة وهي تقول:

- يبدو ظريفا.

ابتسم ماركوس ابتسامة عريضة، وكأنه يؤكد ذلك:

- نعم، هذا صحيح، إنني ظريف.

استطردت مادلين:

- أعتقد أنني أيضا تعرفت على شخص يدعى ماركوس منذ مدة طويلة، أو ربما يدعى بولوس.. أو شارل.. وأخيرا شيء ما كان ينتهي إلى عادات.. ولكنني لا أتذكر جيدا.

حلّ صمت محرج، ما الذي تفهم من «تعرفت»؟ التصقت ناتالي بجدتها، وهي تبتسم، وكان بوسع ماركوس، وهو يراقبهما أن يتصور ناتالي فتاة صغيرة، في الثمانينيات كانا هنا، معهما، وبعد لحظة سأل:

- أين يمكن أن أغسل يديّ؟

- آه نعم، تعال معي.

أمسكت به من يده الملطخة بالوحل، وقادته مسرعة إلى الحمّام، نعم كان ذلك، جانب الفتاة الصغيرة التي يستحضرها ماركوس، هذه الطريقة في الركض، وهذه الطريقة في أن يحيا المرء الدقيقة القادمة قبل الدقيقة الحالية. هنالك شيء جامح، لقد كانا أمام مغسلتين الواحدة جنب الأخرى، وكانا وهما يغسلان، يبتسم كلّ منهما للآخر ببلاهة، كانت هناك فقاعات، فقاعات كثيرة، ولكنها ليست فقاعات من الحنين، خمّن ماركوس:

- إنه أجمل تغسيل لليدين في حياتي.

كان ينبغي أن يبدلا ثيابهما، كان الأمر بالنسبة لناتالي سهلا، إذ لديها بعض الحاجات في غرفتها.

سألت مادلين ماركوس:

- ألديك ملابس لتبدلها؟

- كلا نحن سافرنا هكذا.

- بقرار مفاجئ؟

- نعم بقرار مفاجئ، هكذا.

وجـدت ناتالي أنهما كانا سـعيدين لاسـتخدام تعبير «قرار مفاجـئ»، كان يبدو عليهما أنهما متحمسـان لفكرة حركة غير متعمـدة، عرضت الجـدة على ماركوس أن يذهـب ويفتش في خزانـة زوجها؛ فقادته في ممر طويـل، وتركته وحيدا يختار ما كان يريـد، وبعد دقائق معدودة، ظهر وهـو يرتدي ملابس بنية فاتحة، ذات لون غير معروف، كانت ياقة القميص واسـعة جدا بحيـث إن المرء ليتخيـل أن رقبته كانت تضيـع الآن. هذا الزي المضحك، وغير اللائق لم يكن ليعيق أي شيء من مزاجه الرائق، كان يبدو سعيدا وهو يجد نفسه يرتدي الملابس هكذا، حتى إنه فكـر: إنني أحلق هنا في داخلها، ولكنني أشـعر بأنني في حالة جيدة. مضت ناتالي بضحكة متواصلة اسـتدعت بعض الدموع، لقد سالت دموع الفرح على الخدين اللذين جفّا بالكاد من دموع الألم، اقتربت مادلين منـه، ولكنه أحس بأنها كانت تتقدم كثيرا نحو الملابس أكثر مما تتقدم نحو الرجل، فخلف كل طية، هنالك ذكرى لحياة، بقيت للحظة قرب ضيفها، مندهشة لا تتحرك.

111

كانت الجدات، وربما لأنهن شـهدن الحرب، يمتلكن ما يكفي من الطعام لإطعام الفتيات اللواتي يصلن في المسـاء برفقة رجل سويدي.

- أتمنى أنك لم تكن قد أكلت، لأنني أعددت حساء.

سأل ماركوس:

- آه صحيح؟ ماذا؟

- إنه حســاء يوم الجمعة، لا أستطيع أن أوضح لك، نحن في يوم الجمعة، وعندئذ، فهذا حساء يوم الجمعة.

خلص ماركوس:

- إنه حساء من دون ربطة عنق.

عند ذاك اقتربت ناتالي منها:

- جدتي، إنه يتلفظ بأشياء غريبة، ينبغي ألا تقلقي منه.

- آه نعــم، كما تعرفين، إنني لا أقلــق منذ العام 1945، عند ذاك كان كل شيء على ما يرام، تعالي واجلسي.

كانــت مادلين بكامــل حيويتها، والحقيقة هنــاك فارق زمني بين الطاقة المبذولة من أجل إعداد العشــاء والرؤية الأولى لهذه المرأة المسـنّة التي تجلس أمــام الموقد. كانت هذه الزيارة تمدها بطاقــة حيوية، كانت تتهمك في المطبخ، رافضة المســاعدة على وجــه الخصوص، لقد كانت إثارة هذه المــرأة تثير عطف ناتالي وماركوس، فكل شيء كان يبدو بعيدا جدا الآن؛ باريس، الشركة، الملفــات، وكان الزمــن هو الآخر يفلت؛ كانــت بداية العصر في المكتب ذكرى بالأســود والأبيض، ووحده اسم الحساء «الجمعة» كان يتيح لهما البقاء راسخين إلى حد ما في واقع الأيام.

جرى العشاء ببساطة، بصمت، في بيت الأجداد، ومن الملاحظ أن الســعادة المذهلة لرؤية الأحفــاد لا ترافقها بالضرورة خطب طويلة، يســأل المرء نفســه كيف الحال، وبسرعة يستريح راضيا وعلى وفاق مع نفســه، بعد العشاء ساعدت ناتالي جدتها بغسل الأواني، وتســاءلت: لماذا نســي إلى أي درجة يمكن للبساطة أن تكون هنا؟ كانت كل ســعادتها قريبة العهد قد اتهمت على الفور

بفقدان الذاكرة، وكانت تعرف أنها تمتلك الآن القوة لاستعادتها.

في الصالة، كان يجلس ماركوس يدخن سيجارا، وهو الذي كان يتحمل بالكاد السيجارة، أراد أن يجعل من مادلين مسرورة.

- إنها تعشق أن يدخن الرجال السيجار بعد تناول وجبة الطعام، لا تحاول أن تفهم، أنت تجعلها تحس بالمتعة، وهذا كل ما في الأمر.

همست ناتالي في الوقت الذي كان ماركوس لديه الجواب على دعوة بنفثات الدخان الحلزونية. لقد أعلن عن رغبة عارمة بالسيجار، مبديا حماسة لا معنى لها، غير أن مادلين لم تر في ذلك سوى النار، هكذا، كان ماركوس يمثل دور الرئيس في بيت على الطراز النورماندي، لقد أصابته الدهشة من شيء، ذلك أنه لم يصب بصداع، والأسوأ من ذلك كان يشرع في تذوق طعم السيجار، الرجولة تترنح فيه، وهو بالكاد مندهش لأنه هنا، كان يختبر هذا الإحساس المفارق لفهم الحياة بقوة عبر نفحات سريعة الزوال، بهذا السيجار، إنه ماركوس العظيم.

كانت مادلين سعيدة وهي ترى ابتسامة حفيدتها، لقد كانت تبكي كثيرا إبان موت فرانسوا؛ لم يمر يوم واحد من دون أن تفكر به. كانت مادلين قد شهدت مآسي عديدة في حياتها، ولكن هذه المأساة هي الأعنف، كانت تعرف أن عليها أن تتقدم، وأن الحياة تنهض على الاستمرار في العيش على وجه خاص. عند ذاك خففت عنها هذه اللحظة بشكل عميق، ومن أجل عدم إفساد أي شيء، كانت تكن تعاطفا غريزيا حقيقيا إزاء هذا السويدي.

- إنه من طينة طيبة.

- آه حسنا، كيف ترينه؟

- أحس به بالغريزة طينته عجيبة.

قبّلت ناتالي جدتها مرة أخرى، كان وقت النوم قد حان، أطفأ ماركوس سيجاره وهو يتكلم مع مادلين:

- النوم هو الطريق الذي يقود إلى حساء يوم غد.

كانت مادلين تنام في الأسـفل، ذلك أن تسـلق السلم يتعبها، بينمـا كانت الغرف الأخرى موجودة فـي الطابق الآخر، حدقت ناتالي بماركوس:

- إنها لا تريد أن تزعجنا، هكذا.

كان يمكـن أن تكـون لهذه العبارة دلالة، أو تلميح جنسـي أو مجرد إعطاء ذريعـة؛ غدا صباحا، يمكن أن أنام بهدوء، لم يكن ماركـوس يريد أن يفكر هل كان يذهب، نعـم أم لا، للنوم معها؟ كان يريـد النـوم بالتأكيد، ولكنه يدرك أنه كان عليه أن يتسـلق درجات السـلّم من دون أن يفكر بذلك، ودفعة واحدة وجد نفسه في الأعلى، لقد ضربته البلادة مرة أخرى، فبعد طريق سـلكته السـيارة، وبعد الطريق الثاني للدوران حـول البيت، كانت هذه هي المرة الثالثة التي شـعر بنفسه أنه في مكان ضيق، ففي هذا الـرواق الغريب أبواب عدة، ومثلها عدد من الغرف، كانت ناتالي تروح وتغدو، من دون أن تتكلم بشيء، لم تعد هنا كهرباء في هذا الطابق، أشعلت الشـمعتين الموجودتين على طاولة صغيرة، كان وجهها برتقالي اللون، ولكن سـرعان ما أشـرقت الشمس بدلا مـن غروبها، كانت هي أيضا مترددة، كانـت مترددة حقا، كانت تعـرف أن عليها هي أن تتخذ القرار، حدقـت بالضوء، بعينيها على التوالي، ثم فتحت الباب.

112

أغلق شـــارل الباب، إنه في حالة أخــرى، ويمكن أن يبتكر حالة ثالثة، طالما كان يشــعر بأنه بعيد عن جســـده، فمن جراء الضربات التـــي تلقاها، توجد هنالك كدمات في وجهه، وكان يعرف أنه يدعو للرثـــاء، وأنه كان يغامر في الأغلب إذا ما علمنا أنه من أعلى مكان سويدي يريد نقل موظف لأســـباب خـاصة، ولكـن لا بأس، هنالك فرص قليلة لكي يتعلم، لقد كان مقتنعا بأن أحدا لن يراه ثانية، ذلك أن لهربـــه رغبة حازمة، وبالتأكيد فإن ذلك كان يجرحه أكثر من أي شـــيء آخر، عدم رؤية ناتالي أبدا، كل ذلك كان بسبب خطئه، لقد تصرف بطريقة مجنونة، فكان يلوم نفســـه لوما كثيرا، كان يريد أن يراها لثانية واحدة، يحاول أن يعتذر، ويحاول أن يكون مثار عطف، يريد أن يجد الكلمات أخيرا التي بحث عنها كثيرا، العيش في عالم تتـــاح له فيه فرصـــة أن يكون محبوبا من ناتالـــي، عالم من فقدان الذاكرة العاطفية، حيث بوسعه أن يلتقي بها ثانية لأول مرة.

كان يسير في صالته، ثم وبنظرة لا يمكن تفاديها، وجد نفسه أمام زوجته تجلس على الأريكة، كان هذا المشهد في المساء وكأنه كان متحفا فيه لوحة واحدة.

قال:

- هل أنت بخير؟
- نعم بخير، وأنت؟
- أما كنتِ قلقة؟
- لماذا؟

- ولكن بالنسبة لهذه الليلة.
- حسنا، لا.. ما الذي حدث في هذه الليلة؟

لم تلتفت لورانس عمليا، لقد كان شارل يتكلم من خلف زوجته، أدرك للتو بأنها لم تتوه إلى غيابه في الليلة السابقة، وأنه ليس هناك أي فرق بينه وبين الفراغ، كان أمرا لا يمكن أن يسبر غوره، أراد أن يضربها لكي يوازن عدد اعتداءات ذلك اليوم، أراد أن يرد لها صفعة من الصفعات التي تلقاها، لكن يده بقيت معلقة للحظة. أخذ يراقبها، يده هناك، معلقة في الهواء، وحيدة، وعلى حين غرة أدرك أنه لم يكن يعود باستطاعته فقدان الحب، وأنه كان يختنق وهو يعيش في عالم جاف، لم يكن هناك من يحتضنه بين ذراعيه، وما من أحد كان يبدي أدنى علامة عطف إزاءه، لم كان ذلك هكذا؟ لقد نسي وجود البهجة، فكان بعيدا عن الرقة.

نزلت يده ببطء، ووضعها على شعر زوجته، شعر بأنه في حالة متأثرة تأثرا حقيقيا، من دون أن يعرف لماذا كان الانفعال يطفح هكذا. قال في نفسه إن زوجته تمتلك شعرا جميلا، ربما كان ذلك. أنزل يده مرة أخرى ليلمس رقبتها، وعلى بعض من حراس جلدها كان يمكن أن يشعر ببقايا ما مضى من قبلاتها وذكريات حميميتها، كان يريد أن يجعل من رقبة زوجته نقطة انطلاق لكل غزوات جسده، استدار حول الأريكة ليتموضع أمامها، جثا على ركبتيه، وحاول أن يقبّلها.

قالت بصوت غير واضح:

- ماذا تفعل؟
- بي رغبة إليك.
- الآن؟
- نعم الآن.

- أنت تأخذني على حين غرة.

- وثم ماذا؟ ينبغي أن أتوسّل موعدا لكي أقبّلك.

- كلا.. أنت أحمق.

- وأنت أتعرفين من ذا الذي سيكون لطيفا أيضا؟

- أليس كذلك؟

- أن نرحل إلى البندقية. نعم، سأعدّ للتو لذلك.. نذهب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معا.. هذا أحسن.

- .. أنت تعرف أنني أشعر بدوار البحر.

- وماذا بعد؟ هذه ليست مشكلة.. البندقية نذهب إليها بالطائرة.

- أقول ذلك بالنسبة للزوارق الفينيسية. إنها لخسارة إذا لم يستطع المرء أن يركب الزورق الفينيسي، ألا ترى ذلك؟

113

رأي الفيلسوف البولوني الثاني

وحدها الشموع تعرف سر الاحتضار.

114

دخلت ناتالي الغرفة التي كانت اعتادت النوم فيها، تقدمت لإشعال الشموع، ولكنها كانت تستطيع التقدم في الظلمة لأنها كانت تعرف زوايا الحجرة تماما، كانت تقود ماركوس الذي كان يسير إثرها، وهو ممسك بأردانها، كانت ظلمة أكثر سطوعا في

حياتها، كان يخشى من أن سعادته، بعد أن صارت أكثر حيوية، أن تحرمه من كل قدرة، ومن النادر أن تصيبه الإثارة المفرطة بالشلل، كان عليه ألا يفكر بذلك، وأن يترك نفسه للإثارة خلال كل ثانية، كل نفحــة نفس مثل عالم. وضعت ناتالي الشــموع على الطاولة الليلية، فوجدا نفسيهما، وجها لوجه، في حركة مؤثرة لظليهما.

وضعت رأســها على كتفه، داعبها من شعرها، ربما بإمكانهما أن يبقيا هكذا، كانا يعيشــان قصة النوم وقوفــا، ولكن كان الجو باردا، وكانت أيضا برودة الغياب، زد أنّ شخصا لن يأتي هنا، كان هذا المكان أشــبه بمكان ينبغي فتحه واســتعادته ثانية، حيث فيه كان ينبغي أن يضيــف من الذكرى إلى الذكرى، تمدّدا تحت الغطاء، وكان ماركوس يســتمر من دون كلل بمداعبة شــعر ناتالي، كان يحبه حبا جما، كان يريد أن يتعرف عليه شــعرة شعرة، ويعرف قصته وتفكيره، كان يريد أن يقوم برحلة في شعرها، وكانت ناتالي تشعر بأنها في حالة جيدة مع رقة هذا الرجل الذي كان يريد عدم المخاطرة بالموقف، ومع ذلك كان يحاول، كان يجردها من ثيابها الآن، وقلبه يخفق بقوة غريبة.

كانــت عاريــة الآن، ملتصقة بــه، وكان تأثيرها قويــا بحيث إن حركاتهــا بطيئــة، البطء الذي كان يأخذ شــكل التراجع إلى الوراء تقريبا، ولما كان منهكا بسبب القلق الهائل، صار مشوشا، كانت تحب هذه اللحظات التي كان فيها يتخبط، وفيها يتردد، كانت تدرك أنها تريد ذلك أكثر من أي شــيء، العثور على الرجال من خلال رجل لم يكن بالضرورة معتادا على النســاء، إنهما يكتشفان معا ثانية طريقة استعمال العاطفة، هنالك أمور مريحة جدا لفكرة أن تكون معه، ربما كان فخورا أو ســطحيا، ولكنه كان يبدو لها أن هذا الرجل ســيكون ســعيدا معها، فلديها شــعور بأنهما معا ســيكونان في حالة ثابتة

ومســتقرة، وأن ما من شيء يمكن أن يحدث، وأن المعادلة الجسدية كانــت هي الترياق ضد الموت، كل ذلك، كانت تفكر به كنتف من دون أن تكون متأكدة. كانت تعلم تماما أنها كانت اللحظة المناســبة، وأنه في هذه المواقف، يبقى الجســد هو من يقرر، كان يلتصق بها وكانت تتشبث به، كانت الدموع تسيل طوال أيامها، وهو يقبل دموعها ومن قبلاته هذه تولد دموع أخرى أيضا، هي دموعه هذه المرة.

115

بداية الفصل السابع من ماريل

لخوليو كورتازار

الكتاب الذي قرأته ناتالي في بداية هذه الرواية.

«ألامس شــفتيك، ألامس بالسبابة حافة شفتيك، أرسم فمك وكأنه كان يولد من يدي، وكأنه مفتوح قليلا لأول مرة، ويكفي أن أغمض عيني لأتراجع وأبدأ ثانية، إنني أجعل من الفم الذي أريد يولد كل لحظة، الفم الذي تختاره يدي وترسمه على وجهك، فم تم اختيــاره من بين الجميع، اخترته أنا بحرية مطلقة لأرســمه بيدي على وجهك، والذي يتوافق تماما بالمصادفة التي لم أفهمها، مع فمك الذي يبتسم تحت الفم الذي ترسمه يدي لك».

116

كان الوقــت لا يزال فجرا، قد يظــن البعض أن الليل لم يكن موجودا، كان كل من ناتالي وماركوس يتناوبان لحظات الاستفاقة

والغفوة، وهما يمزجان الحدود بين الحلم والحقيقة.

قالت ناتالي:

- أود أن أذهب إلى الحديقة.

- الآن؟

- نعم، سترى، عندما كنت صغيرة، كنت أتردد عليها دائما في الصباح، ففيها جو غريب عند الفجر.

نهضا بسرعة وارتديا ملابسهما ببطء (وربما كان ذلك على العكس)، فأخذا يتأملان نفسيهما ويكتشفانهما تحت الأضواء الباردة، كان أمرا اعتياديا. هبطا السلّم من دون إثارة صوت، لكي لا يوقظا مادلين، وهو حذر لا جدوى منه، لأنها لم تكن تنام عندما يكون لديها زائر، ولكنها لم تكن تذهب تشوش عليهما، كانت تعرف مزاج ناتالي وذوقها من أجل هدأة الصباحات في الحديقة (كل واحد له طقوسه)، وطوال كل الأوقات، كانت تأتي إلى هنا في كل مرة، كانت تذهب لتجلس على المصطبة ما إن تفتح عينيها، إنهما كانا في الخارج. توقفت ناتالي لتتفحص كل تفصيل، كان يمكن للحياة أن تتقدم، ويمكن للحياة أن تصاب بالعطب، ولكن هنا لم يكن يتحرك شيء ونعني بذلك المحيط الذي لا يقبل التغيير.

جلسا، كانت هناك حقيقة عجيبة بينهما، حقيقة المتعة الجسدية، الشيء الذي كان عجيبا في الحكايات، واللحظات المحلقة نحو الكمال، الدقائق التي حفرت في ذاكرتها في اللحظة ذاتها التي عاشاها، والثواني التي تعدّ مستقبل ما نملكه من حنين.

همست ناتالي:

- أشعر بأنني في حالة حسنة.

وكان ماركوس سعيدا بحق، نهضت، حدّق فيها وهي تمشي

أمام الأزهار وأمام الأشـــجار، كانت تروح وتجيء ببطء، في حلم يقظـــة عذب، تاركة يدها تلمس كل شـــيء عنـــد متناولها، كانت علاقتهـــا بالطبيعة هنا علاقة ألفة كبيـــرة، ثم توقفت تماما إلى جنب شجرة:

- عندمـــا كنت ألعب لعبة الغميضة مع أولاد عمي، كان ينبغي أن أقف جنب هذه الشجرة لأعدّ، كان العد طويلا، كان يصل إلى 117.

- لماذا 117؟

- لا أعرف! هنالك من قرر هذا الرقم، هكذا.

اقترح ماركوس:

- أتريدين أن نلعب الآن؟

ابتســـمت له ناتالي، كان يعجبهـــا أن يقترح عليها اللعب، فأخذت مكانا جنب الشجرة، وأغمضت عينيها، وأخذت تعد، وذهب ماركوس بحثا عـــن مخبأ جيد، إنها لرغبة غير مجديـــة؛ كان هذا هو ميدان ناتالـــي، عليها أن تعرف أفضل الأماكن، أمـــا هو، فكان وهو يبحث، يفكر بكل زواياها التي كانت تختبئ فيها سابقا، كان يمشي عبر أزمنة ناتالـــي. في الســـابعة كانت قد قررت الوقوف خلف هذه الشـــجرة، وفي الثانية عشـــرة توارت تماما في هذا الدغل، وفي زمن المراهقة، تخلت عن لعب طفولتها، وكانت تمر أمام أشجار العليق مستاءة، وفي الصيـــف التالي، حيث صارت امرأة في ريعان الشـــباب كانت تجلس على هذه المصطبة، بوصفها حالمة وشاعرة، والأمل الرومانتيكي يملأ قلبهـــا، لقد تركـــت حياتها وهي امرأة في ريعان الشـــباب آثارا على أماكـــن عديدة، وعليه فهل مارســـت الحب خلف هـــذه الأزهار؟ لقد كان فرانسوا يركض وراءها، وهو يحاول أن يخلع قميص النوم الذي

ترتديـــه، مـــن دون أن يثير صخبـــا كي لا يوقظ جدّيها، آثار ســـباق محمـــوم وصامت عبر الحديقة، ثم أمســـك بها، لقـــد كانت تحاول مقاومته، من دون أن تبدي مصداقية، كانت تدير رأســـها، وهي تحلم بقبلاته. لقد كانا يسافران كثيرا، ومن ثم وجدت نفسها وحيدة، أين كان؟ أكان يختفـــي في مكان ما؟ لم يعد هنا، ولن يعود إلى هنا أبدا، في هذا المكان، لم يعد هنالك عشـــب، لقـــد كانت ناتالي ممزقة من جراء الغضب، هنا، كانت خائرة القوى، لســـاعات، حتى إن محاولات جدتهـــا من أجل إدخالها إلى البيت ذهبت ســـدى، كان ماركوس وهو يمشـــي في هذا المكان تحديدا يـــدوس على آلامه، يجتاز دموع حبه، وكان يمشـــي، وهو مســـتمر بالبحث عن مخبئها، مـــارا بكل الأماكن التي كانت ناتالي تذهب إليها، وفيما بعد، هنا وهناك، كان في حالة متأثرة وهو يتصور امرأة مسنّة ربما ستكون هي.

وهكذا، في وسط كل مراحل الحياة من عمر ناتالي، حيث وجد ماركوس مكانا يختفي فيه، وشعر بأنه ما زال صغيرا، لقد كان شيئا غريبا بالنســـبة لهذا اليوم الذي كان يشـــعر فيه بأنه كبير أكثر من أي وقت مضى. كانت الغرائز من الضخامة بمكان وهي تســـتيقظ في كل مكان من جسده، وذات مرة وهو في مكانه أخذ يبتسم، كان سعيدا وهو ينتظرها، وأكثر سعادة في انتظار أن تكتشفه.

117

فتحت ناتالي عينيها..

النهاية



كامل عويد العامري

- مواليد 1953.
- بكالوريوس لغة فرنسية من كلية اللغات بجامعة بغداد 1998.
- يعمل أديباً وكاتباً ومترجماً.
- عضو اتحاد الأدباء والكتّاب في العراق في العام 1976.
- عضو اتحاد الصحافيين العرب.
- لـه العديد من المؤلفات والكتب المنشورة، منها: «الحب في زمن الكوليرا» (رواية لـ غارسيا ماركيز) بغداد 1987، «اسم الوردة» (رواية أومبرتو أيكو) دار سينا القاهرة 1995، «المجري» (مسرحية للشاعر مارين سوريسكو) جامعة بوخارست 1998، «قصائد حب غنائية» (ميهاي أيمينسكو) دار إبداع 1999.
- حاز العديد من الأوسمة والشهادات التقديرية، منها: وسام إيمينسكو الثقافي مع شهادة تقديرية في الترجمة من دولة رومانيا 2000.



ليلى عثمان فضل

- مواليد 1950.
- عملت أستاذة جامعية في قسم اللغة الفرنسية بجامعة الكويت.
- حاصلة على شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه في آداب اللغة الفرنسية.
- حضرت العديد من الدورات التدريبية الأكاديمية في كل من جامعة الكويت وفرنسا.
- شاركت في لجان إعداد مناهج مقرر اللغة الفرنسية في جامعة الكويت.
- قامت بإدخال تدريس اللغة الفرنسية عن طريق الكمبيوتر وعن طريق استخدام الإنترنت عام 1998.

ما صدر من هذه السلسلة

314	حياة إنسان	تأليف : ليونيد أندرييف
315	دون كيشوت	تأليف : ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف : كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف : خلدون طائر
318	نون و القلم	تأليف : جلال آل أحمد
319	سيري سامبيجي	تأليف : تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف : جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف : ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف : ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف : رولان بارت
325	لون الماء	تأليف : جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف : أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف : اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف : بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف : بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار - الجرة المكسورة	تأليف : جونتر جراس
333	شمل تشابه ضائع	تأليف : هاينرش فون كلايست
334	حكايات الهنود الأمريكيين و أساطيرهم	تأليف : أندريه شديد
335	زهرة الصيف	تأليف : فلاديمير هلباتش
336	طام - طام زنجي	تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين
337	اليبروح	تأليف : ليوبولد سيدار سنغور
338	منزل النور	تأليف : نيكولو ماكيافللي
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف : جوهر مراد
340	أناتول وجنون العظمة	تأليف : تشنوا أشيبي
341	غرام ميتيا	تأليف: أرتور شنيتسلر
342	آرنجندن والحارس الليلي	تأليف: إيفان بونين
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: فيمي أوسوفيسان
344	مدرسة الدكتاتور	تأليف: تنغ - هسنغ يي
345	رسائل عيد الميلاد	تأليف: إيريش كستنر - تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك	تأليف: سليمان جيغو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف: فريدريش شيللر
348	حكايات وخرافات أفريقية (2) الأدغال والسهول العشبية تحكي	تأليف: سليمان جيغو ديوب

ما صدر من هذه السلسلة

ما صدر من هذه السلسلة

374	مختارات من الشعر الإيراني الحديث	تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين
375	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	تأليف: بول بولز
376	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	تأليف: بول بولز
377	«الأسيرة» (مختارات من ديوان شعر)	تأليف: فروغ فرخزاد
378	شارع بريك لين (الجزء الأول)	تأليف: مونيكا علي
379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)	تأليف: مونيكا علي
380	الطريق (رواية)	تأليف: كورماك مكارثي
381	مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية	تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك
382	عشيق الصين الشمالية (رواية)	تأليف: مارغريت دوراس
383	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الأول)	تأليف: إرنست همنغواي
384	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثاني)	تأليف: إرنست همنغواي
385	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثالث)	تأليف: إرنست همنغواي
386	النمر الأبيض (رواية)	تأليف: آرافيند آديغا
387	موطن الألم (رواية)	تأليف: دوبرافكا أوجاريسك
388	فيلا أماليا (رواية)	تأليف: باسكال كينيارد
389	الإحساس بالنهاية (رواية)	تأليف: جوليان بارنز
390	ياسمينة (وقصص أخرى)	تأليف: إيزابيل إبرهاردت
391	المغامرة الغامضة (رواية)	تأليف: شيخ حامد كَان
392	الرجال الذين يحادثونني (رواية)	تأليف: أناندا ديفي
393	أنطولوجيا القصّة الإيرانية الحديثة	تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين
394	حكايات حكماء أفريقيا وأسطورة نجدو ديوال	تأليف: أمادو همباطي با
395	خرائط (رواية)	تأليف: نور الدين فرح
396	إله الصدفة (رواية)	تأليف: كريستن توروب
397	أزهار عباد الشمس العمياء (رواية)	تأليف: ألبرتو ميندیس
398	الأبدية بعيدة جدا (وقصص أخرى)	تأليف: تيه نينغ
399	اذهب حيث يقودك قلبك (رواية)	تأليف: سوزانا تامارو
400	الحضارة أمي (رواية)	تأليف: إدريس الشرايبي
401	فنان الاختفاء (ثلاث روايات قصيرة)	تأليف: أنيتا ديساي
402	عيناها (رواية)	تأليف: بزرگ علوي
403	السباحة إلى المنزل	تأليف: ديبورا ليفي



قسيمة الاشتراك

البيان	إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقداً/ شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / ٢٠٠م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت



الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ – الحرة – قسيمة 34 – الكويت – الشويخ – ص ب 64185 – الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	+971 242629273	+971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية – الرياض – حي المؤتمرات – طريق مكة المكرمة – ص ب 62116، الرمز البريدي 11585	+966 (01) 2128000	+966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية – دمشق – البرامكة	+963 112127797	+963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية – القاهرة – 6 شارع الصحافة – ص ب 372	+202 25782700- 25782632	+202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب – الرباط – ص ب 13683 – زنقه سجلماسه – بلفدير – ص ب 13008	+212 522249200	+ 212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس – ص ب 719 – 3 نهج المغرب – تونس 1000	+216 71322499	+216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان – بيروت – خندق الغميق – شارع سعد – بناية فواز	+961 1666314/5 01 653259	+ 961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية – صنعاء	+967 2/3201901	+ 967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان – تلال العلي – بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	+962 65300170 - 65358855	+ 962 65337733
البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	——	+973 17 617733	——
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص ب 473 – مسقط – الرمز البريدي 130 – العذيبة – سلطنة عُمان	+968 24492936	+24493200968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر – الدوحة – ص ب 3488	+974 4557809/10/11	+ 974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله – عين مصباح – ص ب 1314	+970 22980800	+ 970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان – الخرطوم – الرياض – ش المشتل – العقار رقم 52 – مربع 11	+2491 83242702	+ 2491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	+213 (0) 31909590	+ 213 (0) 31909328
العراق	شركة الظلال للنشر والتوزيع	——	+964700776512 780662019 +964	——
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 – 3258	+ 1718 4725488	+1718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	+ 44 2087499828 + 44208 7423344	+44208 7493904
ليبيا	شركة الناشر الليبي	——	+218 217297779	-----


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب



دافيد فونكينوس

- روائي فرنسي.. ولد في باريس 28 أكتوبر عام 1974.
- درس الآداب في السوربون، وترجمت رواياته إلى أكثر من خمس وثلاثين لغة، ومن أهم رواياته:

1 - الطاقة الأيروسية لزوجتي - عن دار غاليمار 2004، حصدت جائزة روجيه – نيمييه.

2 - قلوب حرة - عن دار غراسيه، 2006.

3 - انفصالنا - عن دار غاليمار، 2008، وفي عام 2010 صدرت عن فوليو.

4 - الرقة – عن دار غاليمار، 2009، وحصدت أكثر من عشر جوائز.

5 - شارلوت– عن دار غاليمار، 2014

6 - اقتبست روايته (الرقة) لعمل سينمائي بالتعاون مع شقيقه ستيفان، وظهرت كفيلم عام 2011.

- حصل على عدد من الجوائز، ومنها: جائزة دون 2010 عن رواية (الرقة).

الرِّقّة

استطاع الكاتب دافيد فونكينوس أن يجعل من قصة بسيطة رواية ذات امتداد إنساني في معالجة الأحداث، من خلال تقنيات السرد العجائبية، وتقنيات السينماغرافيا، في طريقة متابعة الشخصيات، وكأن القارئ يحمل كاميرا في متابعته لتحركات وانتقالات الشخصيات الروائية، لنجد بين الفصول واللحمة السردية أحاديث بوح ذاتية تضيف لمسة من الخيال لا يمكن تجاهلها.

«وتخيل أن تطلب قهوة من دون كافيين، أنهضُ، وأمضي. ليس من حق أحد أن يشرب القهوة من دون كافيين في مثل هذا النوع من المواعيد. إنه الشراب الأقل ودّية مما يكون. أما الشاي فمن النادر أن يكون هو الأفضل. لقد التقيا بالكاد ومنذ الآن يقيم في نوع من الشرنقة الهشة إلى حد ما. يشعر المرء بأنه سيقضي أيام الآحاد بعد الظهيرة في مشاهدة التلفزيون، وفي أسوأ الأحوال في بيت والدَي الزوجة. نعم إن الشاي هو ما يضفي على جو العائلة نوعاً من المرح من دون منازع. إذن بماذا؟.. يمكن للمرء أن يخشى من امرأة تتناول الشراب جرعة واحدة. كان فرانسوا يواصل انتظار ما تختار لتشربه، وهكذا كان يتابع تحليله للمشروب لأول انطباع نسائي، ما الذي بقي الآن؟ الكوكا كولا، أو كل أنواع الصودا.. كلا، ليس ممكناً، فهذا لا يثير اهتمام أي امرأة إطلاقاً، الأحرى أن يطلب شيئاً زهيداً، ما دامت هي هنا، وأخيراً حدّث نفسه عن عصير، فهذا سيكون مناسباً، أجل عصير، إنه ممتع، إنه مناسب وليس عدوانياً كثيراً، يشعر المرء بالفتاة رقيقة ومتزنة، ولكن أي عصير؟»

رقم الإيداع: 2014/796
ردمك: 978-99906-0-438-2

